النص الكامل

الطبعة القانونية الأولى والوحيدة باللغة العربية

أغاثا كريستي

مَوتٌ فوقَ النّيل









Agatha Christie



Death on the Nile



هيركيول بوارو





٢٨ رقم هذه الرواية حسب ترتيب صدور الروايات بالإنكليزية

مَوتٌ فوقَ النّيل

الرحلة النَّهرية الهادئة في «الكَرْنَك»، المركب السياحي الذي انطلق في رحلته عبر النيل، انقلبت إلى كابوس حين عُثر على الفتاة الثرية قتيلة بطلقة في الرأس.

كانت فتاة بالغة الثراء وتملك كل ما تتمناه أي فتاة، لكنها خسرت حياتها!

هيركيول بوارو تذكر حادثة شهدها في وقت مبكر، حين انفجرت فتاةٌ أخرى غاضبة وهي تقول: "كم أتمنّى لو أضع فُوَّهة مسدّسي الصغير هذا في رأسها ثم أضغط على الزناد"!

رواية جديدة من روايات الكاتبة العملاقة التي تُعتبَر أعظم مؤلفة في التاريخ من حيثُ انتشار كتبها وعدد ما بيع منها من نسخ، وهي -بلا جدال- أشهر مَن كتب قصص الجريمة في القرن العشرين وفي سائر العصور. وقد تُرجمت رواياتها إلى معظم اللغات الحية، وقارب عدد ما طُبع منها ألفَي مليون نسخة!

الناشر وصاحب الحق الحصري بالطبعة العربية في جميع أنحاء العالم



الأجيال للترجمة والنشر
AJYAL Publishers

ISBN 2-1957-2721-9



US $ 4.00

سعر البيع ١٥ ريالاً

أغاثا كريستي

مَوتٌ فوق النّيل





مَوتٌ فوقَ النّيل

طُبعت للمرّة الأولى باللغة الإنكليزية عام ١٩٣٧

ترجمة: محمود الخطيب

مراجعة الترجمة: نبيل عبد القادر البرادعي

تحرير: رمزي رامز حسّون



هذه هي الترجمة القانونية الوحيدة لهذا الكتاب
وهي تضم النصّ الكامل لرواية أغاثا كريستي
المنشورة أول مرة عام ١٩٣٧ بعنوان

Death on the Nile

Arabic edition published by AJYAL *Publishers*
e-mail: books@al-ajyal.com

الطبعة الأولى
٢٠٠٧

التوزيع في دول الخليج العربي

Pioneer House

دبي ٢٨٢٦٠٠٥ الكويت ٢٤٦٦٩٤٢ مسقط ٢٤٧٩٦٤١٤
قطر ٤٨٦٢١٢١ البحرين ٧٢٩٣٦٢٩

الفصل الأول

-١-

- لينيت رِدجْوي؟

ردّ السيد بيرنابي صاحب فندق ثري كراونْز: تلك هي!

ثم وكز رفيقه، فحملق الرجلان بعينين مشدوهتين وفم فاغر.

كانت سيارة رولز رويس كبيرة قرمزية اللون قد توقفت لتوها أمام مكتب بريد القرية. قفزت من السيارة فتاة لا تضع قبعة وترتدي ثوباً ذا مظهر بسيط ولكنه غالي الثمن، فتاة رشيقة ذهبية الشعر تبدو عليها ملامح قوة الشخصية، فتاة نادراً ما يُرى مثلها في بلدة مولتِنْوُد، ودخلت مكتب البريد بخطوات سريعة واثقة.

قال السيد بيرنابي مرة أخرى: "تلك هي!"، ثم أكمل يقول بصوت خافت: إنها تملك الملايين... سوف تنفق الآلاف على هذا المكان، ستنشئ حدائق إيطالية وقاعات كبيرة، وقد تهدم نصف البيت ثم تعيد بناءه.

قال صديقه: ستجلب الأموال إلى البلدة.

كان هذا الصديق رجلاً نحيفاً رث الثياب، وكانت في صوته نبرة حسد وشكوى.

وافقه السيد بيرنابي قائلاً: نعم، إنه أمر عظيم لبلدتنا.

كان السيد بيرنابي راضياً بالأمر، وأضاف يقول: سوف تنعش الحياة عندنا.

ردّ عليه الآخر: إنها تختلف عن السير جورج كثيراً.

- آه، هذا ما فعلته به مراهنات الخيول... لم يكن له أي حظّ.

- وكم تقاضى ثمناً للبيت.

- ستين ألفاً على الأقل... هذا ما سمعته.

صفّر الرجل النحيل متعجباً، فأكمل السيد بيرنابي حديثه مزهواً: ويقولون إنها ستنفق ستين ألفاً أخرى قبل أن تكمل إصلاحه.

- يا إلهي! من أين حصلت على كل هذه الأموال؟

- من أمريكا كما سمعت؛ كانت أمها هي الابنة الوحيدة لأحد الأثرياء الكبار... كما يحدث في الأفلام، أليس كذلك؟

خرجت الفتاة من مكتب البريد وركبت السيارة، وبينما كانت السيارة تتحرك مبتعدة تبعها الرجل النحيل بنظراته ثم تمتم قائلاً: إن مظهرها هكذا يبدو غير طبيعي... المال والجمال، هذا كثير جداً! إن كانت بهذا الغنى فليس من حقها أن تكون جميلة أيضاً. لكنها جميلة فعلاً! إنها تملك كل شيء... لا يبدو هذا عدلاً.

-٢-

مقطع من عمود الأخبار الاجتماعية في صحيفة ديلي بليغ:

لوحظت بين الحاضرين على العشاء في مطعم تشيزماتانت الحسناء لينيت ردجوي، وكانت مع السيدة جوانا ساوثْوُد واللوردويندلشام والسيد توبي

برايس. وكما يعلم الجميع فإن الآنسة ردجوي هي ابنة ميلهويش ردجوي الذي تزوج آنا هارتز، وقد ورثت ثروة عظيمة من جدها ليوبول هارتز. والآنسة لينيت هي حديث الساعة، وهناك إشاعة تتحدث عن خطوبة قد تعلن قريباً.

-٣-

قالت جوانا ساوثْوُد: أظن أن كل شيء سيكون رائعاً تماماً يا عزيزتي.

كانت تجلس في غرفة نوم لينيت ردجوي في منزل «وُدْهول»، وكانت النافذة تطل على الحدائق ومن ورائها ظلال الغابات الداكنة.

قالت لينيت وهي تضع ذراعيها على عتبة النافذة: أليس هذا بالمنظر الرائع؟

كان وجهها متلهفاً ينبض بالحيوية والنشاط، وبدت جوانا ساوثْوُد إلى جانبها باهتة قليلاً. كانت شابة في السابعة والعشرين من عمرها طويلة نحيلة ذات وجه يوحي بالذكاء وحاجبين رُسما بطريقة غريبة. قالت: لقد عملتِ أشياء كثيرة خلال هذا الوقت. هل استخدمت عدداً كبيراً من المهندسين المعماريين؟

- ثلاثة.

- وكيف هم المهندسون؟ لا أظنني رأيت مهندساً من قبل.

- لا بأس بهم، لكني أجدهم غير عمليين أحياناً.

- ستتغلبين على هذه المشكلة قريباً فأنت فتاة عملية.

أخذت جوانا عقداً من اللؤلؤ عن طاولة الزينة وقالت: أظن أنه لؤلؤ طبيعي، أليس كذلك يا لينيت؟

- بالطبع.

- أعرف أن الأمر طبيعي بالنسبة لك يا حبيبتي، لكنه لن يكون كذلك بالنسبة لكثير من الناس. إنها لآلئ صُقلت بشكل رائع، وربما كانت من صنع ولورث. إنها عظيمة بالفعل؛ متماثلة بشكل غريب. لا بد أنها تساوي مبلغاً أسطورياً؟

- إنني أراه عقداً سوقياً إلى حد ما، ما رأيك؟

- لا، أبداً، إنه قمة الجمال. ما هي قيمته؟

- نحو خمسين ألفاً.

- يا له من مبلغ كبير جداً! ألا تخشين من سرقته؟

- لا، فأنا أضعه دائماً، وهو خاضع للتأمين على أية حال.

- هل تسمحين لي باستعارته على العشاء يا عزيزتي؟ هذا سيشعرني بإثارة عظيمة.

ضحكت لينيت وقالت: بالطبع، إن شئت.

- كم أحسدك يا لينيت! لقد حصلت على كل شيء؛ فها أنت فتاة في العشرين سيدة نفسك وتملكين ثروة كبيرة وجمالاً وصحة عامرة، كما أنك ذكية أيضاً. متى ستبلغين الحادية والعشرين؟

- في حزيران (يونيو) القادم، وسأقيم وقتها حفلة عظيمة في لندن بمناسبة بلوغي سن الرشد.

- وهل ستتزوجين تشارلز ويندلشام عندئذ؟ إن كتّاب الإشاعات مهتمون بالحدث تماماً، كما أنه متعلق بك كثيراً.

رفعت لينيت كتفيها بلامبالاة وقالت: لا أعرف... لم أقرر الزواج بأحد بعد.

- كم أنت محقة في ذلك يا عزيزتي! الحياة قبل الزواج ليست نفسها بعده أبداً، أليس كذلك؟

رن جرس الهاتف فذهبت لينيت ورفعت السماعة مستفسرة، فأجابها صوت الخادمة: الآنسة دي بيلفورت على الخط. هل أحوّلها؟

- بيلفورت؟ آه، بالطبع، نعم.

أجابها صوت ناعم يكاد يلهث: مرحباً، الآنسة ردجوي؟ لينيت؟

- عزيزتي جاكي! لم أسمع صوتك منذ مدة طويلة.

- نعم، وهذا مؤسف فعلاً. أنا مشتاقة جداً لرؤيتك يا لينيت.

- ألا يمكنك المجيء إلى هنا؟ لعبتي الجديدة... أحب أن أريك إياها.

- هذا ما سأفعله تماماً.

- حسناً، اقفزي في قطار أو سيارة وتعالي.

- جيد، سأفعل؛ سآتيك بسيارة قديمة ذات مقعدين اشتريتها بخمسة عشر جنيهاً. أحياناً تسير بشكل رائع، لكنها تغير رأيها أحياناً؛ فإذا لم أصل وقت الشاي فاعلمي أنها قد غيرت رأيها! إلى اللقاء يا حبيبتي.

وضعت لينيت السماعة، ثم ذهبت إلى جوانا قائلة: إنها أقدم صديقاتي، جاكلين دي بيلفورت. كنا معاً في مدرسة في باريس. كان حظها بالغ السوء، فقد كان والدها كونتاً فرنسياً وأمها أمريكية

من الجنوب، ثم رحل والدها مع امرأة وفقدت أمها كل أموالها في انهيار البورصة وتركت جاكي مفلسة تماماً. لا أدري كيف تدبرت أمور حياتها في السنتين الأخيرتين.

كانت جوانا تلمّع أظافرها باستعمال طلاء الأظافر الخاص بصديقتها، أسندت ظهرها إلى الوراء ورأسها يميل إلى أحد الجانبين وهي تتفحص أظافرها ثم قالت: أليس هذا مضجراً يا عزيزتي؟ لو حلّت أية مصائب بأصدقائي فإنني أتخلى عنهم فوراً! إن هذا يبدو قاسياً ولكنه يوفر الكثير من المتاعب لاحقاً، فهنّ يردنَ دوماً الاقتراض منك أو يُنشئن مشاريع أزياء صغيرة فيجب عليك أن تشتري منهن ملابس فظيعة لا تطاق، وقد يقمن بغير ذلك من الصناعات المنزلية التي يفرضن عليك شراءها...

- إذن لو فقدت كل أموالي فسوف تتخلين عني غداً؟

- نعم، سأفعل هذا يا عزيزتي. لا يمكنك القول إنني غير صادقة في ذلك! أنا لا أحب إلاّ الناس الناجحين، وستجدين أن هذه حقيقة تنطبق على كل الناس تقريباً إلاّ أن معظمهم لا يعترفون بها، بل ترينهم يكتفون بالقول إنهم لا يستطيعون الاستمرار في دعم فلان أو فلانة! وربما أضافوا: إن متاعب فلان قد جعلته غريب الأطوار، يا له من مسكين!

- يا لك من قاسية يا جوانا!

- أنا أبحث عن الكسب فقط... ككل الناس.

- أنا لا أبحث عن الكسب.

- لديك أسبابك الواضحة! لن تضطري إلى ذلك وأنت تتلقين من أولئك الأوصياء الأمريكيين المهذبين دفعة ضخمة مرة كل ثلاثة أشهر.

- كما أنك مخطئة بخصوص جاكلين، فهي ليست من النوع الذي يعيش عالة على غيره. لقد أردت مساعدتها لكنها لم تقبل؛ إنها عزيزة النفس جداً.

- ولماذا هي مستعجلة لرؤيتك إلى هذا الحد؟ أراهنك على أنها تريد منك شيئاً؛ انتظري وسترين.

- إنها تبدو منفعلة بسبب شيء معين، هكذا جاكي دائماً تتحمس كثيراً للأمور وتنفعل... ذات مرة طعنت شخصاً بسكين الجيب.

- يا له من عمل مخيف!

- كان ولداً يحاول إثارة كلب. حاولت جاكي وقفه لكنه لم يُصغِ إلى كلامها، فسحبته وهزّته بيديها لكنه كان أقوى منها بكثير، وفي النهاية سحبت من جيبها سكيناً صغيرة وطعنته بها!

دخلت خادمة لينيت الغرفة، اعتذرت ببعض الكلمات ثم أخذت من الخزانة ثوباً وخرجت.

سألت جوانا صديقتها: ما بال ماري؟ يبدو أنها كانت تبكي.

- يا لها من مسكينة! لقد أخبرتك بأنها كانت تعتزم الزواج برجل يعمل في مصر، ولم تكن تعرف عنه الكثير فأحببت أن أتحقق من صلاحيته، وقد ظهر أنه متزوج وله ثلاثة أطفال!

- ستجعلين لك أعداء كثيرين يا لينيت.

بدت لينيت ذاهلة: أعداء؟

أومأت جوانا قائلة: نعم، أعداء يا عزيزتي؛ فأنت ذات كفاءة كبيرة وبارعة جداً في القيام بالتصرف الصحيح.

ضحكت لينيت وقالت: ليس لي أي عدو في هذا العالم.

-٤-

جلس اللورد ويندلشام تحت شجرة أرْز واستقرت نظراته على التناسق الرائع لمنزل وُدهول. لا شيء يفسد جمال العالم القديم الذي يوحي به هذا البيت، فالمباني الجديدة كانت تختفي عن الأنظار خلف الزاوية. كان منظراً جميلاً وهادئاً تحت أشعة شمس الخريف، ولكنه رأى حين أمعن النظر فيه أن هذا المنزل الذي يراه أمامه لم يعد وُدْهول. وبدلاً من ذلك تخيل أن الذي أمامه هو قصر إليزابيثي الطراز ذو حديقة ممتدّة منحدرة وخلفية مكشوفة... كان ما رآه هو منزل عائلته الخاص «تشارلتونبري»، وأمامه وقفت فتاة ذات شعر ذهبي لامع ووجه متلهف واثق، وقفت لينيت سيّدةً لمنزل تشارلتونبري!

أحس بالأمل. إن رفضها الزواج به لم يكن رفضاً قاطعاً بل كان أقرب إلى التماس مزيد من الوقت، وهو يستطيع الانتظار قليلاً.

كان كل شيء مناسباً لدرجة مذهلة؛ كان من المؤكد أن زواجه بفتاة ثرية يعتبر أمراً مرغوباً، ولكن ذلك لم يكن ليبلغ في ضرورته حداً يدفعه إلى تنحية مشاعره الخاصة جانباً. لقد أحب لينيت وكان من شأنه أن يتزوجها حتى لو كانت معدمة فقيرة بدلاً من أن تكون إحدى أغنى فتيات إنكلترا. إلاّ أنها كانت كذلك لحسن الحظ، كانت بالفعل إحدى أغنى فتيات إنكلترا.

وتراقصت في عقله مشاريع مستقبلية جميلة. ربما أصبح سيد روكسديل بالإضافة إلى استعادة الجناح الغربي، ولا حاجة به لتأجير الأرض للصيادين... ومضى تشارلز ويندلشام يحلم تحت الشمس.

-٥-

كانت الساعة الرابعة عندما توقفت السيارة الصغيرة المهترئة ذات الصوت المزعج، وخرجت منها فتاة صغيرة الجسم نحيلة سوداء الشعر فصعدت درجات البيت ركضاً وضربت الجرس. وبعد دقائق قليلة كانت تدخل غرفة الاستقبال الكبيرة الفخمة برفقة كبير الخدم الذي قدمها: الآنسة دي بيلفورت.

- لينيت!

- جاكي!

كان ويندلشام يقف منزوياً وهو يراقب بتعاطف هذه المخلوقة الصغيرة المتّقدة وهي تلقي بنفسها على لينيت وتعانقها.

- لورد ويندلشام... الآنسة دي بيلفورت، فُضلى صديقاتي.

رآها طفلة جميلة. ليست جميلة تماماً، ولكنها جذابة جداً بشعرها الأسود المتموج وعينيها الواسعتين. تمتم كلمات لباقة لا معنى لها ثم انسحب تاركاً الصديقتين معاً.

انقضّت جاكلين عليها بطريقة تذكرت لينيت أنها من الصفات المتأصلة فيها: ويندلشام؟ إنه الرجل الذي تقول الصحف إنك ستتزوجينه! هل هذا صحيح يا لينيت؟ هل ستفعلين؟

- ربما!

- يا حبيبتي، كم أنا سعيدة! إنه يبدو لطيفاً.

- آه، لا تقطعي بهذا الخصوص، فأنا لم أحزم أمري بعد.

- بالطبع؛ فالملكات يتمهلن طويلاً عندما يخترن أزواجهن!

- لا تكوني سخيفة يا جاكي.

- لكنك ملكة فعلاً يا لينيت. كنت دائماً هكذا، صاحبة الجلالة لينيت، لينيت الشقراء! وأنا، أنا وصيفة الملكة، الوصيفة الأمينة.

- ما هذا الهراء الذي تقولينه يا عزيزتي جاكي؟ وأين كنت كل هذه المدة؟ لقد اختفيت ولم تكتبي لي أي رسالة.

- أنا أكره كتابة الرسائل. أين كنت؟ كنت غارقة حتى أُذُنيّ يا عزيزتي، مشغولة بالأعمال... أعمال مَقيتة مع نساء مَقيتات.

- ليتك يا عزيزتي...

- تقبلين هبة الملكة؟ حسناً، بصراحة هذا هو ما جئت من أجله يا عزيزتي. لا، ليس لكي أقترض المال فلم يصل بي الأمر إلى هذا الحد بعد، بل جئت أطلب منك معروفاً كبيراً.

- هيا اطلبي.

- إذا كنت ستتزوجين هذا الرجل ويندلشام فسوف تفهمين.

بدت لينيت محتارة لبعض الوقت، ثم ما لبثت أن أشرق وجهها: هل تقصدين يا جاكي...؟

- نعم يا عزيزتي، أنا مخطوبة.

- هكذا إذن؟ لقد رأيت كيف تبدين مفعمة بالحيوية والنشاط. أنت دائماً هكذا بالطبع، ولكنك الآن أكثر حيوية من العادة.

- هذا ما أشعر به تماماً.

- أخبريني بكل شيء عنه.

- اسمه سيمون دويل. إنه ضخم الجسم وبسيط للغاية وصبياني ولطيف جداً جداً، وهو فقير لا مال له. إنه ممن يمكنك تسميتهم «عائلات الريف المحترمة»، ولكنه فقير جداً، وهو الابن الأصغر

في العائلة. أهله من ديفونشاير، وهو يعشق الريف وحياة الريف. في السنوات الخمس الماضية كان يعمل في أحد المكاتب المكتظة بالموظفين في لندن، وهم الآن يسرّحون بعض موظفيهم، وهكذا فقدَ وظيفته. لينيت، سأموت إن لم أتزوجه! سأموت، سأموت!

- لا تكوني سخيفة يا جاكي.

- أقول لك إنني سأموت! أنا مجنونة به وهو مجنون بي أيضاً؛ لا يستطيع أي منا العيش دون صاحبه.

- إن حالتك سيئة يا عزيزتي!

- أعرف. إنه أمر فظيع، أليس كذلك؟ إن هذا العشق يسيطر على نفسك فلا تستطيعين فعل أي شيء حياله.

سكتت لبعض الوقت واتسعت عيناها السوداوين وبدا وجهها مأساوياً فجأة، ثم ارتجفت قليلاً وقالت: إنه يبدو أمراً مخيفاً أحياناً! لقد خُلقنا أنا وسيمون لبعضنا البعض. لن أهتم بأي شخص آخر، ويجب أن تساعدينا يا لينيت. سمعت أنك اشتريت هذا البيت مما جعلني أفكر في شيء. اسمعيني، سوف تحتاجين إلى وكيل عقارات وربما اثنين، هل يمكن أن تمنحي هذه الوظيفة لسيمون؟

فوجئت لينين، وأكملت جاكلين تقول بسرعة: إنه من أبرع الناس في مثل هذه المسائل، وهو يعرف كل شيء عن العقارات الكبرى لأنه نشأ في واحد منها بالإضافة إلى ممارسته العملية. أرجوك يا لينيت أن تعطيه هذه الوظيفة من أجل الحب الذي بيننا، وإذا لم يعجبك عمله بعد ذلك فاطرديه... لكنه سيعجبك حتماً. نستطيع العيش في بيت صغير وسأراك كثيراً، كما أن كل شيء في الحديقة سيكون رائعاً وجميلاً.

نهضت وقالت: قولي بأنك موافقة يا لينيت، قولي ذلك

يا عزيزتي! لينيت الجميلة، لينيت الطويلة الشقراء، لينيت صديقتي الخاصة... قولي إنك موافقة.

- جاكي!

- هل أنت موافقة؟

انفجرت لينيت ضاحكة: يا لك من سخيفة يا جاكي! أحضري فتاك ودعيني أقابله، وسوف نناقش الموضوع.

انقضت جاكي عليها تقبّلها بحرارة: حبيبتي، لينيت... أنت صديقة حقيقية! أعرف ذلك، أنت لا تخذلينني أبداً... أنت أجمل شيء في هذا العالم. إلى اللقاء.

- ولكن ابقي هنا يا جاكي.

- أنا؟ لا، لن أبقى بل سأعود إلى لندن، وسآتي غداً ومعي سيمون حتى ننهي الموضوع. ستحبينه، إنه لطيف حقاً.

- ولكن ألا يمكنك الانتظار حتى نشرب الشاي؟

- لا، لا أستطيع الانتظار يا لينيت. أنا في غاية الانفعال؛ يجب أن أعود لأخبر سيمون. أعرف أنني مجنونة يا عزيزتي لكنني لا أملك غير ذلك. أظن أن الزواج سيشفيني، يبدو دائماً أنه ذو أثر مهدّئ على الناس.

ثم مضت، وعند الباب التفتت ووقفت لحظة، ثم عادت مندفعة لتعانق صديقتها مرة أخرى وهي تقول: لينيت، عزيزتي، لا أحد في الدنيا مثلك!

-٦-

لم يكن السيد غاستون بلوندين (صاحب ذلك المطعم العصري الصغير تشيزماتانت) رجلاً يبشّ في وجوه الكثير من زبائنه أو يعاملهم معاملة خاصة، فقد ينتظر الأغنياء والجميلات والمشهورون والنبلاء عبثاً دون أن يحصلوا على اهتمام خاص أو معاملة مميزة. لكنه في مناسبات نادرة جداً يأتي بتنازل مهيب لتحية ضيف ومرافقته إلى مائدة مميزة وتبادل عبارات التحية والمجاملة معه.

وفي هذه الليلة بالذات مارس السيد بلوندين هذا الامتياز الملكي ثلاث مرات، مرة مع إحدى الدوقات، وثانية مع أحد النبلاء المشهورين، والثالثة مع رجل صغير الجسم ذي مظهر مضحك وشاربين ضخمين أسودين قد يظنه الزائر الغريب رجلاً لا يشرّف هذه المطعمَ حضورُه.

ولكن اهتمام السيد بلوندين وحفاوته بهؤلاء الأشخاص كان مبالَغاً به لدرجة تثير الحسد. ورغم أن الزبائن قد تم إبلاغهم طوال نصف الساعة الماضية بأن أحداً لا ينبغي له أن يجلس على تلك الطاولة المعينة، إلاّ أن زبوناً ظهر فجأة وتمت مرافقته إلى تلك الطاولة بكثير من العناية والاهتمام بواسطة السيد بلوندين نفسه.

- بالطبع، أنت بالذات لك طاولة خاصة يا سيد بوارو. أتمنى لو أنك تشرّفنا بزيارتك دائماً.

ابتسم هيركيول بوارو وهو يتذكر تلك الحادثة التي لعبت فيها الأدوار جثةٌ ونادل وسيدة جميلة جداً، بالإضافة إلى السيد بلوندين نفسه. ثم قال: أنت في غاية اللطف يا سيد بلوندين.

- أأنت بمفردك يا سيد بوارو؟

- نعم، أنا وحدي.

- حسناً، جوليس كبير الندلاء سيؤلف لك وجبة صغيرة رائعة ستراها أقرب إلى قصيدة شعرية! سوف تستمتع بعشائك يا سيد بوارو، أعدك بذلك.

ثم دار نقاش فنّي حول الطعام والشراب بمساعدة جوليس كبير الندلاء، وقبل أن يتركه السيد بلوندين تريث لحظة ليسرّ له بسؤال: هل لديك قضايا خطيرة تعالجها؟

هز بوارو رأسه نافياً وقال بهدوء: للأسف لست سوى رجل يستمتع بوقت فراغه؛ لقد اقتصدت في أيام عملي ولديّ الآن وسائل الاستمتاع بحياة الكسل.

- كم أحسدك على هذا!

- لا، لا؛ ليس هذا من الحكمة. أؤكد لك أن الأمر ليس فيه مرح ولهو كما يبدو. كم هو صحيح ذلك القول بأن الرجل قد أُكره على اختراع العمل لكي يهرب من عناء الاضطرار إلى التفكير!

فتح السيد بلوندين يديه وقال: ولكن هناك الكثير... السفر مثلاً؟

- نعم، السفر. وأنا لن أقصّر في ذلك؛ سوف أزور مصر في هذا الشتاء. يقولون إن الجو فيها رائع. أريد أن أهرب من الضباب ومن رتابة سقوط الأمطار بشكل مستمر.

قال السيد بلوندين معجباً: آه، مصر!

- حتى إن المرء يستطيع السفر إلى مصر الآن بالطائرة كما أظن، متلافياً سفر البحر.

- آه، البحر! أنا لا أتفق معك في الامتعاض من ركوبه.

هز هيركيول بوارو رأسه وارتعش قليلاً. قال السيد بلوندين مبدياً تعاطفه: إنني أفهمك، غريب ذلك التأثير الذي يسببه البحر على المعدة.

- لكنه لا يؤثر على أُناس معينين؛ هناك أناس لا تؤثر فيهم رحلة البحر مهما كانت، بل إنهم يستمتعون بذلك.

هز السيد بلوندين رأسه أسفاً ومضى عابساً، ثم جاء الندلاء ذوو الرشاقة والأيدي الماهرة بالمقبلات التي تليق بوجبة فاخرة.

نظر هيركيول بوارو حوله مسجّلاً بعض الانطباعات داخل عقله المنظم. كم هي ضجرة سئمة معظم هذه الوجوه! ومع ذلك فإن بعض هؤلاء الشبان يستمتعون بوقتهم، مع أن علامات التحمّل الصابر بادية على وجوه السيدات اللاتي تصاحبنَهم. تلك المرأة البدينة صاحبة الثوب الأرجواني تبدو سعيدة ومتألقة. لا شك أن للبدانة في هذه الحياة تعويضاً: الحيوية والنشاط، وهما ما لا يتوفر لدى أولئك الذي يتبعون موضة الرشاقة.

عدد كبير من الشبان هنا وهناك، بعضهم بنظرات لا تشي بشيء، وآخرون ضجرون، وآخرون تعساء بالتأكيد. كم هو سخيف الزعم بأن الشباب هو زمن السعادة... إن الشباب هو زمن الهشاشة والضعف أمام كل المؤثرات الضارة!

هدأت نظراته وهو ينظر إلى زوجين معيّنين جلسا إلى طاولة قريبة، زوجين يليقان ببعضهما البعض تماماً؛ رجل طويل القامة عريض المنكبين وفتاة نحيلة ناعمة، كانا اثنين تبدو عليهما سعادة كاملة، سعادة بالمكان وبالساعة الحاضرة وببعضهما البعض. كانت الفتاة محمَرّة الوجه تضحك، وعندما أدارت رأسها استطاع بوارو تفحص وجهها وهي تضحك لرفيقها.

كان في عينيها شيء آخر غير الضحك، وهزّ هيركيول بوارو

رأسه مرتاباً ثم قال يحدث نفسه: تلك الصغيرة تهتم به كثيراً، وهذا ليس آمناً. نعم، ليس آمناً.

تناهت إلى مسامعه كلمة «مصر». وصلته أصواتهما بوضوح، صوت الفتاة الذي يوحي بالحيوية والغرور مع مسحة بسيطة من لكنة أجنبية في حرف الراء، وصوت الشاب العذب الخفيف النبرات بلهجة العائلات الإنكليزية العريقة.

- لا أريد أن أُمنّي نفسي قبل الأوان يا سيمون؛ قلت لك إن لينيت لن تخذلنا.

- أنا الذي قد أخذلها.

- هراء، إنها وظيفة مناسبة لك.

- وهذا هو ما أظنه؛ لا تساورني أدنى شكوك في قدراتي، كما أنني سأعمل على أن أكون أهلاً لهذا العمل من أجلك.

ضحكت الفتاة ضحكة هادئة، ضحكة كلها غبطة وسعادة.

- سننتظر ثلاثة أشهر حتى نتأكد من أنك ثابت في العمل، وبعدها...

- وبعدها سأغدق عليك كل خيراتي، أليس هذا ما يقولونه؟

- وكما قلت سنذهب إلى مصر لقضاء شهر العسل، وليكلفنا ذلك ما يكلف! لقد أردت دوماً السفر إلى مصر، طوال حياتي... النيل والأهرام والرمال.

قال بصوت مبهم: سنراها معاً يا جاكي، معاً. ألن يكون ذلك رائعاً؟

- لا أدري، هل سيكون رائعاً بالنسبة لك كما هو بالنسبة لي؟ هل تهتم بي حقاً بقدر اهتمامي بك؟

أصبح صوتها حاداً فجأة، واتسعت عيناها بشيء يكاد يكون خوفاً. كان ردّ الرجل سريعاً ومقتضباً: لا تكوني سخيفة يا جاكي.

لكن الفتاة كررت عبارتها: لا أدري.

همس هيركيول بوارو يحدث نفسه: وأنا أيضاً لا أدري.

-٧-

قالت جوانا ساوثْوُد: وماذا لو كان مجرماً شقياً؟

هزت لينيت رأسها: آه، لن يكون كذلك، أنا أثق بذوق جاكلين.

- آه، لكن الناس لا يتصرفون وفق طبائعهم في العلاقات العاطفية.

هزت لينيت رأسها وقد نفد صبرها، ثم غيّرت مجرى الحديث قائلة: أريد أن أذهب لرؤية السيد بيرس بشأن تلك الخرائط.

- خرائط؟

- نعم، بعض الأكواخ القديمة الفظيعة وغير الصحية... أريد هدمها ونقل سكانها منها.

- يا له من إجراء صحي يراعي المصلحة العامة يا عزيزتي!

- كانوا سيضطرون للرحيل على أية حال. هذه الأكواخ سوف تطل على بركة السباحة الجديدة في بيتي.

- وهل يرغب سكان هذه الأكواخ بالرحيل؟

- معظمهم فرحون بذلك، إلاّ أن عدداً قليلاً منهم يتصرفون بغباء. الأمر متعب حقاً؛ يبدو أنهم لا يدركون كيف ستتحسن

ظروف حياتهم جذرياً.

- أظن أنك تتصرفين في هذا الأمر دون مراعاة مشاعر الآخرين.

- يا عزيزتي، هذا لمصلحتهم في الحقيقة.

- نعم... فائدة إجبارية.

قطبت لينيت جبينها، وضحكت جوانا وقالت: هيا، اعترفي بأنك طاغية مستبدة، طاغية عادلة إن شئت ذلك!

- لست بالطاغية أبداً.

- لكنك تحبين تسيير الأمور بطريقتك؟

- ليس هكذا بالضبط.

- لينيت ردجوي، هل يمكنك النظر في وجهي وذكر أية مناسبة واحدة فشلت فيها في تنفيذ ما تريدينه؟

- مرات كثيرة.

- نعم، مرات كثيرة... تقولينها هكذا ولكن دون ذكر واقعة محدَّدة. ومهما حاولت أن تتذكري فسوف تفشلين في تذكّر أية واقعة واحدة! التقدم الكاسح المنتصر للينيت ردجوي بسيارتها الذهبية.

قالت لينيت بحدة: هل تظنين أنني أنانية؟

- لا، أنت فقط أقوى من أن يقاومك أحد: التأثير المشترك للمال والجمال؛ ما لا تستطيعين شراءه بالمال تشترينه بابتسامة، والنتيجة: لينيت ردجوي هي الفتاة التي تمتلك كل شيء.

- لا تكوني سخيفة يا جوانا!

- ألا تملكين كل شيء؟

- بلى، أظن ذلك، وهو ما يبدو مزعجاً على نحو ما.

- إنه مزعج بالطبع يا عزيزتي! ربما ستشعرين بالسأم والضجر شيئاً فشيئاً، ولكن إلى أن تحين تلك اللحظة استمتعي بتقدمك الكاسح في السيارة الذهبية. إلاّ أنني أتساءل حقاً عمّا سيحدث عندما تودين المرور في شارع ذي لوحة كُتب عليها: «ممنوع المرور»؟

- لا تتحامقي يا جوانا.

وعندما انضم اللورد ويندلشام إليهما قالت لينيت وهي تلتفت إليه: إن جوانا توجه لي أقذع الكلام.

قالت جوانا ببعض الإبهام وهي تنهض عن مقعدها: من باب الإغاظة يا عزيزتي، كله من باب الإغاظة!

ثم غادرت دون أن تعتذر لهما، وإن كانت قد انتبهت لالتماعة في عينَي ويندلشام.

صمت ويندلشام بعض الوقت ثم دخل في الموضوع مباشرة: هل توصلت إلى قرار يا لينيت؟

ردّت عليه ببطء: هل أنا قاسية؟ أظن أنه كان عليّ أن أقول «لا» طالما كنت غير واثقة من مشاعري؟

قاطعها قائلاً: لا تقوليها. سيكون لديك الوقت، خذي من الوقت ما تشائين، لكني أظن أننا سنكون سعيدَين معاً.

قالت لينيت بأسلوب اعتذاري يكاد يكون طفولياً: إنني مستمتعة كثيراً، ولا سيما مع كل هذا.

أشارت بيدها إلى ما حولها وأضافت: أردت جعل هذا البيت بيتاً ريفياً مثالياً، وأظن أنني جعلته يبدو رائعاً، أليس كذلك؟

- إنه جميل ومخطَّط بشكل جيد؛ كل شيء يبدو مثالياً. أنت

ذكية جداً يا لينيت.

سكت دقيقة ثم أكمل يقول: وأنت تحبين منزل تشارلتونبري، أليس كذلك؟ بالطبع هو بحاجة إلى تحديث، ولكنك بارعة جداً في مثل هذه الأمور، بل إنك تستمتعين بها.

- إن تشارلتونبري رائع بالطبع.

كانت تتكلم بحماسة جاهزة، لكنها أحست -في قرارة نفسها- ببرود مفاجئ. تردّدت داخلها نبرةٌ غريبة أفسدت قناعتها التامة بالحياة. لم تحلل مشاعرها في تلك اللحظة لكنها حاولت الغوص في مشاعرها الداخلية بعد ذلك عندما غادرها ويندلشام: تشارلتونبري؟ نعم، كان هذا هو السبب؛ كانت تكره ذكر منزل تشارلتونبري، ولكن لماذا؟ لقد كان ذلك البيت مشهوراً، فقد حافظ عليه أجداد ويندلشام منذ عهد الملكة إليزابيث. إنها لَمكانة اجتماعية مرموقة أن تصبح سيدة تشارلتونبري، فقد كان ويندلشام واحداً من أكثر النبلاء المحبوبين في إنكلترا.

كان طبيعياً أن لا يأخذ منزل وُدهول مأخذ الجد، فلم يكن بينه وبين تشارلتونبري أي مجال لمقارنة. آه، لكن ودهول بيتها! هي التي رأته، واشترته، وأعادت بناءه وتزيينه، وأنفقت عليه الأموال... كان ملكها الخاص، مملكتها.

لكن ذلك لن يُؤبَه له إن هي تزوجت ويندلشام، فماذا الذي يريدانه من بيتين ريفيين؟ وإذا كان لا بد من التخلي عن واحد منهما فمن الطبيعي أن يتم التخلي عن ودهول. إن لينيت ردجوي لن يكون لها وجود بعد ذلك، ستكون كونتيسة ويندلشام، ستكون زوجة الملك ولن تظل الملكة بعد ذلك.

قالت تحدث نفسها: إنني أتصرف بسخف!

ولكن كان من الغريب أن تكره التنازل عن ودهول. ثم ألم يكن هناك شيء آخر يلحّ عليها؟ صوت جاكي، وتلك النبرة الغامضة فيه وهي تقول: سأموت إن لم أتزوجه؛ سأموت، سأموت!

كانت قاطعة جداً وجادة. هل أحست هي، لينيت، بمثل هذا الشعور نحو ويندلشام؟ لم تفعل بالتأكيد، وربما لا تستطيع الإحساس بمثل هذا الشعور تجاه أي شخص آخر على الإطلاق. لا بد أنه شعور رائع أن يحس المرء بذلك.

أتاها عبر النافذة المفتوحة صوتُ سيارة. هزّت لينيت رأسها غيرَ صابرة، لا بد أنها جاكي جاءت مع خطيبها، فلتخرج للقائهما.

كانت تقف عند الباب بينما كانت جاكلين وسيمون دويل يترجّلان من السيارة. أسرعت جاكلين إلى صديقتها وهي تقول: لينيت، هذا سيمون. سيمون، ها هي لينيت، إنها أعظم إنسانة في الدنيا.

رأت لينيت رجلاً طويل القامة عريض المنكبين ذا عينين زرقاوين غامقتين وشعر بني متجعد وذقن عريض وابتسامة صبيانية عذبة بسيطة. مدّت يدها تصافحه، كانت اليد التي أمسكت بيدها قوية دافئة، وأحبت الطريقة التي نظر إليها بها، نظرات الإعجاب الصادق الساذج.

لا بد أن جاكي أخبرته بأنها رائعة، وكان واضحاً أنه رآها كذلك. سرت في عروقها مشاعر نشوة عذبة. قالت: أليس هذا رائعاً؟ ادخل يا سيمون، أريد أن أرحب بوكيل عقاراتي الجديد ترحيباً يليق به.

وعندما استدارت لتقودهما فكرت قائلة لنفسها: أنا معجبة بفتى جاكي، معجبة به كثيراً.

ثم أحسّت بغصّة مفاجئة: يا لجاكي المحظوظة!

-٨-

استند تيم أليرتون على كرسي الخيزران وتثاءب وهو ينظر إلى البحر، ثم نظر إلى أمه بطرف عينيه نظرة سريعة.

كانت السيدة أليرتون امرأة جميلة المظهر في الخمسين من عمرها، وقد تسرب الشيب إلى رأسها. نظرت إلى ابنها نظرة تجهّم كما هي عادتها كلما نظرت إليه محاوِلة إخفاء حقيقة حبها الشديد له. حتى الغرباء لم يكن ليخدعهم أسلوبها هذا، وكان تيم نفسه يعرف ذلك تماماً. قال: هل تحبين مايوركا حقاً يا أمي؟

فكرت السيدة أليرتون وقالت: إنها رخيصة.

ردّ عليها تيم وهو يرتعش: وباردة.

كان شاباً طويل القامة نحيلاً أسود الشعر ذا صدر ضيق قليلاً، وكان فمه جميل الشكل وعيناه حزينتين وذقنه يوحي بالتردد، وكانت يداه طويلتين ناعمتين. ولأن مرض السل قد أصابه قبل سنوات فقد ظل جسده نحيفاً ضعيفاً. كان المعروف عنه أنه يكتب، ولكن تفاهماً بين أصدقائه كان يقضي بعدم تشجيع طرح أسئلة حول نتاجاته الأدبية.

- ما الذي تفكر فيه يا تيم؟

كانت السيدة أليرتون يقظة، وبدت الريبة في عينيها البنيتين.

ابتسم تيم أليرتون لها وقال: كنت أفكر في مصر.

بدت السيدة أليرتون مرتابة وهي تقول: مصر؟

- الدفء الحقيقي يا أمي العزيزة، الرمال الذهبية الكسولة، النيل... أحب الذهاب إلى النيل، ألا يعجبك ذلك؟

- آه، بل أحبه.

كانت نبرتها جافة، وأضافت تقول: لكن تكاليف السفر إلى مصر غالية يا عزيزي، إنها ليست للفقراء مثلنا.

ضحك تيم، ثم نهض وتمطى وبدا فجأة مليئاً بالحيوية واللهفة. كانت الحماسة بادية في نبرة صوته: تكاليف السفر ستكون شأني أنا، نعم يا عزيزتي؛ لقد بلغني صباح اليوم أن تذبذباً بسيطاً حدث في أسعار البورصة، مما يعطي نتائج مرضية جداً.

قالت السيدة أليرتون بحدة: هذا الصباح؟ لقد تلقيت رسالة واحدة فقط وهذه الرسالة...

سكتت وعضت على شفتيها. لم يعرف تيم هل يُظهر علامة الارتياح أم الانزعاج، لكن الارتياح هو الذي فاز في النهاية. أكمل عبارتها قائلاً ببرود: وهذه الرسالة من جوانا. كلامك صحيح يا أمي؛ أنت بارعة في التحري. لو كنت موجودة قرب هيركيول بوارو الشهير لكان عليه أن يحذر من خطف أمجاده!

بدت السيدة أليرتون غاضبة، قالت: لقد رأيت خط يدها مصادَفة.

- وعلمت أن الخط لم يكن لأحد سماسرة البورصة؟ صحيح، الواقع أنني سمعت الأخبار منهم بالأمس وليس اليوم. إن كتابة جوانا البدائية ملفتة للنظر: خربشات طويلة تغطي الظرف كله.

- ما الذي تقوله جوانا؟ هل من أخبار؟

جاهدت السيدة أليرتون نفسها لكي يبدو صوتها طبيعياً، فالصداقة التي تجمع ابنها بابنة خال أبيه جوانا ساوثْوُد كانت تغيظها دائماً.

لم يظهر تيم قط أي اهتمام عاطفي بجوانا ولا هي أظهرت اهتماماً به، ويبدو أن علاقتهما كانت تقوم على الثرثرة وامتلاكهما

عدداً كبيراً من الأصدقاء المشتركين. كان الاثنان يحبان الناس ومناقشة أحوال الناس، وكانت جوانا ذات لسان حلو الحديث رغم سلاطته.

لم تكن خشية السيدة أليرتون من احتمال وقوع تيم في حب جوانا هي السبب الذي يجعلها تتصلب في سلوكها قليلاً عند حضور جوانا أو عندما تصل منها رسائل، بل كان السبب إحساساً آخر يصعب وصفه أو تحديده؛ ربما كان غيرة غير مُعترَف بها بسبب المتعة الصادقة التي بدا أن تيم يجدها دوماً وهو برفقة جوانا. كان هو وأمه رفيقين مثاليين بحيث كانت رؤيته مهتماً بامرأة أخرى تخيفها بعض الشيء، كما كانت تتخيل أن حضورها في مثل هذه المناسبات كان يشكل حاجزاً بين ابنها وجوانا. كانت كثيراً تأتي لتجدهما مستغرقين ومشغولين في حديث ما، ولدى اقترابها يضطرب حديثهما ويبدو وكأنه مصمم عمداً لإشراكها فيه، وكأنه واجب فُرض عليهما!

من المؤكَّد تماماً أن السيدة أليرتون لم تكن تحب جوانا ساوثْوُد. كانت تعتقد أنها فتاة منافقة مرائية متكلّفة، وقد كانت تجد صعوبة بالغة في كتم مشاعرها هذه ولزوم الصمت.

ورداً علىَ سؤالها أخرج تيم الرسالة من جيبه وألقى نظرة عليها، ولاحظت أمه أنها كانت رسالة طويلة جداً. قال: ليس فيها الكثير؛ ديفينش وزوجته سيحصلان على الطلاق، قُدِّم العجوز مونتي إلى المحاكمة بتهمة قيادة السيارة وهو في حالة سُكر، ويندلشام ذهب إلى كندا ويبدو أنه أصيب بصدمة شديدة لأن لينيت ردجوي رفضت الزواج به... من الواضح أنها ستتزوج وكيل العقارات ذاك.

- يا له من أمر غريب! أهو رجل بغيض؟

- لا، لا، أبداً. إنه أحد أفراد عائلة دويل في ديفونشاير، لكنه لا يملك ثروة بالطبع. وفي الواقع فقد كان خطيباً لإحدى صديقات لينيت المقرَّبات.

قالت السيدة أليرتون وقد احمرّ وجهها: لا أظنه أمراً لطيفاً.

نظر تيم إليها نظرة مودة سريعة وقال: أعرف يا أمي العزيزة؛ أنت لا تقرّين سرقة أزواج الغير!

- كانت لنا في أيامنا معاييرنا الخاصة، وكانت معايير جيدة، أما في هذه الأيام فيبدو أن الشبان يحسبون أن بإمكانهم فعل أي شيء يريدونه.

ابتسم تيم وقال: إنهم لا يحسبون ذلك فقط، بل هم يفعلونه... انظري إلى لينيت ردجوي!

- إنني أراه عملاً شنيعاً.

غمزها تيم وقال: لا عليك أيتها العجوز الرجعية! أنا أتفق معك في هذا، وعلى أية حال فلم أسرق أنا من أحد زوجته أو خطيبته بعد.

قالت بحماسة: أنا واثقة من أنك لن تفعل هذا أبداً؛ لقد ربيتك تربية صحيحة.

- إذن فالفضل يرجع إليك لا إليّ أنا؟

ابتسم لها ابتسامة استفزاز وهو يطوي الرسالة ويضعها جانباً، وفكرت السيدة أليرتون في قرارة نفسها: إنه يريني معظم الرسائل، أما رسائل جوانا فهو يكتفي بأن يقرأ لي نُتَفاً منها.

لكنها أبعدت هذه الفكرة البسيطة عن ذهنها وقررت أن تتصرف كامرأة محترمة كالعادة. سألته: هل تستمتع جوانا بحياتها؟

- إلى حد ما. تقول بأنها تفكر في فتح محل لبيع الأطعمة الجاهزة في ميفير.

قالت السيدة أليرتون بنبرة مناكفة: إنها تتحدث دائماً كأنها فقيرة محتاجة، لكنها تسافر هنا وهناك وتشتري كل هذه الملابس الغالية... إنها ترتدي دوماً أفخم الملابس.

- ربما تترك فواتيرها دون أن تدفعها!

تنهدت السيدة أليرتون وقالت: لا أعرف كيف ينجح الناس في ذلك.

- إنها نوع من الموهبة الخاصة. إن كان لديك ما يكفي من الذوق المكلف الباهظ، وليس عندك أي إحساس بقيمة المال فسيعطيك الناس كل ما تريدينه من ثقة.

- نعم، لكنك ستقدَّم إلى المحكمة في نهاية الأمر مثل السير جورج وُدْ المسكين.

- أنت تحسّين بالشفقة على تاجر الخيل العجوز ذاك، ربما لأنه شبَّهك ببرعم الورد وهو يراقصك عام ١٨٧٩.

قالت السيدة أليرتون بحماسة: أنا لم أكن مولودة عام ١٨٧٩! كما أن السير جورج رجل طيب ولن أسمح لك بالسخرية منه.

- لقد سمعت عنه قصصاً غريبة من أناس يعرفونه.

- أنت وجوانا لا تهتمان بما تقولانه عن الناس، تريان كل حديث صالحاً للتداول إن كان حديثاً مسيئاً.

رفع تيم حاجبيه دهشة وقال: يا إلهي! إنك منفعلة جداً، لم أعرف أن ذلك العجوز يعجبك إلى هذه الدرجة.

- أنت لا تدرك كم كان صعباً عليه بيعه منزل وُدْهول... لقد

كان يحب ذلك البيت حباً كبيراً.

امتنع تيم عن الردّ عليها، فمن هو حتى يحكم على الناس؟ وبدلاً من ذلك قال متأملاً: أظن أنك لست مخطئة كثيراً في هذا، فقد طلبت لينيت منه أن يأتي لزيارتها ليرى ما فعلته بالبيت، وقد رفض دعوتها بوقاحة.

- بالطبع، كان يجب أن تعرف ذلك قبل أن تدعوه.

- وأظن أنه يحقد عليها، فعندما يراها يتمتم بكلمات غير مفهومة، ولا يبدو أنه يستطيع أن يسامحها رغم أنها أعطته أعلى سعر ممكن لهذا البيت البالي الذي ينخره الدود.

سألته السيدة أليرتون بحدة: وأنت لا تستطيع فهم ذلك؟

ردّ عليها تيم بهدوء: بصراحة لا أستطيع. لماذا العيش في الماضي؟ لماذا التعلق بأشياء أصبحت من الماضي.

- وبماذا ستستبدل تلك الأشياء؟

هز كتفيه بلامبالاة وقال: ربما بالإثارة، بالتجديد... وبدلاً من وراثة قطعة أرض غير مفيدة يجد المرء متعة في تكوين ثروته بنفسه باستخدام مهاراته الخاصة وذكائه.

- كصفقة ناجحة في البورصة مثلاً؟

ضحك وقال: ولِمَ لا؟

- وماذا لو خسرت في هذه البورصة؟

- هذا لا يحدث إلاّ مع من تعوزهم المهارة، وهو لا يحدث كثيراً اليوم. حسناً، ماذا عن خطة مصر هذه؟

- حسناً...

قاطعها وهو يبتسم: لقد حُسِمَ الأمر؛ لقد أردنا دوماً، نحن الاثنين، أن نرى مصر.

- متى تقترح ذلك؟

- الشهر القادم؛ فأول شهور السنة هو أفضل شهر هناك. سوف نأنس بالرفقة الطيبة في هذا الفندق عدة أسابيع أخرى.

قالت السيدة أليرتون مؤنِّبة: تيم!

ثم أضافت بشيء من الشعور بالذنب: لقد وعدتَ السيدة ليتش بأن تذهب معها إلى مركز الشرطة، فهي لا تفهم الإسبانية

أظهر تيم امتعاضه وقال: بشأن خاتمها؟ خاتم الياقوت الأحمر الخاص بابنة ليتش؟ أما زالت تصر على أنه قد سُرق؟ سأذهب إن شئت، لكنه مضيعة للوقت فلن تكسب من ذلك إلاّ توريط إحدى خادمات الغرف في المتاعب. لقد رأيته رأي العين في إصبعها عندما دخلت البحر ذلك اليوم، لا بد أنه انزلق من يدها وهي في الماء دون أن تلحظ ذلك.

- لكنها تقول إنها متأكدة تماماً من أنها نزعته من إصبعها وتركته على طاولة الزينة في غرفتها.

- هذا غير صحيح؛ لقد رأيته بيدها بأم عيني. هذه المرأة غبية! إن أي امرأة تكون غبية عندما تهرع لتسبح في البحر في شهر كانون متظاهرة بأن الماء دافئ لمجرد أن الشمس كانت تشرق في تلك اللحظة!

تنهدت السيدة أليرتون وقالت: ليتنا كنا في لندن الآن!

هزّ تيم أليرتون رأسه بقوة وقال: أنا غير مهتم، إنني مرتاح بوجودي معك هنا دون أن يشغلنا شاغل.

- كنت ستحب وجود جوانا هنا.

- لا.

كانت نبرته جازمة على نحو غير متوقَّع، ثم أضاف: إنك مخطئة تماماً في هذا؛ إن جوانا تسليني ولكني لا أحبها، ووجودها لفترات طويلة يثير أعصابي. الحمد لله أنها ليست هنا. سأكون متقبلاً تماماً إن قُدِّر لي أن لا أرى جوانا مرة أخرى أبداً.

ثم أضاف بصوت خافت: هناك امرأة واحدة في العالم فقط أكنّ لها احتراماً وإعجاباً حقيقيين، وأظن -يا سيدة أليرتون- أنك تعرفين جيداً من هي هذه المرأة.

احمرّ وجه أمه خجلاً وبدت مرتبكة. قال تيم بجِدّ: لا توجد الكثير من النساء اللطيفات حقاً في العالم، ولكنك واحدة منهن.

-٩-

في شقة مطلة على الحديقة المركزية (سنترَل بارك) في نيويورك صاحت السيدة روبسون: أليس هذا رائعاً! إنك أكثر الفتيات حظاً يا كورنيليا.

احمرّ وجه كورنيليا روبسون. كانت فتاة كبيرة الجسم خرقاء ذات عينين بنّيتين واسعتين. قالت لاهثة: سيكون رائعاً.

أمالت الآنسة فان شويلر العجوز رأسها تعبيراً عن رضاها عن هذا الموقف الصحيح من جانب الأقارب الفقراء، وتنهدت كورنيليا وهي تقول: كنت أحلم دائماً برحلة إلى أوروبا، لكني لم أشعر بأنني يمكن أن أذهب إليها أبداً.

قالت الآنسة فان شويلر: الآنسة باورز ستأتي معي كالمعتاد

طبعاً، ولكني أجدها ضيقة التفكير من ناحية الرفقة الاجتماعية، ضيقة التفكير كثيراً. هناك الكثير من الأشياء الصغيرة التي تستطيع كورنيليا عملها لي.

قالت كورنيليا بحماسة: يسعدني ذلك جداً يا ابنة العم ماري!

ردّت الآنسة فان شويلر: جيد، جيد، إذن فقد اتفقنا. اذهبي يا عزيزتي وابحثي عن الآنسة باورز بسرعة، لقد حان موعد تناولي شراب البيض.

ذهبت كورنيليا، وقالت أمها: أنا ممتنة لك بالغ الامتنان يا عزيزتي ماري! أظن أن كورنيليا تعاني الكثير من عدم نجاحها اجتماعياً، وهو أمر يجعلها تشعر بالإحباط. لو كنت أستطيع تحمّل نفقات السفر لأخذتها إلى بلاد كثيرة، لكنك تعرفين كيف أصبح حالنا منذ وفاة نيد.

- بل أنا مسرورة جداً لأخذها معي، لقد كانت دوماً فتاة لطيفة تحب المساعدة وترغب بتنفيذ المهمات، كما أنها ليست أنانية مثل كثير من شباب اليوم.

نهضت السيدة روبسون فقبّلت الوجه الأجعد المصفَرّ لقريبتها الثرية العجوز وقالت: أنا شاكرة لك جداً.

وعلى الدرج قابلت امرأة طويلة القامة قوية الجسم كانت تحمل كوباً يحتوي على شراب البيض، فسألتها قائلة: إذن فأنت مسافرة إلى أوروبا يا آنسة باورز؟

- آه، نعم يا سيدة روبسون.

- يا لها من رحلة ممتعة!

- نعم، أعتقد أنها ستكون ممتعة جداً.

- لكنك سافرت خارج البلاد من قبل، أليس كذلك؟

- آه، بلى يا سيدتي؛ ذهبت إلى باريس مع الآنسة فان شويلر في الخريف الماضي، لكني لم أذهب إلى مصر من قبل.

ترددت السيدة روبسون قليلاً ثم قالت: أرجو أن لا تحدث أية مشاكل.

كانت قد خفضت صوتها، ومع ذلك ردّت الآنسة باورز بنبرتها المعتادة: آه، لا تخافي يا سيدتي؛ سأنتبه لهذا الأمر... أنا دائماً متيقظة تماماً.

ولكن قلقاً باهتاً بقي مرتسماً على وجه السيدة روبسون وهي تتابع طريقها أسفل الدرج ببطء.

-١٠-

كان السيد أندرو بيننغتون جالساً في مكتبه وسط المدينة يفتح بريده الشخصي، وفجأة كوّر قبضته وضرب الطاولة ضربة قوية، واحمر وجهه وبرز عرقان في جبينه. ثم ضغط جرساً موجوداً على طاولته فجاءت السكرتيرة الأنيقة باستعداد كامل. خاطبها قائلاً: قولي للسيد روكفورد بأن يأتي إلى هنا.

- نعم يا سيد بيننغتون.

بعد بضع دقائق دخل سترنديل روكفورد شريك بيننغتون إلى المكتب. كان الرجلان متشابهين، كلاهما طويل القامة أشيب الشعر حليق اللحية ذكي الملامح. سأل قائلاً: ما الأمر يا بيننغتون؟

رفع بيننغتون عينيه عن الرسالة التي كان يقرؤها للمرة الثانية وقال: لقد تزوجت لينيت.

- ماذا؟

- لقد سمعتَ ما قلتُه... لينيت ردجوي تزوجت!

- كيف؟ متى؟ لماذا لم نعلم بالخبر؟

نظر بيننغتون إلى تقويم على طاولته وقال: لم تكن متزوجة عندما كتبَت هذه الرسالة، لكنها الآن متزوجة. صباح الرابع من الشهر... هذا يعني اليوم.

ألقى روكفورد بنفسه على الكرسي وقال: آه، دون إنذار! ومن يكون الرجل؟

عاد بيننغتون إلى الرسالة وقال: دويل... سيمون دويل.

- ومن يكون هذا الرجل؟ هل سمعت به من قبل؟

- لا، إنها لا تقول في رسالتها الكثير.

ثم نظر إلى الكتابة الواضحة وقال: أعتقد أن في هذا الأمر شيئاً خفياً. هذا لا يهم، كل ما يهم هو أنها تزوجت.

نظر كل منهما إلى الآخر، ثم أومأ روكفورد وقال بهدوء: يحتاج الأمر إلى بعض التفكير.

- وماذا سنفعل حيال هذا الأمر؟

- أنا الذي أسالك.

جلس الرجلان صامتَين، ثم سأل روكفورد صاحبه: هل لديك أية خطة؟

قال بيننغتون ببطء: الباخرة نورماندي ستبحر اليوم، يمكن لواحد منا أن يقوم بالأمر.

- أنت مجنون! وما الهدف من ذلك؟

بدأ بيننغتون كلامه قائلاً: هؤلاء المحامون البريطانيون...

ثم سكت.

- وماذا عنها؟ لا أظنك ذاهباً لمعالجة أمرهما؟ هذا جنون!

- لا أعني أن على واحد منا الذهب إلى إنكلترا.

- إذن ما هي فكرتك؟

مسَّد بيننغتون الرسالة على مكتبه وقال: ستذهب لينيت لقضاء شهر العسل في مصر، وهي تتوقع أن تظل هناك شهراً أو أكثر؟

- مصر؟

فكر روكفورد، ثم رفع بصره ونظر إلى شريكه قائلاً: مصر... أهذه هي فكرتك!

- نعم؛ لقاء بالمصادفة في إحدى الرحلات. لينيت وزوجها، أجواء شهر العسل... يمكن القيام بذلك.

قال روكفورد بارتياب: إن لينيت ذكية، ذكية فعلاً، ولكن...

أكمل بيننغتون بهدوء: قد توجد طرق لتدبر الأمر.

نظر كل منهما إلى صاحبه مرة أخرى، ثم أومأ روكفورد برأسه قائلاً: حسناً يا صاحبي.

نظر بيننغتون إلى الساعة المعلَّقة على الجدار وقال: يجب أن نسرع، من منّا سيذهب؟

أجابه روكفورد على الفور: اذهب أنت؛ فأنت تنجح مع لينيت دائماً. العم أندرو... هذا هو مفتاح قبولك!

تصلب وجه بيننغتون وقال: أرجو أن أتمكن من إنجاز المهمة بنجاح.

قال شريكه: يجب عليك أن تنجزها بنجاح، فالوضع حرج.

-١١-

قال وليّم كارمايكل مخاطباً الشاب النحيف الذي فتح له الباب مستغرباً: أرجو أن ترسل لي السيد جيم.

دخل جيم فانثورب الغرفة ونظر إلى خاله متسائلاً، رفع الخال بصره وهو يومئ برأسه ويتأفف: ها! أنت هنا؟

- هل طلبتني؟

- ألقِ نظر على هذه فقط.

جلس الشاب وسحب حزمة الأوراق نحوه، وراقبه الرجل العجوز ثم قال: حسناً؟

جاءه الرد على الفور: يبدو لي الأمر باعثاً على الريبة.

مرة أخرى تأفف الشريك الأقدم لشركة غرانت وكارمايكل بطريقته المعتادة. أعاد جيم فانثورب قراءة الرسالة التي وصلت من مصر بالبريد الجوي مرة أخرى، وكانت تقول:

> يبدو أنه ليس من اللباقة كتابة رسائل عمل في مثل هذا اليوم. لقد قضينا أسبوعاً في فندق ميناهاوس وقمنا برحلة إلى الفيوم، وسنذهب بعد غد في رحلة نهرية في النيل إلى الأقصر وأسوان بسفينة بخارية، وربما مضينا قُدُماً إلى الخرطوم. وحين ذهبنا إلى شركة كوك السياحية هذا الصباح لنراجع بشأن تذاكرنا فمَن تظنه كان أول شخص أراه؟ إنه أندرو بيننغتون الوصيّ الأمريكي على أملاكي. أظن أنك التقيت به قبل سنتين عندما كان عندنا. لم أكن أعرف أنه موجود في مصر ولم يكن هو يعرف أنني في مصر، كما لم يكن يعرف أنني متزوجة؛ لا بد أنه سافر قبل أن يستلم رسالتي التي أخبرته فيها

بأمر زواجي. والغريب أنه سيذهب في رحلة النيل التي سنذهب فيها، أليست هذه مصادفة غريبة؟ أشكرك كثيراً على ما فعلته في هذا الوقت العصيب. أنا...

وفيما كان الشاب على وشك قلب الصفحة أخذ السيد كارمايكل الرسالة منه وقال: هذا يكفي... البقية لا تهم. ماذا ترى؟

فكر الشاب لحظة ثم قال: لا أظنها مصادفة.

أومأ الآخر بالموافقة وقال: هل تحب السفر إلى مصر؟

- أتظن أن من الحكمة ذلك؟

- أظن أن لا وقت لدينا لنضيعه.

- ولكن، لماذا أنا؟

- استخدم عقلك يا ولدي، استخدم عقلك. إن لينيت ردجوي لم تقابلك من قبل ولا بيننغتون. إذا ذهبت بالطائرة فقد تصل في الوقت المحدد.

- لا أحب ذلك.

- ربما، ولكن عليك أن تفعله.

- أهذا ضروري؟

- إنه أمر بالغ الحيوية فيما أظن.

-١٢-

قالت السيدة أوتربورن وهي تعدّل قبعتها: لا أعلم سبباً يمنعنا من السفر إلى مصر... لقد تعبت وسئمت من القدس.

وعندما لم تجبها ابنتها قالت: يمكنك أن تجيبيني على الأقل

عندما أتحدث معك.

كانت روزالي أوتربورن تنظر إلى صورة منشورة في إحدى الصحف ومكتوب تحتها: «السيدة دويل (التي كانت قبل زواجها سيدة المجتمع الجميلة المعروفة الآنسة لينيت ردجوي) تقضي مع زوجها سيمون دويل إجازة في ربوع مصر».

قالت روزالي: هل ترغبين بالسفر إلى مصر يا أمي؟

- نعم. أظن أنهم عاملونا هنا دون أي اهتمام، رغم أن وجودي هنا دعاية لهم. كان يجب أن أحصل على خصم خاص، وعندما ألمحت إليهم بهذا أصبحوا يعاملونني معاملة وقحة...بل وقحة جداً. وقد أخبرتهم برأيي فيهم بلا مواربة.

تنهدت الفتاة وقالت: كل الأماكن متشابهة، ليتنا نسافر على الفور!

- وصباح اليوم كان المدير من الوقاحة بحيث قال لي إن جميع الغرف قد حُجزت مقدَّماً وإنه سيطلب منّا إخلاء غرفتنا خلال يومين.

- إذن علينا أن نذهب إلى مكان ما.

- أبداً، فأنا على استعداد للقتال من أجل حقوقي.

- أظن أن من الأفضل السفر إلى مصر.

- إنها ليست مسألة حياة أو موت بالتأكيد.

لكنها كانت مخطئة في قولها ذاك، لأن القضية كانت قضية حياة أو موت بمعنى الكلمة!

❊ ❊ ❊

الفصل الثاني

قالت السيدة أليرتون: ذاك هو السيد هيركيول بوارو، رجل التحري.

كانت هي وابنها يجلسان خارج فندق كاتَراكت في أسوان على كرسيَّين من القش مطليَّين باللون القرمزي الفاتح، وكانا يرقبان شخصين يبتعدان، أحدهما رجل قصير القامة يرتدي بدلة من الحرير الأبيض والثاني فتاة طويلة نحيفة.

انتصب تيم أليرتون في جلسته وكأنه انتبه إلى شيء غير عادي، وسأل والدته غيرَ مصدّق: ذلك الرجل الضئيل المضحك؟

- نعم، ذلك الرجل المضحك.

- ما الذي يفعله هنا؟

ضحكت والدته وقالت: تبدو منفعلاً جداً يا عزيزي. لماذا يستمتع الرجال بالجريمة كثيراً؟ أما أنا فأكره الروايات البوليسية ولا أقرؤها أبداً. لكن لا أظن أن السيد بوارو موجود هنا لدوافع خفية، لقد جمع ثروة كبيرة وأظن أنه جاء ليستمتع بالحياة.

- يبدو أنه مهتم بأجمل فتاة في الفندق.

أمالت السيدة أليرتون رأسها على أحد الجانبين قليلاً تنظر إلى السيد بوارو ورفيقته وهما يبتعدان. كانت الفتاة التي تسير بجانبه

أطول منه بعشر سنتمترات تقريباً، وكانت تمشي مشية جيدة غير مترهّلة.

قالت السيدة أليرتون: أظن أنها جميلة.

نظرت إلى ابنها تيم بطرف عينيها، فنهض ابنها على الفور وهو يقول: إنها أكثر من ذلك... من المؤسف أنها تبدو متجهّمة وعصبية.

- ربما كان مجرَّد مظهر ليس أكثر يا عزيزي.

- أظن أنها نكدة، لكنها جميلة جداً.

كانت الفتاة موضوع الحديث تسير ببطء إلى جانب بوارو. كانت روزالي أوتربورن تدير مظلة شمسية لم تفتحها وكان يبدو على محياها بالتأكيد التعبير الذي وصفه تيم، فقد بدت عصبية متجهمة فعلاً. كان حاجباها قد تقطّبا عبوساً، فيما تراخت زوايا فمها نزولاً لتكتمل صورة العبوس.

انعطفا إلى اليسار خارج بوابة الفندق ودخلا إلى حيث ظل الأشجار الباردة في الحدائق العامة، وكان هيركيول بوارو يثرثر بصوت خفيف تبدو عليه البهجة والسعادة. كان يرتدي بدلة حريرية بيضاء مكوية بشكل جيد وقبعته بنية ويحمل بيده مذبّة حشرات مزركشة ذات مقبض من الكهرمان الأصفر الصناعي، كان يقول: إنني مفتون بما أرى، الصخور السوداء الضخمة والشمس والقوارب الصغيرة في النهر... نعم، جميل أن يعيش المرء حتى يرى هذه المناظر.

سكت قليلاً ثم أضاف يقول: ألا تشعرين بنفس الشعور يا آنسة؟

قالت روزالي أوتربورن باقتضاب: لا بأس بها. أظن أن أسوان

منطقة كئيبة نوعاً ما... الفندق نصف فارغ وكل من فيه قد تجاوز المئة عام!

ثم سكتت وعضت شفتيها، فطرفت عينا بوارو وقال: نعم، هذا صحيح؛ إن إحدى رجليّ في القبر.

قالت الفتاة: أنا... أنا لم أكن أفكر فيك. إنني آسفة، يبدو أن كلماتي كانت قاسية.

- أبداً، من الطبيعي أن تتمني وجود رفاق لك في نفس عمرك. هناك شاب واحد على الأقل.

- الشاب الذي يجلس مع والدته طول الوقت؟ أمه تعجبني ولكني أراه فظيعاً؛ يبدو مغروراً جداً.

ابتسم بوارو وقال: وأنا، هل أنا مغرور؟

- آه، لا أظن ذلك.

كان واضحاً أنها غير مهتمة، ولكن يبدو أن هذه الحقيقة لم تضايق بوارو الذي قال بهدوء: إن أفضل صديق لي يقول إنني مغرور جداً.

- آه، أعتقد أن لديك من الأسباب ما يجعلك مغروراً، ولسوء الحظ فإن الجريمة لا تثير اهتمامي أبداً.

ردّ عليها بوارو بوقار: أنا مسرور لأنه لا يوجد عندك أسرار مريبة لإخفائها.

ولبضع ثوان فقط تبدل قناع التجهم على وجهها، إذ رمت بوارو بنظرة تساؤل سريعة. ولم يَبدُ أن بوارو قد لاحظ ذلك، فقد أكمل يقول: السيدة والدتك لم تكن موجودة على الغداء اليوم. أرجو أن لا تكون متوعكة؟

ردّت عليه روزالي باختصار: هذا المكان لا يناسبها، سأكون سعيدة عند مغادرتنا.

- إننا رفاق سفر، أليس كذلك؟ وسنذهب كلانا في الرحلة صعوداً إلى وادي حلفا والشلال الثاني؟

- نعم.

خرجا من ظلال أشجار الحدائق إلى طريق يحدّه النهر، واقترب منهما خمسة من بائعي العقود والخرز وبائعان لبطاقات المعايدة وثلاثة باعة لدُمى الخنافس التي كان قدماء المصريين يتخذونها رمزاً لهم، وولدان يجرّان حماريهما وبعض من أولاد البلد.

- هل تريد أي خرز يا سيدي؟ إنه جيد يا سيدي... رخيص جداً.

- هل تريدين خنفساء يا سيدتي؟

- انظر يا سيدي، حجر اللازورد الحقيقي. إنه جيد ورخيص جداً.

- هل تريد ركوب الحمار يا سيدي؟ إنه حمار جيد يا سيدي.

- هل تريد الذهاب إلى محاجر الغرانيت يا سيدي؟ هذا حمار جيد...

- أتريد بطاقة معايدة؟ إنها رخيصة جداً وجميلة جداً.

- انظري يا سيدتي، عشرة قروش فقط، رخيصة جداً... حجر اللازورد... هذا عاج.

- هذه مكشّة ذباب جيدة ويدها من الكهرمان.

- هل تريد ركوب القارب يا سيدي؟ لديّ قارب جيد يا سيدي.

- هل تريدين العودة إلى الفندق يا سيدتي؟ إنه حمار من الدرجة الأولى.

قام هيركيول بوارو بالتلويح بيديه للتخلص من الأولاد حوله، بينما عبرت روزالي بينهم كالسائرة في نومها، ثم قالت: من الأفضل أن يتظاهر المرء بالصمم والعمى.

تراجع الباعة وقاموا بشنّ هجوم جديد على القادم الجديد، وعرج بوارو وروزالي ليدخلا معمعة شارع يحفل بالمحلات على جانبيه، وهنا كانت اللهجة راقية مؤدبة مقنعة.

- هل تزور محلي اليوم يا سيدي؟ هل تريد هذا التمساح المصنوع من العاج يا سيدي؟

- إنك لم تدخل محلي بعد يا سيدي؟ سأريك أشياء جميلة جداً.

دخلا إلى المحل الخامس حيث قامت روزالي بتسليم صاحبه عدداً من الأفلام لتحميضها، الأمر الذي كان سبب خروجهما أصلاً، ثم خرجا ثانية وسارا باتجاه شاطئ النهر. كانت واحدة من سفن النيل ترسو لتوها على الشاطئ، ونظر بوارو وروزالي إلى الركاب باهتمام.

علّقت روزالي قائلة: إنهم مجموعة كبيرة جداً.

التفتت إلى الوراء لترى تيم أليرتون قادماً لينضم إليهما، كان يلهث قليلاً وكأنه كان يغذ خطاه. وقفوا هناك لبعض الوقت ثم تكلم تيم قائلاً باستخفاف وهو يشير إلى الركاب الذين كانوا ينزلون من السفينة: حشد مزعج كالمعتاد.

وافقته روزالي قائلة: إنهم مزعجون في العادة.

كان الثلاثة جميعاً يأخذون سمت التفوق الذي يتخذه الناس

عادة إزاء القادم الجديد إلى مكان استقروا هم فيه من قبل. ثم هتف تيم وقد بدا عليه الانفعال فجأة: آه! أراهنكم على أن هذه هي لينيت ردجوي.

ولئن لم تكن هذه المعلومة قد حركت في بوارو شيئاً فإنها أثارت اهتمام روزالي؛ فقد مالت إلى الأمام وتلاشى عنها العبوس وهي تسأل: أين؟ تلك التي ترتدي ثوباً أبيض؟

- نعم، هناك مع الرجل الطويل، إنهما ينزلان إلى الشاطئ. أظنه زوجها الجديد... لا أذكر اسمه الآن.

قالت روزالي: دويل... سيمون دويل، لقد نُشر الخبر في كل الصحف. إنها رمز للثراء، أليس كذلك؟

ردّ عليها تيم مبتهجاً: تكاد فقط تكون أغنى فتاة في إنكلترا.

كان الثلاثة يرقبون الركاب وهم ينزلون إلى الشاطئ، ونظر بوارو إلى الفتاة التي كان يتحدث عنها رفيقاه ثم تمتم قائلاً: إنها جميلة.

قالت روزالي بمرارة: بعض الناس يجتمع لهم كل شيء.

بدت على وجهها ملامح ضغينة غريبة وهي ترقب الفتاة تصعد إلى المعبر الخشبي. كانت لينيت ردجوي تبدو متأنقة بشكل كامل وكأنها تصعد إلى خشبة المسرح، وكانت تمتلك أيضاً ثقة ممثلة مشهورة. كانت معتادة على أن ينظر الناس إليها وأن يعجبوا بها وأن تكون مركز الاهتمام حيثما ذهبت، ومع ذلك بدت وكأنها لا تكاد تدرك تلك النظرات؛ كانت مثل هذه المزايا جزءاً من حياتها.

نزلت إلى الشاطئ وهي تلعب دوراً، إلا أنها تلعبه دون إدراك منها؛ دور العروس الغنية الجميلة في شهر عسلها. التفتت إلى الرجل الطويل الذي يمشي بجانبها بابتسامة خفيفة وملاحظة خفيفة

أيضاً، فأجابها. وبدا أن صوته قد أثار اهتمام هيركيول بوارو، فقد التمعت عيناه وقطّب حاجبيه.

مرّ الزوجان قريباً منه، سمع سيمون دويل يقول: سنحاول تخصيص وقت لذلك يا حبيبتي، يمكننا البقاء هنا أسبوعاً أو أسبوعين إن أحببت هذا المكان.

كان وجهه ملتفتاً إليها، متلهفاً، وَلِهاً، ومتواضعاً بعض الشيء. ونظر بوارو إليه نظرات تأمل: المنكبان العريضان، الوجه البرونزي، العينان الزرقاوان، ابتسامته الطفولية البسيطة...

قال تيم بعد أن مرّ الزوجان: شيطان محظوظ! غريب أن يجد وريثة غير منتفخة الوجه والقدمين!

قالت روزالي بنبرة حسد في صوتها: "يبدوان في غاية السعادة"، ثم أضافت فجأة ولكن بصوت منخفض جداً، بحيث لم يسمع تيم ما قالته: ليس ذلك عدلاً!

ولكن بوارو سمعها. كان يعبس بشيء من الحيرة، لكنه الآن نظر إليها نظرة سريعة.

قال تيم: أريد أن أحضر لأمي بعض الأغراض.

رفع قبعته بالتحية ثم انطلق، وعاد بوارو وروزالي أدراجهما في اتجاه الفندق وهما يبعدان عنهما أصحاب الحمير الجدد الذين عرضوا خدماتهم. سألها بوارو بلطف: إذن فهذا ليس عدلاً يا آنسة؟

احمرّ وجه الفتاة وقالت: لا أدري ما الذي تعنيه.

- إنني أكره العبارة التي قلتِها الآن بصوت خافت. نعم، لقد قلتِ ذلك.

رفعت روزالي أوتربورن كتفيها بلامبالاة وقالت: يبدو كثيراً بعض الشيء على شخص واحد أن يمتلك المال والمظهر الجميل و...

سكتت، فقال بوارو: والحب؟ إيه؟ الحب؟ لكنك لا تعرفين، ربما تزوجها هذا الرجل من أجل مالها!

- ألم تلاحظ الطريقة التي كان ينظر بها إليها؟

- آه، نعم يا آنسة؛ رأيت كل ما يمكن رؤيته، والحق أنني رأيت شيئاً لم تريه أنت.

- وما هو؟

قال بوارو ببطء: رأيت -يا آنسة- خطوطاً سوداء أسفل عيني المرأة، ورأيت يداً كانت تقبض على مظلة شمس بقوة جعلت عظام يدها تبدو بيضاء.

قالت روزالي وهي تحدّق إليه: ماذا تقصد؟

- أقصد أنه ليس كل ما يلمع ذهباً. أقصد أنه ورغم ما تجده هذه السيدة من غنى وجمال وحب إلاّ أن هناك شيئاً ما غير صحيح. كما أنني أعرف شيئاً آخر.

- وما هو؟

أجابها بوارو عابساً: أعرف أنني سمعت ذلك الصوت في مكان ما في وقت ما من قبل، صوت السيد دويل، وليتني أستطيع أن أتذكر أين سمعته.

لكن روزالي لم تكن مصغية، بل كانت قد وقفت دون حركة وأخذت ترسم برأس مظلتها أشكالاً على الرمال، وفجأة انفجرت تقول بغضب: إنني كريهة، كريهة جداً، أنا حقيرة بكل ما في الكلمة

من معنى. أودّ لو أنني أمزق ثيابها وأدوس على وجهها الجميل الواثق المغرور! أنا امرأة حسودة، ولكن هذا ما أشعر به. إنها شديدة الكبرياء والثقة والنجاح.

بدا هيركيول بوارو مستغرباً قليلاً ممّا سمع، فأمسكها من ذراعها وهزها هزة خفيفة وقال: انتبهي، ستشعرين بتحسن لقولك هذا!

- أنا أكرهها! رغم أنني لم أكره أحداً لهذه الدرجة من النظرة الأولى.

- رائع!

نظرت روزالي إليه نظرات ارتياب، ثم التوى فمها وضحكت.

قال بوارو: "جيد"... وضحك هو الآخر. ثم عادا إلى الفندق بهدوء.

قالت روزالي بعد أن دخلا قاعة الفندق الباردة: عليّ أن أجد والدتي.

ذهب بوارو إلى المصطبة المطلة على النيل في الجانب الآخر من الفندق. كانت توجد طاولات لشرب الشاي لكن الوقت كان مبكراً، فوقف ينظر إلى النهر بضع لحظات ثم ذهب يتمشى في الحديقة.

كان بعض الناس يلعبون التنس تحت الشمس الحارة، فوقف ينظر إليهم لبعض الوقت ثم نزل الطريق المنحدر، وهناك صادف الفتاة التي التقاها في مطعم تشيزماتانت ذات يوم. كانت تجلس على مقعد يطل على النيل، وقد عرفها على الفور. لقد ظل وجهها عالقاً في مخيّلته كما رآها في تلك الليلة، أما تعابير وجهها فقد كانت مختلفة

تماماً الآن. كانت أكثر شحوباً ونحولاً وعلى وجهها خطوط توحي بعظيم الأسى وتعاسة الروح.

تراجع إلى الوراء قليلاً إذ لم تكن قد رأته، وراقبها لبعض الوقت دون أن تشعر بوجوده. كانت قدمها الصغيرة تربّت على الأرض بنفاد صبر وعيناها السوداوان تخفيان ناراً مكبوتة وتوحيان بنوع غريب من الانتصار المعذَّب الغامض، وكانت تنظر إلى النيل أمامها حيث القوارب الشراعية البيضاء تمخر عباب النهر.

وجه، وصوت. تذكّرهما الآن معاً؛ وجه هذه الفتاة والصوت الذي سمعه قبل قليل، صوت الزوج الجديد. حتى عندما كان يقف هناك ناظراً إلى الفتاة شاردة الذهن، كان المشهد التالي من المسرحية يجري.

سُمعت أصوات من أعلى الطريق فنهضت الفتاة واقفة. جاءت لينيت دويل وزوجها يمشيان على الطريق، كان صوت لينيت سعيداً واثقاً وقد اختفت تماماً نظرة التوتر والشدّ العضلي، فلينيت الآن سعيدة. تقدمت الفتاة التي كانت جالسة خطوة أو خطوتين إلى الأمام، فوقف الآخران دون حراك. قالت جاكلين دي بيلفورت: أهلاً لينيت، أنتما هنا إذن! يبدو أننا لن نتوقف عن مصادفة بعضنا البعض! مرحباً يا سيمون، كيف حالك؟

كانت لينيت دويل قد تراجعت إلى صخرة خلفها وأطلقت صرخة خافتة، وتقلّص فجأة الوجه الجميل لسيمون دويل غضباً ثم تقدم خطوة كما لو أنه يرغب بضرب الفتاة النحيلة أمامه. قامت الفتاة بالتفاتة سريعة أظهرت إدراكها لوجود شخص غريب، والتفت سيمون فرأى بوارو، فقال بارتباك فظيع: مرحباً يا جاكلين، لم نتوقع رؤيتك هنا.

كانت الكلمات غير مقنعة أبداً.

ابتسمت الفتاة ابتسامة مصطنعة في وجهيهما وقالت: هل كانت مفاجأة؟

ثم أومأت برأسها وصعدت الطريق.

تحرك بوارو في الاتجاه المعاكس بهدوء، وسمع -وهو يذهب- لينيت دويل تقول: سيمون، بالله عليك! سيمون، ماذا نفعل؟

* * *

الفصل الثالث

انتهى العشاء. كانت المصطبة خارج فندق كاتَراكت مضاءة إضاءة هادئة خفيفة ومعظم نزلاء الفندق يجلسون على طاولات صغيرة. خرج سيمون ولينيت دويل وإلى جانبهما رجل طويل القامة بادي الأهمية أبيض الشعر حليق اللحية ذو وجه أمريكي، وعندما كانت المجموعة الصغيرة مترددة عند مدخل الباب نهض تيم أليرتون عن كرسيه القريب وتقدم نحوهم فقال مخاطباً لينيت: أعرف أنك لا تتذكرينني، لكني ابن عمة جوانا ساوثْوُد.

- بالطبع، يا لذاكرتي! أنت تيم أليرتون، هذا زوجي.

كانت في صوتها نبرة رجفة خفيفة. أهي الكبرياء، أم الخجل؟ أكملت تقول: وهذا هو الوصيّ الأمريكي على أملاكي، السيد بيننغتون.

قال تيم: لا بد أن أعرّفك بوالدتي.

وبعد دقائق معدودة كانوا يجلسون معاً في مجموعة؛ لينيت في الزاوية وعلى جانبيها تيم وبيننغتون كلاهما يحدثانها في تنافس على لفت نظرها، أما السيدة أليرتون فكانت تتحدث مع سيمون دويل.

دار الباب الدوّار، وظهر توتر مفاجئ على وجه الفتاة الجميلة التي تجلس في الزاوية بين الرجلين، ثم ذهب التوتر عنها عندما أطل رجل صغير وتقدم إلى المصطبة. قالت السيدة أليرتون: لستِ

النجمة الوحيدة هنا يا عزيزتي؛ إن ذلك الرجل الصغير المضحك هو هيركيول بوارو.

قالت ذلك بأسلوب عرَضي لم ينبع إلاّ عن لباقة اجتماعية غريزية تهدف إلى كسر الصمت الفظيع الذي ساد الجو، ولكن لينيت بدت مصدومة لهذه المعلومة، وقالت: هيركيول بوارو؟ بالطبع، لقد سمعت عنه.

بدت غارقة في التفكير، أما الرجلان إلى جانبيهما فقد كانا حائرين.

كان بوارو قد ذهب إلى طرف المصطبة، لكن امرأة اعترضته على الفور وقالت: اجلس يا سيد بوارو، يا لها من ليلة رائعة!

أذعن طائعاً وقال: نعم يا سيدتي، إنها ليلة جميلة فعلاً.

ابتسم للسيدة أوتربورن بأدب. يا لهذا الثوب الأسود وتلك القبعة المضحكة! أكملت السيدة أوتربورن بصوتها المتذمر العالي: يوجد العديد من المشاهير هنا الآن، أليس كذلك؟ أظن أننا سنقرأ خبراً عن هذا الجمع في الصحف قريباً: جميلات المجتمع وروائيون مشهورون.

ثم أطلقت ضحكة خافتة توحي بالتواضع الكاذب وسكتت. أحسّ بوارو -دون أن يرى ذلك بوضوح- بأن الفتاة النكدة العابسة الجالسة أمامه (ابنة السيدة أوتربورن) قد تقبَّضت استياء وزمّت شفتيها لتزداد عبوساً ونكداً.

سأل بوارو: هل تكتبين رواية جديدة يا سيدتي؟

أطلقت السيدة أوتربورن ضحكتها المفتعلة الخافتة وقالت: إنني كسولة جداً، عليّ فعلاً أن أبدأ بها. لقد نفد صبر جمهوري تماماً، وكذلك الناشر المسكين الذي ينشر رواياتي. إنه يتوسل إليّ في

كل رسالة، بل إنه يرسل برقيات!

مرة أخرى أحسّ أن الفتاة تتململ في جلستها.

- ليس عندي مانع أن تعرف يا سيد بوارو أنني موجودة هنا لإضفاء مسحة محلية على رواية لي. «ثلوج على وجه الصحراء»... هذا هو عنوان روايتي الجديدة. إنه عنوان قوي ومرح... ثلوج على الصحراء تذوب عند أول زفرة حب حَرّى.

نهضت روزالي وهي تهمهم بكلمات غير مسموعة وخرجت إلى الحديقة المظلمة، وأكملت السيدة أوتربورن وهي تعدّل قبعتها: يجب أن يكون المرء قوياً. إن أعمالي جريئة تماماً وفيها كثير من العاطفة لدرجة أن المكتبات العامة تحظرها. لا يهم! هل قرأت رواياتي يا سيد بوارو؟

- للأسف يا سيدتي؛ أنا لا أقرأ كثيراً من الروايات فعملي...

قالت السيدة أوتربورن بقوّة: يجب أن أعطيك نسخة من إحدى رواياتي.

- هذا لطف منك يا سيدتي؛ لا بد أن أقرأها بكل سرور.

سكتت السيدة أوتربورن بعض الوقت، تململت وحركت أصابعها على عقد الخرز الذي يطوق عنقها، ونظرت من جانب لآخر بسرعة ثم قالت: ربما، سأنسلّ سريعاً وأحضرها لك الآن.

- آه، أرجو أن لا تتعبي نفسك. فيما بعد.

- لا، لا، لا مشكلة.

نهضت ثم قالت: أحب أن أريك...

- ما الأمر يا أمي؟

كانت روزالي تقف بجانبها فجأة.

- لا شيء يا عزيزتي، كنت أريد أن أصعد لأحضر كتاباً للسيد بوارو.

- آخر رواياتك؟ سأحضرها بنفسي.

- أنت لا تعرفين مكانها يا عزيزتي، سأذهب أنا.

- بل أعرف.

ذهبت الفتاة بسرعة باتجاه الصالة، فقال بوارو وهو ينحني: أرجو أن تقبلي تهنئتي لك يا سيدتي بابنتك الجميلة.

- روزالي؟ نعم، نعم، إنها جميلة، لكنها قاسية جداً يا سيد بوارو، وهي لا ترقّ إزاء المرض؛ دائماً تظن أنها تعرف أفضل من الآخرين، إنها تتخيل أنها تعرف عن صحتي أكثر مما أعرفه أنا.

أشار بوارو إلى نادل مرّ من جانبه وقال: شراب يا سيدتي؟

هزت السيدة أوتربورن رأسها بعنف وقالت: لا، لا؛ أنا من دعاة تحريم الخمور. ربما لاحظت أنني لا أشرب شيئاً غير الماء، وربما عصير الليمون، إنني لا أطيق طعم الخمور.

- إذن هل أطلب لك عصير ليمون يا سيدتي؟

طلب من النادل كوباً من عصير الليمون وفنجان قهوة، ثم دار الباب الدوّار ودخلت روزالي منه وجاءت نحوهما تحمل الكتاب بيدها. قالت بصوت يخلو من أي تعبير: ها هو.

قالت أمها: لقد طلب لي السيد بوارو كوباً من عصير الليمون.

- وأنت يا آنسة، ماذا تشربين؟

- لا شيء.

ثم انتبهت فجأة إلى فظاظتها فقالت: لا شيء، أشكرك.

أخذ بوارو الكتاب الذي ناولته له السيدة أوتربورن وهزّ رأسه بإعجاب قائلاً: يشرفني هذا يا سيدتي.

وعندما رفع رأسه التقت عيناه بعيني ابنة الكاتبة، فقام بحركة لاإرادية تقريباً، إذ أذهله وأحزنه الألم الواضح في تلك العينين. وفي تلك اللحظة وصلت المشروبات فأضفت جواً جديداً مرغوباً.

قالت السيدة أوتربورن وهي ترشف من كوب العصير: منعش جداً، لذيذ!

خيّم الصمت على الثلاثة ونظروا إلى الصخور السوداء اللامعة في نهر النيل أسفل منهم. كان المنظر خيالياً رائعاً مع انعكاس ضوء القمر عليها، كانت الصخور كوحوش هائلة الحجم أخرجت نصف أجسامها من الماء. هبّت نسمات باردة فجأة ثم تلاشت، كان هناك في الجو إحساس بهدوء مصطنع، إحساس بالترقب.

عاد هيركيول بوارو بنظراته إلى المصطبة والموجودين فيها، أتراه كان مخطئاً أم كان هناك أيضاً نفس الهدوء والترقب؟ كانت مثل لحظة على خشبة المسرح ينتظر المرء فيها دخول الممثلة الرئيسية. وفي تلك اللحظة تماماً بدأ الباب الدوّار المفضي إلى المصطبة بالدوران مرة أخرى، وبدا أن الباب يدور هذه المرة بشيء خاص مهم، فقد سكت الجميع عن الحديث وهم ينظرون إلى الباب.

دخلت منه فتاة نحيفة سوداء الشعر ترتدي ثوباً أحمر، توقفت لحظة ثم مشت مشياً متأنياً عبر المصطبة وجلست عند طاولة خالية. لم تكن في تصرفها وحركتها أية مظهرية أو شيء غير عادي، إلاّ أنه كان لدخولها -رغم ذلك- التأثير المدروس الذي يميز دخول ممثلة إلى المسرح.

قالت السيدة أوتربورن وهي تهز رأسها: حسناً، يبدو أن تلك الفتاة ترى نفسها شخصية مهمة!

لم يجبها بوارو، فقد كان يراقب الموقف. كانت الفتاة قد جلست في مكان تستطيع أن ترى منه لينيت دويل رؤية فاحصة، ولاحظ بوارو أن لينيت دويل قد مالت على الفور إلى الأمام وقالت شيئاً، وبعد لحظة نهضت وغيرت مقعدها فصارت تجلس ووجهها في الاتجاه المعاكس.

أومأ بوارو برأسه متأملاً.

وبعد خمس دقائق غيرت الفتاة الأخرى مقعدها وجلست في الجانب المقابل من المصطبة، جلست تبتسم بهدوء راضية مسرورة، لكن نظراتها الفاحصة كانت تنصبّ دائماً على زوجة سيمون دويل كما لو كان ذلك على غير وعي منها. وبعد ربع ساعة نهضت لينيت دويل فجأة ودخلت الفندق، وتبعها زوجها على الفور.

ابتسمت جاكلين دي بيلفورت وأدارت كرسيها باتجاه النيل، وظلّت تبتسم مع نفسها.

* * *

الفصل الرابع

- سيد بوارو...

وقف بوارو على رجليه بسرعة. كان قد بقي جالساً في المصطبة وحيداً بعد مغادرة الجميع، وكان يحدق إلى الصخور السوداء اللامعة مستغرقاً في التفكير عندما أعاده النداء إلى نفسه. كان صوتاً مهذباً واثقاً فاتناً على الرغم من وجود بعض الغرور فيه.

وقف هيركيول بوارو بسرعة ونظر إلى عيني لينيت دويل الساحرتين. كانت ترتدي معطفاً مخملياً أرجواني اللون وبدت أكثر جمالاً وفخامة مما كان بوارو يتخيلها. سألته: أأنت السيد هيركيول بوارو؟

لم يكن سؤالاً بمعنى الكلمة.

- في خدمتك يا سيدتي.

- ربما تعرف من أنا؟

- نعم يا سيدتي، لقد سمعت باسمك وأعرف من أنت تماماً.

أومأت لينيت. ذلك ما كانت تتوقعه، ثم أكملت تقول بأسلوبها الساحر المستبدّ: هلاّ جئت معي إلى غرفة لعب الورق يا سيد بوارو؟ إنني بحاجة شديدة للحديث معك.

- بالتأكيد يا سيدتي.

سبقته إلى داخل الفندق وتبعها، قادته إلى غرفة خالية للعب الورق وأشارت عليه بإغلاق الباب، ثم جلست على كرسي عند إحدى الطاولات وجلس هو قبالتها. اندفعت مباشرة إلى ما كانت تريد أن تقوله؛ لم يكن هناك أي تردد، كانت كلماتها تنساب منها انسياباً طبيعياً: لقد سمعت عنك الكثير يا سيد بوارو وأعرف أنك رجل خارق الذكاء، والواقع أنني في حاجة عاجلة وماسّة لمساعدة من أحد، وأظن أنك الرجل الذي تصلح لهذا العمل.

أمال بوارو رأسه وقال: إنك في غاية اللطف يا سيدتي، لكني في إجازة كما ترين، وعندما أكون في إجازة فإنني لا أتولى أية قضايا.

- يمكن ترتيب هذا الأمر.

لم تقل تلك العبارة بأسلوب مُهين، بل بثقة هادئة لفتاة كانت دوماً قادرة على ترتيب الأمور وفق ما يرضيها. ثم أكملت تقول: إنني -يا سيد بوارو- هدف لمضايقة لا تُطاق، ويجب وقف هذه المضايقة. كنت أفكر في إبلاغ الشرطة بهذا الأمر، لكن زوجي يرى أن الشرطة لا يمكنهم عمل شيء حيال هذه المشكلة.

تمتم بوارو بأدب: هل تشرحين لي الموضوع أكثر؟

- آه، نعم، سأفعل. المسألة بسيطة للغاية.

لم يكن عندها أي تردد ولم تتلعثم؛ كانت لينيت دويل تملك عقلاً عملياً تماماً. سكتت دقيقة لترتب الحقائق بدقة قدر الإمكان ثم قالت: قبل أن ألتقي بزوجي كان خاطباً فتاة اسمها الآنسة دي بيلفورت، وكانت هي صديقة لي. ثم فسخ زوجي خطوبته بها إذ لم يكونا متناسبين بأي شكل، ويؤسفني القول إنها بالغت في ردة فعلها إزاء هذا الأمر. إنني آسفة جداً لذلك، ولكن مثل هذه الأمور لا يمكن تلافيها. وقد قامت بتوجيه تهديدات معينة لم ألقِ لها بالاً، ويمكنني القول إنها لم تحاول تنفيذها. لكنها بدلاً من ذلك لجأت

إلى أسلوب غريب وهو ملاحقتنا حيثما ذهبنا.

رفع بوارو حاجبيه دهشة وقال: آه، هذا انتقام غريب!

- غريب جداً، وسخيف جداً! لكنه مزعج أيضاً.

ثم عضت على شفتيها، فأومأ بوارو وقال: نعم، أستطيع تخيل ذلك. علمت أنك تقضين الآن شهر العسل؟

- نعم. لقد حدث ذلك أول مرة في البندقية؛ كانت هناك في فندق دانيالي، وظننتُ أن تلك كانت مجرد مصادفة. كان وضعاً محرجاً. ثم وجدناها على ظهر السفينة في برينديسي، وقد فهمنا أنها كانت ذاهبة إلى فلسطين وتركناها في السفينة، ولكن... ولكن عندما وصلنا إلى مينا هاوس وجدناها هناك في انتظارنا.

أومأ بوارو وقال: والآن؟

- جئنا إلى هنا على متن سفينة عبر النيل، وقد توقعت وجودها في السفينة، وعندما لم أجدها فيها ظننتُ أنها توقفت عن أساليبها الطفولية هذه، ولكن عندما وصلنا إلى هنا كانت في انتظارنا!

نظر بوارو إليها نظرات متفحصة لبعض الوقت. كانت ما تزال رابطة الجأش تماماً، ولكن عظام قبضتها التي كانت تمسك بالطاولة بدت بيضاء من شدة قبضتها. قال: هل أنت خائفة من احتمال استمرار هذه الحالة؟

- نعم.

سكتت قليلاً ثم أضافت: إنه تصرف سخيف بالطبع! إن جاكلين تجعل من نفسها أضحوكة، إنني أستغرب من عدم امتلاكها كبرياء أو كرامة.

أشار بوارو بيده بحركة خفيفة وقال: هناك أوقات يتم فيها

تجاهل الكبرياء والكرامة يا سيدتي! هناك عواطف أخرى أقوى.

ردّت عليه لينيت بنفاد صبر: نعم، هذا ممكن. ولكن ما الذي تأمل أن تكسبه من عملها هذا كله؟

- المسألة ليست دائماً مسألة كسب يا سيدتي.

كان في نبرته شيء أثّر سلباً في لينيت، فاحمرّ وجهها وقالت بسرعة: أنت على حق. إن دراسة الدوافع لا صلة لها بالموضوع، النقطة الأساسية في هذا الأمر أنه ينبغي وقف هذا العمل.

- وكيف تقترحين تحقيق ذلك يا سيدتي؟

- من الطبيعي أن نرفض أنا وزوجي الاستمرار في الخضوع لهذا الإزعاج، لا بد من سبيل قانوني يمنع مثل هذا الأمر.

كانت تتكلم دون صبر، فنظر بوارو إليها نظرات متأملة وهو يسألها: هل وجّهت إليك تهديدات صريحة على الملأ؟ أو استخدمت لغة الشتم؟ أو حاولت إيقاع أذى جسدي بك؟

- لا.

- إذن، وبصراحة يا سيدتي، لا أرى شيئاً يمكنك عمله. إن أحبت فتاة أن تسافر إلى أماكن معيّنة وكانت تلك الأماكن هي نفسها التي تذهبين إليها مع زوجك، فما هو المانع من ذلك؟ إن الهواء مجاني مبذول للجميع! هل تفرض نفسها على خصوصيتك؟ إن لقاءاتها بك لا تتم إلاّ في الأماكن العامة، أليس كذلك؟

قالت وكأنها لا تصدق ما تسمع: هل تعني أنه لا يوجد شيء أستطيع عمله حيال هذا الأمر؟

قال بوارو بهدوء: لا شيء أبداً حسب ما أراه. إن الآنسة دي بيلفورت تتصرف ضمن حقوقها.

- ولكن... ولكنه يثير الجنون! إنه لَممّا لا يُحتمَل أن أضطر إلى معايشة هذا كله.

قال بوارو باقتضاب: عليّ أن أتعاطف معك يا سيدتي، خاصة وأنا أرى أنك لم تضطري كثيراً إلى معايشة ما تكرهين.

كانت لينيت عابسة وقالت: لا بد من وجود طريقة لمنع هذا.

رفع بوارو كتفيه بلامبالاة وقال: يمكنك دوماً المغادرة... الانتقال من مكان إلى آخر.

- سوف تتبعنا.

- هذا ممكن، نعم.

- وهو أمر سخيف!

- بالضبط.

- ثم لماذا أهرب، أو نهرب؟ وكأن، كأن...

ثم سكتت، فقال: بالضبط يا سيدتي، وكأن! الموضوع كله في «كأن» هذه، أليس كذلك؟

رفعت لينيت رأسها وحملقت إليه قائلة: ماذا تعني؟

غيّر بوارو لهجته، مال بجسده إلى الأمام وقال بصوت خافت هادئ وكأنه يفضي بسر: لماذا تهتمين كثيراً يا سيدتي؟

- لماذا؟ إنه عميل يثير الجنون... عمل يغيظ إلى أبعد درجة. لقد قلت لك السبب!

هز بوارو رأسه وقال: ليس تماماً.

- ماذا تعني؟

عاد بوارو إلى الوراء ولفّ ذراعيه وتحدث بأسلوب موضوعي

مجرد: اسمعيني يا سيدتي، سأسرد عليك قصة صغيرة. ذات يوم، قبل شهر أو شهرين، كنت أتعشى في أحد المطاعم في لندن، وكان على الطاولة المجاورة لي شخصان، رجل وفتاة. كانا سعيدين جداً، أو هكذا بدا الأمر؛ يحبان بعضهما كثيراً، وكانا يتحدثان عن المستقبل بثقة كبيرة. هذا لا يعني أنني كنت أتنصّت على ما لم يكن يعنيني، فقد كانا غافلَين تماماً عمّن كان يسمعهما وعمن لم يسمع. كان الرجل يدير ظهره لي، لكني كنت أستطيع مراقبة وجه الفتاة. كان وجهاً منفعلاً جداً. إنها تحب قلباً وروحاً، ولم تكن الفتاة من أولئك اللواتي يحببن حباً سطحياً يغيِّرنه كل يوم. كان واضحاً أن الحب بالنسبة لها مسألة حياة أو موت. كانا مخطوبين وينويان الزواج، هذا ما فهمته، وكانا يتحدثان عن الأماكن التي يعتزمان قضاء شهر العسل فيها، وقد خططا للذّهاب إلى مصر.

سكت، فقالت لينيت بحدة: حسناً؟

- حدث ذلك قبل شهر أو شهرين، لكني لم أنسَ وجه الفتاة، أعرف أنني سأتذكره إذا رأيته ثانية، وأتذكر صوت الرجل أيضاً. وأظن أن باستطاعتك يا سيدتي تخمين أين رأيتها وأين سمعته؟ هنا في مصر. الرجل يقضي شهر عسله، نعم، لكنه يقضي شهر عسله مع امرأة أخرى.

قالت لينيت بصوت حاد: وماذا في ذلك؟ لقد ذكرت لك الحقائق.

- الحقائق، نعم.

- إذن ماذا هناك؟

ردّ عليها بوارو ببطء: لقد ذكرت تلك الفتاة وهي في المطعم صديقة لها، صديقة لها كانت متأكدة جداً من أنها لن تخذلها، وأظن أن تلك الصديقة هي أنت يا سيدتي.

- نعم، لقد أخبرتك بأننا كنّا صديقتين.

احمرّ وجه لينيت.

- وقد وثقت بك، أليس كذلك؟

- بلى.

ترددت لحظة وهي تعضّ على شفتيها بصبر نافد، ولمّا لم يُبدِ بوارو استعداداً للحديث صاحت تقول: إن ما حدث بالطبع أمر مؤسف جداً، لكن مثل هذه الأشياء تحدث يا سيد بوارو.

- آه، نعم، تحدث يا سيدتي.

ثم سكت قليلاً وقال: أظن أنك قرأت الكتاب المقدس؟

بدت لينيت متحيرة قليلاً، قالت: نعم.

- إذن فأنت تعرفين قصة سيدنا داود عليه السلام، قصة ذلك الرجل الغني الذي كان يمتلك الكثير من النعاج والرجل الفقير الذي كانت له نعجة واحدة، وكيف أخذ الغني نعجة الرجل الفقير الوحيدة؟ ذلك أمر قد حدث أيضاً يا سيدتي.

انتصبت لينيت في جلستها والشرر يتطاير من عينيها وقالت: إنني افهم تماماً ما ترمي إليه يا سيد بوارو! لنقل بصراحة إنك ترى أنني سرقت خطيب صديقتي! ربما كان هذا صحيحاً إذا نظرت إلى المسألة من الناحية العاطفية السطحية، وهي النظرة التي أظن أن مَن هم في جيلك لا ينظرون إلى الأشياء إلاّ من خلالها! لكن الحقيقة الواقعة مختلفة. لا أنكر أن جاكي كانت تحب سيمون حباً جارفاً، لكني لا أظن أنك أخذت في الحسبان أنه ربما لم يكن يحبها بنفس الدرجة. صحيح أنه كان مغرماً بها، ولكني أظن أنه حتى قبل أن يراني بدأ يشعر بأنه ارتكب خطأً في حبه لها. انظر إلى الأمر نظرة واضحة يا سيد بوارو. لقد اكتشف سيمون أنه يحبني أنا وليس

جاكي، فماذا يفعل؟ هل يتقدم بشهامة البطل ليتزوج امرأة لا يهتم بها؟ وبذلك ربما يدمر حياة ثلاثة أشخاص، إذ إن من المشكوك فيه أن يستطيع إسعاد جاكي في ظل هذه الظروف. لو كان قد تزوجها بالفعل قبل أن يراني فإنني أوافق على أنه قد يكون من واجبه البقاء معها... على الرغم من أنني لست واثقة حقاً من ذلك. إذا كان أحد الزوجين غير سعيد فإن الآخر سيعاني أيضاً. ولكن الخطوبة ليست مُلزِمة حقاً، فإن كان خطأ قد حدث يكون من الأفضل مواجهة الحقيقة قبل أن يفوت الأوان. أعترف بأنه كان أمراً صعباً بالنسبة لجاكي وأشعر بالأسف الشديد من أجل ذلك، لكن هذا هو الواقع... كان أمراً حتمياً.

- أكان حقاً كذلك؟

حدقت إليه وقالت: ماذا تعني؟

- إن كل ما تقولينه مفهوم جداً ومنطقي جداً، لكنه لا يفسر شيئاً واحداً.

- وما هو؟

- موقفك أنت يا سيدتي. يمكنك أن تفهمي مطاردتها هذه لك من خلال منظارين: قد تسبب لك الإزعاج، نعم، أو قد تثير شفقتك باعتبار أن صديقتك قد جُرحت مشاعرها جرحاً كان من عمقه أنها رمت جانباً كل الأعراف والتقاليد. لكنك لم تقفي من الأمر هذا الموقف. لا، أنت لا تنظرين إلى هذه الملاحقة والمضايقة إلاّ على أنها لا تُطاق، ولماذا؟ لا يمكن أن يكون ذلك إلاّ لسبب واحد فقط، وهو أنك تشعرين بالذنب.

وقفت لينيت فجأة وقالت: كيف تجرؤ على هذا؟ لقد تماديت يا سيد بوارو؟

- نعم، لقد تجرأت يا سيدتي، وسأتحدث معك بصراحة تامة؛ سأقول إنك قد أقدمت عامدة على أخذ خطيب صديقتك منها. رغم أنك زيّنت الحقيقة لنفسك، أظن أنك شعرت بالانجذاب إليه فور رؤيته، لكني أظن أنه كان هناك لحظة ترددت فيها، لحظة أدركت فيها أن هناك خياراً وأن بوسعك أن تحجمي أو تُقدمي، وأظن أن المبادرة كانت بيدك أنت وليست بيد السيد دويل. أنت جميلة يا سيدتي وغنية وذكية وتملكين الفتنة، وكان باستطاعتك ممارسة فتنتك وكان باستطاعتك كبحها. كنت تملكين كل شيء في هذه الحياة يا سيدتي. كانت حياة صديقتك معلّقة بشخص واحد وكنت تعرفين ذلك، ولكن رغم ترددك إلاّ أنك لم تكفّي يدك، بل مددتها وأخذتِ -كذلك الرجل الغني- النعجةَ الوحيدة للرجل الفقير!

سكت الاثنان فترة من الزمن. ضبطت لينيت أعصابها بجهد كبر وقالت بصوت بارد: ليس لهذا كله علاقة بالموضوع؟

- بل له علاقة، إنني أشرح لك سبب انزعاجك من الظهور غير المتوقَّع للآنسة دي بيلفورت... لأنك مقتنعة في قرارة نفسك بأن الحق إلى جانبها، رغم أن تصرفها لا يحمل كبرياء الأنوثة وأَنَفتها.

- هذا ليس صحيحاً.

رفع بوارو كتفيه بلامبالاة وقال: إنك ترفضين أن تكوني صادقة مع نفسك.

- أبداً.

قال بوارو بلطف: أعتقد -يا سيدتي- أنك عشت حياة سعيدة وأنك كنت كريمة لطيفة في موقفك تجاه الآخرين.

- لقد حاولت ذلك.

تلاشى الغضب والضيق عن وجهها. كانت تتكلم ببساطة، بل

حتى بشيء من الاكتئاب.

- هذا ما جعل إحساسك بالتسبب في جرح مشاعر صديقتك يزعجك كثيراً، وهو ما يفسر سبب ترددك بالاعتراف بهذه الحقيقة. أرجو أن تعذريني إن كنت وقحاً في كلامي، لكن نفسية المرء هي أهم حقيقة في أية قضية.

قالت لينيت ببطء: حتى لو افترضنا أن ما تقوله صحيح (مع أنني لا أعترف بهذه الحقيقة) فماذا يمكن عمله الآن؟ لا يستطيع المرء تغيير الماضي، يجب أن نتعامل مع الأشياء كما هي الآن.

أومأ بوارو وقال: إن لك عقلاً واضحاً. نعم، لا يمكننا إعادة الماضي ويجب علينا قبول الأشياء كما هي، وأحياناً يكون هذا كل ما يمكننا عمله؛ أي أن يتقبل المرء تبعات أفعاله الماضية.

قالت لينيت غيرَ مصدّقة: هل تقصد أنني لا أستطيع عمل أي شيء، ولا أي شيء؟

- يجب أن تتحلي بالشجاعة يا سيدتي... هذا ما أراه.

قالت لينيت ببطء: ألا يمكنك أن تتحدث إلى جاكي... الآنسة دي بيلفورت؟ تحاول إقناعها؟

- أستطيع ذلك، وسأفعله إن كنت تريدين مني ذلك، ولكن لا تتوقعي نتيجة كبيرة. أظن أن الآنسة دي بيلفورت تسيطر عليها فكرة ثابتة إلى الحد الذي لا يمكن معه تغيير موقفها.

- ولكن ألا يمكننا عمل شيء لتخليص أنفسنا؟

- يمكنك طبعاً العودة إلى إنكلترا والاستقرار في منزلك.

- حتى لو فعلت فأظن أن جاكلين تستطيع الإقامة في القرية، وعندها سأراها في كل مرة أخرج فيها من البيت.

- صحيح.

أضافت ببطء: كما أنني لا أظن أن سيمون سيوافق على الهرب منها.

- وما هو موقفه من هذا الأمر؟

- إنه غاضب، غاضب جداً.

أومأ بوارو متأملاً.

قالت لينيت متوسلة: هل، هل ستحدثها؟

- نعم، سأفعل ذلك. لكني أرى أنني لن أستطيع عمل شيء.

قالت بعنف: جاكي غريبة؛ لا يستطيع المرء التنبؤ بتصرفاتها!

- لقد تحدثت قبل قليل عن بعض التهديدات التي وجهَتها إليك. هلاّ قلت لي ما هي هذه التهديدات؟

هزت لينيت كتفيها وقالت: لقد هددت بقتلنا نحن الاثنين! أحياناً تكون جاكي عنيدة قاسية الرأس.

قال بوارو بجدّ: فهمت.

التفتت لينيت إليه متوسّلة وقالت: هل ستعمل لصالحي؟

قال بنبرة جازمة: لا يا سيدتي، لن أقبل تولي هذه المهمة. سأفعل ما أستطيعه لصالح الإنسانية، هذا ما سأفعله. إن هناك موقفاً مفعماً بالمصاعب والخطر، وسوف أبذل قصارى جهدي لحله، لكني لست متفائلاً كثيراً في إمكانية نجاحي.

قالت لينيت ببطء: ولكنك لن تعمل لصالحي، أليس كذلك؟

- هذا صحيح يا سيدتي.

* * *

الفصل الخامس

وجد هيركيول بوارو جاكلين دي بيلفورت جالسة على صخور تطل على النيل مباشرة. كان متأكداً من أنها لم تعد إلى الفندق في تلك الليلة وأنه سيجدها في مكان ما قريب من الفندق. كانت تجلس مسندة ذقنها إلى كفيها، وعندما اقترب منها لم تلتفت أو تنظر إليه.

سألها بوارو: آنسة دي بيلفورت؟ هل تأذنين لي بالحديث معك قليلاً؟

أدارت جاكلين رأسها قليلاً، ارتسمت على شفتيها ابتسامة باهتة وقالت: بالتأكيد؛ أظن أنك السيد هيركيول بوارو؟ هل أخمّن ماذا تريد؟ إنك تعمل لصالح السيدة دويل التي وعدتك بمبلغ كبير إن نجحت في مهمتك.

جلس بوارو على المقعد بجانبها وقال مبتسماً: افتراضك صحيح جزئياً. لقد جئت لتوي من عند السيدة دويل، لكني لم أقبل أية رسوم أو مكافأة منها، كما أنني -بدقيق العبارة- لا أعمل لصالحها.

- آه!

نظرت جاكلين إليه نظرات فاحصة ثم سألته فجأة: إذن لماذا جئت؟

ردّ هيركيول بوارو بصيغة سؤال آخر: هل رأيتني من قبل يا آنسة؟

هزت رأسها بالنفي وقالت: لا، لا أظن ذلك.

- ومع ذلك فقد رأيتك. كنت جالساً على الطاولة المجاورة لك في مطعم تشيزماتانت، وكنت جالسة مع السيد سيمون دويل.

اكتسب وجه الفتاة تعبيراً غريباً أشبه بالقناع وقالت: أذكر تلك الليلة.

- لقد حدثت أشياء كثيرة منذ ذلك الوقت.

- نعم، حدثت أشياء كثيرة كما تقول.

كان صوتها قاسياً وخلفه نبرة مرارة يائسة.

- يا آنسة، إنني أتحدث معك كصديق: ادفني ميّتَك!

جفلت وقالت: ماذا تعني؟

- اتركي الماضي، انظري إلى المستقبل! ما حدث قد حدث ولن تبطله المرارة.

- أنا واثقة أن ذلك هو ما يناسب العزيزة لينيت بشكل رائع.

أشار بوارو بيده وقال: أنا لا أفكر بما يناسبها في هذه اللحظة بل بما يناسبك أنت. لقد عانيتِ، نعم، لكن ما تفعلينه لن يؤدّي إلاّ إلى إطالة معاناتك.

هزت رأسها وقالت: أنت مخطئ، هناك أوقات أكاد أشعر فيها بالمتعة في ذلك.

- وهذا هو أسوأ ما في الأمر يا آنستي.

رفعت بصرها فجأة وقالت: أنت لست غبياً! ثم قالت ببطء:

أظن أنك تريد أن تكون لطيفاً.

- عودي إلى وطنك يا آنسة، فما زلت شابة وذكية والدنيا أمامك.

هزت جاكلين رأسها ببطء: أنت لا تفهم... أو لا تريد ذلك. إن سيمون هو دنياي.

أجابها بوارو بلطف: الحب ليس كل شيء يا آنسة، إننا لا نراه كذلك إلاّ ونحن صغار فقط.

لكن الفتاة بقيت تهز رأسها، ثم قالت: إنك لا تفهم.

نظرت إليه نظرة سريعة وقالت: أنت تعرف كل شيء عما حدث بالطبع؟ لقد تكلمت مع لينيت، أليس كذلك؟ وكنت موجوداً في المطعم في تلك الليلة، لقد أحببنا بعضنا أنا وسيمون.

- أعرف أنك أحببته.

كانت سريعة في فهم ما لم تقله كلماته، فكررت كلماتها مع التشديد: لقد أحببنا بعضنا. كما أنني أحببت لينيت ووثقت بها، كانت أفضل صديقة لي. كانت لينيت طول حياتها قادرة على شراء كل ما تريده، لم تحرم نفسها من أي شيء أبداً. وعندما رأت سيمون أرادته، فأخذته.

- وهل سمح لنفسه بأي يُشترى؟

هزت جاكلين رأسها ببطء وقالت: لا، الأمر ليس هكذا تماماً؛ لو كان الأمر كذلك لما كنت هنا الآن. إنك تلمِّح إلى أن سيمون لا يستحق الاهتمام، ولو أنه تزوج لينيت من أجل أموالها لكان هذا صحيحاً، لكنه لم يتزوجها من أجل أموالها. الأمر أعقد من ذلك؛ هناك شيء اسمه البريق يا سيد بوارو، والمال يساعده في إيجاده. لينيت لها جوّها إن كنت تفهمني، كانت ملكة، الأميرة

الشابة المرفَّهة بكل ما في الكلمة من معنى. كان الأمر أشبه بديكور المسرح. كان العالم تحت قدميها، واحدة من أغنى الفتيات في إنكلترا، وقد أراد الزواج بها واحد من أغنى نبلاء إنكلترا الذين تسعى النساء خلفهم، وبدلاً من ذلك تنازلت وتزوجت سيمون دويل المغمور، فهل تستغرب أن يُفقده ذلك صوابه؟

ثم أشارت بيدها فجأة وقالت: انظر إلى القمر هناك. إنك تراه بوضوح، أليس كذلك؟ إنه حقيقي جداً، ولكن إذا أشرقت الشمس فإنك لن ترى القمر أبداً. الأمر كذلك، كنت أنا القمر، وعندما جاءت الشمس لم يستطع سيمون أن يراني بعدها؛ لقد انبهر، لم يعد يستطيع رؤية شيء سوى الشمس... لينيت!

سكتت قليلاً ثم أكملت تقول: وهكذا ترى أن العلّة تكمن في... في البريق. لقد دخلت عقله. ثم إن هناك تلك الثقة التامة لديها، عادتها في الأمر والنهي، إنها واثقة بنفسها إلى الحد الذي يجعل الآخرين يثقون بها أيضاً. ربما كان سيمون ضعيفاً لكنه إنسان بسيط جداً. كان من شأنه أن يحبني ويحبني وحدي لو لم تأتِ لينيت وتخطفه في عربتها الذهبية. وأنا أعرف، أعرف تماماً أنه ما كان ليقع في حبها أبداً لو لم تجعله هي يفعل ذلك.

- هذا ما ترينه، نعم.

- بل هو ما أعرفه؛ لقد أحبني وسيظل يحبني.

- حتى في هذه الأيام؟

بدا أن إجابة سريعة قد وصلت إلى شفتيها لكنها منعتها، نظرت إلى بوارو وقد غطى وجهَها لونُ الحرقة العميقة، ثم سرحت بنظرها ونكست رأسها وقالت بصوت خافت مخنوق: نعم، أعرف، إنه يكرهني الآن. نعم، يكرهني! من الأفضل له أن يحذر!

وبحركة سريعة عبثت يدها داخل حقيبتها الحريرية الصغيرة التي كانت على المقعد، ثم رفعت يدها فإذا بها ممسكة بمسدس صغير ذي مقبض عاجي. بد المسدس كلعبة مزركشة، وقالت: مسدس جميل صغير، أليس كذلك؟ يبدو غير حقيقي لكنه حقيقي. إن واحدة من هذه الرصاصات يمكنها قتل رجل أو امرأة، كما أنني رامية جيدة.

ثم ابتسمت ابتسامة حالمة مليئة بالذكريات وقالت: عندما ذهبت مع والدتي إلى موطني في كارولينا الجنوبية وأنا طفلة علمني جدي هناك الرماية. كان ذا عقلية قديمة يؤمن بالرماية، ولا سيما عندما يتعلق الأمر بالشرف. والدي أيضاً خاض كثيراً من المبارزات عندما كان شاباً، كان مبارزاً جيداً بالسيف وقد قتل رجلاً ذات مرة، وكان ذلك بسبب امرأة. إذن فأنت ترى يا سيد بوارو كيف تجري في عروقي الدماء الحارة! لقد اشتريت هذا المسدس عندما حدث هذا الأمر. لقد قصدت قتل واحد منهما، والمشكلة أنني لم أستطع تقرير أيهما أقتل، فلم يكن قتل أي منهما كافياً. ولو ظننت أن لينيت ستخاف لقمت بأي تهديد، ولكنها تمتلك الكثير من الشجاعة، ولذلك فكرت بأن أنتظر! وأعجبتني الفكرة أكثر فأكثر، فأنا أستطيع الإقدام على الأمر في أي وقت، سيكون أكثر متعة أن أنتظر وأفكر في الأمر. ثم خطرت لي هذه الفكرة... أن أتبعهما! أينما وصلا إلى مكان بعيد معزول وكانا سعيدين معاً لا بد أن يشاهداني هناك! وقد آتت هذه الخطة أُكُلها؛ لقد أزعجت لينيت كثيراً بطريقة لا يمكن لأي شيء آخر أن يفعلها مثلها. لقد ارتعبت وخافت، وعندها بدأت أنا أجد متعة في الأمر. وهي لا تستطيع فعل شيء أبداً حياله، فأنا دائماً مهذبة تماماً ولا أقول كلمة واحدة يمكن أن تكون مَمْسَكاً عليّ! إن هذا يسمم كل شيء، كل شيء بالنسبة لهما.

ثم دوّت ضحكتها عالياً، فأمسك بوارو بذراعها وقال:

اهدئي، أقول لك اهدئي.

نظرت جاكلين إليه وقالت متسائلة: حسناً.

كانت ابتسامتها ابتسامة تحدّ لا لبس فيه. قال: أتوسّل إليك يا آنسة أن تتوقفي عن عملك هذا.

- تقصد أن أترك حبيبتي لينيت وشأنها!

- الأمر أعمق من ذلك، لا تفتحي قلبك للشر.

فغرت فاها وظهرت في عينيها نظرات ارتباك وحيرة.

أكمل بوارو حديثه بوقار: لأنك لو فعلت فسوف يأتي الشر. نعم، سيأتي الشر بالتأكيد، سيدخل قلبك ويستقر فيه، وبعد مدة قصيرة لن يكون طرده ممكناً.

حدقت جاكلين إليه، بدت نظراتها مرتعشة ثم قالت بتحدّ: لا يمكنك منعي.

- نعم، لا أستطيع منعك.

كان صوته حزيناً.

- حتى لو أردت قتلها... لا تستطيع منعي.

- نعم، ليس إذا كنت مستعدة لدفع الثمن.

ضحكت جاكلين دي بيلفورت وقالت: آه، إنني لا أخشى الموت! ومن أجل ماذا أعيش؟ أظنك ترى من الخطأ البالغ أن يقتل المرء إنساناً أساء إليه، حتى لو أخذ كل شيء يملكه في هذه الدنيا؟

ردّ عليها بوارو بثبات: نعم يا آنسة، أعتقد أن قتل النفس هو الذنب الذي لا يُغتفَر.

ضحكت جاكلين ثانية وقالت: عليك إذن أن توافق على خطتي الحالية في الانتقام، لأنني لا أستخدم ذلك المسدس طالما بقيت خطتي ناجحة. لكني خائفة، نعم، أحياناً أخاف أن يكون لون الدم مسيطراً عليّ! أريد إيذاءها، أريد طعنها بسكين أو وضع مسدسي الصغير قرب رأسها ثم ضغط الزناد... آه!

ارتعب بوارو من صيحتها وهتف: ما الأمر يا آنسة!

التفتت برأسها وظلّت تحدق إلى الظلال البعيدة قائلة: هناك شخص يقف هناك... لقد ذهب الآن.

استدار هيركيول بوارو بحدّة. بدا المكان مهجوراً تماماً، نهض وقال: يبدو أن لا أحد هنا سوانا يا آنسة، وعلى أية حال فقد قلت كل ما جئت لقوله. طابت ليلتك.

نهضت جاكلين هي الأخرى، ثم قالت بلهجة أقرب إلى التوسل: أنت تفهم موقفي، إنني لا أستطيع أن أفعل ما طلبته مني.

هز بوارو رأسه وقال: بل تستطيعين. هناك دائماً لحظة! صديقتك لينيت كانت لديها لحظة هي الأخرى تستطيع فيها أن تمسك يدها، ولكنها تركتها تمر، وإذا فعل المرء ذلك فإنه يصبح ملزَماً بما اختاره ولا تعود هناك فرصة ثانية.

- ليست هناك فرصة ثانية؟

وقفت عابسة لبضع لحظات، ثم رفعت رأسها بتحدّ وقالت: طابت ليلتك يا سيد بوارو.

هز رأسه بأسف وسار وراءها باتجاه الفندق.

* * *

الفصل السادس

في صباح اليوم التالي انضم سيمون دويل إلى هيركيول بوارو بينما كان الأخير خارجاً من الفندق في طريقه إلى المدينة سيراً على الأقدام.

- صباح الخير يا سيد بوارو.

- صباح الخير يا سيد دويل.

- أأنت ذاهب إلى المدينة؟ هل تمانع لو رافقتك؟

- لا مانع بالطبع، سأكون مسروراً.

سار الرجلان جنباً إلى جنب فخرجا من بوابة الفندق ثم انعطفا ليدخلا في الظل البارد لأشجار الحدائق، ثم أخرج سيمون غليونه من فمه وقال: علمت يا سيد بوارو أن زوجتي تحدثت معك في الليلة الماضية؟

- هذا صحيح.

كان سيمون دويل عابساً بعض الشيء؛ كان ينتمي إلى ذلك النوع من رجال الفعل الذين يجدون صعوبة في ترجمة أفكارهم إلى كلمات والتعبير عن أنفسهم بوضوح. قال: أنا سعيد لشيء واحد، وهو أنك جعلتها تدرك أننا لا نملك حيلة في هذه المسألة.

وافقه بوارو قائلاً: من الواضح عدم وجود ملجأ قانوني.

- بالضبط، يبدو أن لينيت لا تفهم هذا.

ابتسم ابتسامة خفيفة وقال: لقد نشأت لينيت على الاعتقاد بأن أي إزعاج يمكن إحالته إلى الشرطة بطريقة آلية.

- لو كانت الأمور هكذا لكان الحال رائعاً.

سكت الاثنان قليلاً، ثم قال سيمون فجأة وقد احمرّ وجهه وهو يتحدث: من المخجل أن تتعرض لما تعرضَت له، فهي لم تفعل شيئاً! أنا أقبل أن يتهمني الناس بأنني تصرفت تصرف الوغد... أظن أنني كنت كذلك، لكنني أرفض أن يلوم أحدٌ لينيت فليس لها أي علاقة بما حدث.

أمال بوارو رأسه بوقار لكنه لم يقل شيئاً.

- هل... هل تحدث مع جاكي، الآنسة دي بيلفورت؟

- نعم، تكلمت معها.

- هل جعلتها ترى الصواب؟

- أخشى أن أكون قد فشلت.

اندفع سيمون يقول غاضباً: أتراها لا تدرك كيف جعلت من نفسها أضحوكة؟ ألا تدرك أنه لا توجد امرأة محترمة تتصرف كما تتصرف هي؟ أليست لديها أية كرامة أو احترام لذاتها؟

رفع بوارو كتفيه حيرة وقال: ليس لديها إلاّ إحساس بالجرح.

- نعم، ولكن تباً لذلك، إن الفتيات المحترمات لا يتصرفن هكذا! أعترف أن اللوم كله يقع عليّ؛ لقد عاملتها معاملة قاسية، كنت سأفهم تماماً موقفها لو أنها ضاقت بي ذرعاً ولم تعد تود رؤيتي، ولكن هذه الملاحقة لي أمر... أمر خسيس! إنها تجعل من نفسها موضع سخرية. ما الذي تراها تأمل في نيله من جراء ذلك؟

- ربما الانتقام.

- هذا غباء! كنت سأفهمها أكثر لو أنها حاولت القيام بعمل مثير... كإطلاق النار عليّ مثلاً.

- ترى أن ذلك أقرب إلى شخصيتها من تصرفها الحالي؟

- بصراحة نعم. إنها ذات دم حار ولا تتحكم بأعصابها، ولن أفاجَأ إذا ما قامت بعمل أي شيء عندما تكون في حالة غضب وهيجان، لكن هذا التجسس الذي تقوم به...

ثم هز رأسه أسفاً.

- أكثر دهاء ومكراً. نعم، عمل ذكي.

حملق دويل إليه وقال: أنت لا تفهم الموقف... إن عملها هذا يثير أعصاب لينيت بشكل رهيب.

- وأعصابك؟

نظر سيمون إليه مدهوشاً وقال: أنا؟ أتمنى كسر رقبتها.

- إذن لم يبق شيء من المشاعر السابقة التي كنت تكنّها لها؟

- يا عزيزي السيد بوارو، كيف أوضح لك الأمر؟ إنه مثل القمر عندما تشرق الشمس، لا تعود تحس بوجوده. بمجرد أن التقيت بلينيت لم تعد جاكي موجودة.

تمتم بوارو قائلاً: أمر غريب.

- أرجو المعذرة، ماذا قلت؟

- تشبيهك أثار اهتمامي، هذا كل ما في الأمر.

قال سيمون وقد احمرّ وجهه ثانية: أظن أن جاكي قالت لك إنني تزوجت لينيت من أجل أموالها فقط؟ هذا كذب محض؛ فما

كنت لأتزوج أية امرأة من أجل مالها. إن ما لا تفهمه جاكي هو أن الأمر صعب على الرجل عندما... عندما تهتم به امرأة بالشكل الذي اهتمت هي بي.

- آه!

رفع بوارو بصره بحدّة، فقال سيمون مضطرباً: أدرك أن ما أقوله غير لائق، ولكن جاكي كانت مغرمة بي أكثر من اللازم.

تمتم بوارو قائلاً بلغته الفرنسية: شخص يُحب وشخص يترك نفسه ليحبه الآخرون!

- إيه؟ ما هذا الذي تقوله؟ إن الرجل لا يرغب بأن يشعر أن المرأة تهتم به أكثر مما يهتم هو بها.

ازداد صوته حماسة وحرارة وهو يكمل حديثه: إنه لا يريد أن يشعر بأنه مملوك جسداً وروحاً، إنه ذلك الموقف الاستحواذي بغيض... هذا الرجل لي، ملك لي! هذا ما لا أطيقه ولا يطيقه أي رجل غيري، فتراه يريد الإفلات والخلاص، يريد الحرية. إنه يريد أن يمتلك امرأته لكنه لا يقبل أن تمتلكه هي.

قال بوارو: وهل هذا هو إحساسك تجاه الآنسة جاكلين؟

- إيه!

حدّق سيمون إليه ثم اعترف قائلاً: نعم، إنه... نعم، الواقع أنه نفس الشعور فعلاً، وهي لا تدرك هذا بالطبع. وهو ليس بالأمر الذي كان بوسعي أن أقوله لها أبداً، لكني كنت أشعر بالضيق والتململ، ثم قابلت لينيت فجرفتني بحبها. لم أكن قد رأيت شيئاً بهذا الجمال والروعة، كان الأمر كله مدهشاً، الكل كان يتزلف إليها، ثم تأتي وتختار من بين هؤلاء جميعاً فقيراً مغفلاً مثلي.

كانت في صوته نبرة ألم ودهشة. قال بوارو وهو يومئ برأسه

متأملاً: فهمت. نعم، فهمت.

سأله سيمون ممتعضاً: لماذا لا تتقبل جاكي الأمر كما يتقبله الرجال؟

ارتسمت على شفتي بوارو ابتسامة باهتة وقال: حسناً يا سيد دويل، لنقل بداية إنها ليست رجلاً.

- كنت أعني أن تتقبل ما حدث بروح رياضية. على المرء أن يتجرع دواءه عندما يحين وقته. أعترف بأن الخطأ خطئي، لكن هذا ما حدث، إن لم تعد تهتم بفتاة فمن الجنون أن تتزوجها. والآن بعد أن عرفت جاكي على حقيقتها وعرفت إلى أي مدى يمكن أن تذهب فإنني أشعر أنني كنت محظوظاً بنجاتي منها.

كرّر بوارو عبارة سيمون مفكراً: إلى أي مدى يمكن أن تذهب؟ هل لديك أية فكرة عن ذلك المدى يا سيد دويل؟

نظر سيمون إليه وقد جفل قليلاً وقال: لا، ما الذي تعنيه؟

- هل تعرف أنها تحمل معها مسدساً؟

قطب سيمون جبينه ثم قال: لا أظن أنها ستستخدمه... الآن. كان يمكن أن تستخدمه في وقت سابق، لكني أرى أن الأمر تجاوز هذا الاحتمال الآن. إنها مناكفة الآن فقط، تحاول إغاظتنا كلينا.

رفع بوارو كتفيه حيرة وقال بارتياب: قد يكون الأمر كذلك.

قال سيمون دون ضرورة لقوله: إن لينيت هي التي تقلقني.

- أدرك ذلك تماماً.

- لست خائفاً من قيام جاكي بعمل مثير كإطلاق النار مثلاً، لكن هذا التجسس والملاحقة عمل أطار صواب لينيت تماماً. سأخبرك بالخطة التي رسمتها، وربما تستطيع إضفاء بعض

التعديلات عليها. أولاً، لقد أعلنت على الملأ تقريباً بأننا سنبقى هنا لمدة عشرة أيام، لكن السفينة «الكرنك» ستبحر غداً من منطقة الشلال في وادي حلفا، وأنا أعتزم حجز تذكرتين على تلك السفينة باسم مستعار. سنذهب غداً في رحلة إلى جزيرة فايلي، ويمكن لخادمة لينيت أخذ الأمتعة معها، وسنركب «الكرنك» من الشلال، وعندما تكتشف جاكي أننا لم نعد سيكون الوقت قد فات وسنكون قد مضينا في طريقنا... سوف تفترض أننا هربنا منها وعدنا إلى القاهرة، وربما رشوتُ الحمّال حتى يُشيع ذلك. وإذا ما سألت عنا في المكاتب السياحية فلن تحصل على إجابة مفيدة لأن أسماءنا الحقيقية لن تكون معلَنة. كيف ترى هذه الخطة؟

- إنها خطة جيدة، نعم، ولكن ماذا لو ظلّت تنتظر هنا حتى عودتكما؟

- قد لا نعود، ربما نذهب إلى الخرطوم ثم قد نذهب منها إلى كينيا بالطائرة... إنها لا تستطيع اللحاق بنا إلى كل أرجاء المعمورة.

- نعم، لا بد أن يأتي الوقت الذي ستمنعها الاعتبارات المالية من ذلك، فقد علمت أن إمكاناتها المالية محدودة جداً.

نظر سيمون إليه بإعجاب وقال: إنه ذكاء منك. أتعرف؟ أنا لم أفكر في هذه النقطة. إن جاكي فقيرة معدمة.

- ومع ذلك فقد نجحت في اللحاق بكما حتى الآن؟

قال سيمون بارتياب: إنها تحصل على دخل صغير بالطبع. أظن أنه مبلغ يقل عن مئتي جنيه في العام، وأظن... نعم، أظن أنها قد باعت رأس مالها هذا لتقوم بما تفعله الآن.

- إذن سيأتي وقت تستنفد به كل مواردها وتصبح مفلسة؟

- نعم.

تململ سيمون ضيقاً، وبدا أن هذه الفكرة قد أصابته بالقلق. راقبه بوارو بإمعان ثم قال: لا، إنها ليست بالفكرة الجيدة.

قال سيمون غاضباً: حسناً، ما رأيك بخطتي؟

- أظن أنها قد تنجح. نعم، لكنها تشكل هروباً بالطبع.

احمرّ وجه سيمون وقال: هل تقصد أننا نهرب؟ هذا صحيح، ولكن لينيت...

راقبه بوارو، ثم أومأ برأسه بحركة خفيفة وقال: كما تقول، ربما هي أفضل طريقة. ولكن تذكر أن الآنسة دي بيلفورت ذكية.

ردّ عليه سيمون باكتئاب: أشعر أننا سنضطر في يوم ما لاتخاذ موقف وحسم هذا الأمر؛ إن موقفها ليس عقلانياً.

صاح بوارو: عقلاني، يا إلهي!

أكد سيمون بإصرار قائلاً: لا يوجد سبب يجعل النساء لا يتصرفن تصرف العقلاء.

قال بوارو بجفاء: إنهن يتصرفن كذلك في الغالب الأعم، وهو الأمر الأكثر إزعاجاً! على أية حال أنا أيضاً سأكون على متن «الكرنك»، إنها جزء من خطة رحلتي.

تردد سيمون ثم قال وهو يختار كلماته ببعض الارتباك: هذا... هذا ليس بسبب قضيتنا على أية حال؟ أقصد أنني لا أحب أن أرى...

حرّره بوارو من الوهم بسرعة وقال: أبداً؛ كل ذلك جرى ترتيبه وإعداده قبل مغادرتي لندن. إنني أضع خططي مسبقاً وقبل وقت كاف دائماً.

- أنت لا تنتقل هكذا من مكان إلى آخر كما تحملك أهواؤك؟

ولكن ألا ترى هذا الأسلوب الأخير أكثر متعة؟

- ربما، ولكن حتى تنجح في الحياة يجب عليك إعداد وترتيب كل خطوة مسبقاً.

ضحك سيمون وقال: هذه هي الطريقة التي يتصرف بها القاتل الأكثر حنكة كما أظن.

- نعم، غير أن عليّ أن أعترف بأن أذكى جريمة قتل أذكرها وأكثرها صعوبة في الحل قد ارتُكبت بطريقة مرتجَلة وبوحي اللحظة.

قال سيمون بصبيانية: يجب أن تحكي لنا شيئاً عن قضاياك التي عالجتها عندما نكون على ظهر «الكرنك».

- لا، لا، سيكون ذلك حديثاً عن مهنتي والدعاية لها.

- نعم، لكن مهنتك مثيرة. السيدة أليرتون تعتقد هذا، وهي تتوق إلى فرصة تستجوبك فيها.

- السيدة أليرتون؟ تلك المرأة الفاتنة ذات الشعر الرمادي صاحبة ذلك الابن المخلص؟

- نعم، ستكون على «الكرنك» هي الأخرى.

- هل تعرف أنك...؟

قال سيمون مشدّداً: لا بالتأكيد. لا أحد يعلم، لقد اتبعت المبدأ القائل بأن من الأفضل أن لا أثق بأي شخص كان.

- إنه موقف يثير الإعجاب، وهو ما أتبناه دائماً. بالمناسبة، العضو الثالث في مجموعتكم، ذلك الرجل الطويل صاحب الشعر الرمادي...

- بيننغتون؟

- نعم، هل هو مسافر معكم؟

قال سيمون عابساً: أظنك تفكر في أن ملازمته لنا ليست أمراً معتاداً في شهر العسل؟ إن بيننغتون هو الوصي الأمريكي على أموال لينيت، وقد التقيناه في القاهرة مصادَفة.

- آه، محتمل! هل تسمح لي بسؤال: هل جاوزت زوجتك سن الرشد؟

بدا أن السؤال قد أعجب سيمون فقال: إنها لم تبلغ الحادية والعشرين بعد، لكنها لم تحتَج إلى أخذ موافقة أحد قبل الزواج بي، وكانت تلك مفاجأة كبيرة بالنسبة لبيننغتون. لقد غادر نيويورك مستقلاً الباخرة كارمانيك قبل يومين من وصول رسالة لينيت التي تخبره فيها بأمر زواجنا، لذلك لم يكن يعلم عن زواجنا شيئاً.

تمتم بوارو قائلاً: كارمانيك؟

- كانت مفاجأة كبيرة له عندما التقيناه مصادفة في فندق شيبرد في القاهرة.

- إنها لمصادفة حقاً!

- نعم، ثم اكتشفنا أنه قادم معنا في رحلة النيل هذه، ولذلك كان طبيعياً أن نجتمع معاً، حيث لم نستطع سوى ذلك من باب اللياقة، كما أنه كان مصدر راحة لنا بطريقة ما.

بدا مرتبكاً مرة أخرى وهو يقول: كانت لينيت متوترة وهي تتوقع ظهور جاكي في أي مكان وأي وقت، وعندما كنّا وحيدَين كان هذا الموضوع هو الهاجس المسيطر على حديثنا، وقد ساعدنا وجود بيننغتون معنا حيث أصبح علينا أن نتحدث في أمور أخرى.

- ألم تقم زوجتك بمصارحة السيد بيننغتون بالأمر؟

بدا سيمون متجهماً وقال: لا؛ إنه أمر لا علاقة لأحد به، كما أننا عندما بدأنا في رحلة النيل هذه كنا نظن أننا قد شهدنا نهاية هذا الأمر.

هز بوارو رأسه وقال: إنكم لم تشهدوا نهايته بعد. لا، النهاية ليست قريبة، أنا واثق تماماً من هذا.

- أظن أن كلامك غير مشجع يا سيد بوارو.

نظر بوارو إليه بشيء من الانزعاج وقال في قرارة نفسه: إن الرجل الإنكليزي لا يأخذ شيئاً على محمل الجد باستثناء اللعب! إنه لا يكبر أبداً. إن لينيت دويل وجاكلين دي بيلفورت كلتاهما تأخذان الأمر على محمل الجد تماماً، ولكنه لم يرَ في موقف سيمون إلاّ نفاد الصبر والانزعاج الذكوري.

سأله بوارو: هل تأذن لي بسؤال فيه شيء من الوقاحة؟ هل كانت فكرة المجيء إلى مصر لقضاء شهر العسل فكرتك أنت؟

احمرّ وجه سيمون وقال: لا؛ الواقع أنني كنت أفضّل الذهاب إلى أي مكان آخر، لكن لينيت كانت عاقدة العزم على المجيء إلى هنا، وهكذا...

ثم سكت عاجزاً، فقال بوارو بجِدّ: أمر طبيعي.

كان مدركاً لحقيقة أن لينيت دويل إذا ما عقدت العزم على فعل شيء فإنه لا بد واقع. وفكر في نفسه قائلاً: لقد سمعت الآن ثلاث روايات منفصلة للقضية؛ رواية لينيت دويل، ورواية جاكلين دي بيلفورت، ورواية سيمون دويل، فأي الروايات أقرب إلى الحقيقة؟

* * *

الفصل السابع

انطلق سيمون ولينيت دويل في رحلتهما الاستكشافية إلى جزيرة فايلي الساعة الحادية عشرة تقريباً من صباح اليوم التالي، وراقبتهما جاكلين دي بيلفورت وهي جالسة في شرفة الفندق وهما ينطلقان في السفينة الجميلة، إلاّ أن ما لم تشاهده هو مغادرة السيارة المحمَّلة بالأمتعة من أمام باب الفندق، وقد انعطفت السيارة إلى اليمين باتجاه الشلال.

قرر هيركيول بوارو قضاء الساعتين المتبقيتين قبل الغداء على جزيرة فيلة المقابلة للفندق مباشرة. نزل إلى رصيف المرفأ، كان هناك رجلان يصعدان لتوهما إلى أحد القوارب التابعة للفندق فانضم بوارو إليهما. كان واضحاً أن الرجلين لا يعرف أحدهما الآخر؛ كان أصغرهما سنّاً قد وصل بالقطار في اليوم السابق، وكان شاباً طويل القامة أسود الشعر ذا وجه رفيع وذقن بارز، وقد ارتدى بنطالاً شديد القذارة رمادي اللون وسترة ذات ياقة عالية سميكة لا تناسب المناخ الحار بتاتاً. أما الآخر فكان رجلاً متوسط العمر يميل قليلاً إلى القِصَر والبدانة، ولم يضيّع وقتاً في الانخراط مع بوارو في حديث بلغة إنكليزية ركيكة بعض الشيء. ولم يكتفِ الشاب بالإحجام عن مشاركتهما الحديث، بل عبس في وجهَيهما ثم أدار ظهره لهما متعمّداً وبدأ ينظر بإعجاب إلى رشاقة البحّار النوبي الذي كان يوجه دفة القارب بأصابع قدمه بينما كان يعالج الشراع بكلتا يديه.

كانت المياه هادئة، وكانت الصخور الملساء الكبيرة السوداء تلمع بجانب القارب والنسمات العليلة تضرب وجوههم. وصلوا إلى جزيرة فيلة بسرعة، وعندما نزلوا الشاطئ شق بوارو وصديقه الثرثار طريقهما إلى المتحف مباشرة، وفي أثناء ذلك أخرج الأخير بطاقة شخصية وسلمها إلى بوارو. كان مكتوباً عليها «غويدو ريشيتي، عالم آثار». وحتى لا يُغلَب بوارو في مجال اللباقة سارع بإخراج بطاقته، وما إن انتهت هذه الرسميات حتى دخل الرجلان المتحف معاً بينما كان الرجل الإيطالي يصبّ سيلاً من المعلومات الواسعة، وكانا عندئذ يتحدثان بالفرنسية.

سار الشاب ذو البنطال القذر في المتحف متكاسلاً يتثاءب من وقت لآخر، ثم انسحب إلى الهواء الطلق. وأخيراً التقى به بوارو وغويدو ريشيتي، كان الإيطالي متحمساً لفحص الآثار لكن بوارو هرب باتجاه امرأة كانت تجلس تحت ظل شمسية خضراء اللون على الصخور القريبة من النهر.

كانت السيدة أليرتون تجلس فوق صخرة كبيرة وإلى جانبها دفتر رسومات وفي حضنها كتاب تقرؤه. رفع بوارو قبعته بأدب وبدأت السيدة أليرتون الحديث معه على الفور، قالت: صباح الخير، أعتقد أنه من المستحيل التخلص من هؤلاء الأطفال المزعجين؟

كانت تحيط بها مجموعة من الأطفال السمر الصغار وكلهم يبتسمون ويمدون أيديهم ويطلبون البقشيش على أمل أن ينالوه. قالت السيدة أليرتون حزينة: كنت أظن بأنهم سيملّون ويتعبون مني. إنهم يراقبونني منذ أكثر من ساعتين ويقتربون مني شيئاً فشيئاً ثم أصرخ فيهم وألوّح لهم بمظلتي فيتفرقون لدقيقة أو دقيقتين، ثم يعودون ويظلون يحملقون ويحملقون... عموماً أنا لا أحب الأطفال.

ثم ضحكت باكتئاب. وحاول بوارو تفريق الجمع عنها ولكن

عبثاً، فقد تفرقوا ثم عادوا واقتربوا مرة أخرى.

قالت السيدة أليرتون: لو كان في مصر هدوء وراحة لأحببتها أكثر، لكنك لا تستطيع الجلوس وحدك في أي مكان؛ لا بد أن يأتي شخص ليعرض عليك خدماته.

- هذه مشكلة، أوافقك الرأي.

ثم وضع منديله على الصخرة بحذر وجلس عليه بحذر أكبر، وقال: ابنك ليس معك هذا الصباح؟

- يريد تيم إرسال بعض الرسائل قبل مغادرتنا. إننا ذاهبون إلى منطقة الشلال الثاني.

- وأنا أيضاً.

- هذا يسعدني، فقد شعرت بمتعة كبيرة بلقائك. عندما كنّا في جزيرة مايوركا كانت هناك امرأة تدعى السيدة ليتش وكانت تحكي لنا حكايات مثيرة جداً عنك، كانت قد فقدت خاتم ياقوت وهي تسبح في البحر وكانت حزينة تندب حظها لأنك غير موجود حتى تجده لها.

- بالطبع، لكني لست غوّاصاً!

ضحك الاثنان، وأكملت السيدة أليرتون تقول: رأيتك من نافذتي وأنت تسير مع سيمون دويل هذا الصباح. أرجو أن تخبرني عن رأيك فيه، إننا مهتمون بأمره.

- آه؟ أحقاً؟

- نعم، تعرف أن زواجه بلينيت ردجوي كان أكبر مفاجأة، فقد كان يُفترَض أن تتزوج اللورد ويندلشام وفجأة خُطبت لهذا الرجل الذي لم يسمع به أحد!

- هل تعرفينها جيداً يا سيدتي؟

- لا، ولكن ابنة عم لي اسمها جوانا ساوثُود من صديقاتها المقرَّبات.

- آه، نعم، لقد قرأت هذا الاسم في الصحف.

صمت قليلاً ثم أكمل يقول: إنها فتاة تلقى احتفاء مستمراً من الصحف... أقصد الآنسة جوانا ساوثود.

- آه، إنها تعرف جيداً كيف تعمل دعاية لنفسها.

- ألا تحبينها يا سيدتي؟

ردّت السيدة أليرتون نادمة: كانت عبارة سيئة تلك التي قلتها! أنا من الطراز القديم ولذلك لا أحبها كثيراً، إلا أنها وتيم صديقان حميمان.

قال بوارو: فهمت.

نظرت المرأة إليه نظرة سريعة، ثم غيرت الموضوع قائلة: لا يوجد هنا غير قليل من الشباب. تلك الفتاة الجميلة ذات الشعر الكستنائي برفقة أمها المرعبة تكاد تكون الشابة الوحيدة هنا، لاحظت أنك تحدثت معها كثيراً، إنها تثير اهتمامي.

- ولماذا يا سيدتي؟

- أشعر بالأسف عليها... عندما تكون شاباً وحساساً فإنك تعاني الكثير، أظن أنها تعاني.

- نعم، إنها ليست سعيدة هذه المسكينة.

- أسميها أنا وتيم «الفتاة العابسة». حاولت الحديث معها مرة أو مرتين لكنها كانت تصدّني في كل مرة. أحسب أنها ستذهب هي الأخرى في رحلة النيل هذه، وأتوقع أننا سنضطر جميعاً إلى أن

نتعارف ونتآلف بشكل أو بآخر، أليس كذلك؟

- إنه احتمال وارد يا سيدتي.

- الواقع أنني اجتماعية جداً، والناس يثيرون اهتمامي كثيراً، كل الأنواع المختلفة.

سكتت قليلاً ثم أضافت: لقد أخبرني تيم بأن تلك الفتاة ذات الشعر الأسود، اسمها دي بيلفورت، هي الفتاة التي كانت مخطوبة لسيمون دويل. إنه لأمر فظيع لهما أن يلتقيا هكذا.

وافقها بوارو قائلاً: نعم، أمر فظيع.

- قد يكون قولي سخيفاً، ولكن أتدري؟ إنها تكاد تخيفني! إنها تبدو متوترة جداً.

أومأ بوارو برأسه ببطء وقال: لم تكوني مخطئة في تقييمك لها يا سيدتي، إن القوة العاطفية الشديدة تخيف دائماً.

- هل تهتم بطبائع الناس يا سيد بوارو أم أنك تدّخر اهتمامك للمجرمين المحتمَلين؟

- يا سيدتي، هذه الفئة لا تُبقي الكثير من الناس خارجها.

بدا شيء من المفاجأة على السيدة أليرتون وقالت: هل تقصد ما تقول حقاً؟

- أعني إذا ما توفر الدافع.

- وهو ما يختلف من شخص لآخر، أليس كذلك؟

- أمر طبيعي.

ترددت السيدة أليرتون وقد ارتسمت على شفتيها ابتسامة صغيرة ثم قالت: حتى أنا، أليس كذلك؟

- يا سيدتي، النساء قاسيات لا يرحمن عندما يكون أطفالهن في خطر.

قالت بتأمل: أظن هذا صحيحاً، نعم، أنت على حق.

سكتت لبعض الوقت ثم قالت وهي تبتسم: إنني أحاول تخيل دوافع جرمية تناسب كل واحد في الفندق، وهو أمر مسلٍ جداً. سيمون دويل على سبيل المثال؟

قال بوارو مبتسماً: جريمة بسيطة جداً، طريق مختصر مباشر إلى هدفه ليس فيه الكثير من المكر والتمويه.

- ولذلك يسهل تماماً اكتشاف الأمر؟

- نعم، لن يكون ذكياً.

- ولينيت؟

- إنها مثل الملكة في قصة «أليس في بلاد العجائب»: امرأة أفقدتها السلطة صوابها!

- بالطبع. وماذا عن الفتاة الخطيرة، جاكلين دي بيلفورت، هل يمكنها أن تقتل؟

تردد بوارو قليلاً ثم قال بارتياب: نعم، أظنها تستطيع.

- ولكنك لست متأكداً، أليس كذلك؟

- إن هذه الفتاة الصغيرة تحيرني.

- لا أظن أن بمقدور السيد بيننغتون أن يرتكب جريمة. ما رأيك؟ إنه يبدو كئيباً فاقداً للحيوية ولا تجري فيه دماء حامية.

- لكنه ربما امتلك رغبة عارمة بالبقاء.

- نعم، أظن ذلك. وماذا عن السيدة أوتربورن المسكينة؟

- هناك الخيلاء دائماً.

- كدافع إلى القتل؟

- أحياناً تكون دوافع القتل تافهة جداً يا سيدتي.

- وما هي أكثر الدوافع انتشاراً يا سيد بوارو؟

- معظمها يدور حول المال، وهذا يعني الكسب بكل تشعباته. ثم هناك الانتقام، والحب، والخوف، والكراهية الخالصة، وحب فعل الخير...

- سيد بوارو!

- آه، نعم يا سيدتي. لقد عرفت شخصاً... لنسمّه «أ»، قتل رجلاً يدعى «ب» لمجرد إفادة شخص آخر يدعى «ج». جرائم القتل السياسية تأتي في الغالب تحت هذا التصنيف؛ يُعتقد بأن شخصاً ما مؤذٍ للمدنية فيُقتَل لهذا السبب. إن مثل هؤلاء الناس ينسون أن الحياة والموت مسألة بيد الخالق.

كان بوارو يتكلم بوقار، وقالت السيدة أليرتون بهدوء: بعد هذا الحديث -يا سيد بوارو- لن أتعجب إن لم يبقَ على قيد الحياة إنسان!

ثم نهضت وقالت: لا بد أن نعود الآن، علينا أن ننطلق بعد الغداء مباشرة.

وعندما وصلا إلى رصيف المرفأ وجدا الشاب ذا الملابس القذرة يتخذ لنفسه مقعداً في القارب، وكان الإيطالي ينتظر من قبل. وعندما أرخى النوبي شراع قاربه وبدأ القارب يتحرك خاطب بوارو الرجل الغريب بعبارة مهذبة قائلاً: هناك أشياء رائعة جداً يمكن رؤيتها في مصر، أليس كذلك؟

كان الشاب يدخن في غليون كريه الرائحة، فأخرجه من فمه وقال باختصار وتأكيد وبلهجة مدهشة في شبهها بلهجة الأسر العريقة: إنها تثير اشمئزازي.

وضعت السيدة أليرتون نظارتها على عينيها ونظرت إليه باهتمام، وسأل بوارو: حقاً؟ ولماذا؟

- خذ الأهرام مثلاً؛ إنها كتل ضخمة من أحجار البناء التي لا فائدة منها وُضعت لإشباع غرور ملك طاغية مغرور. فكّر في عرَق ألوف الكادحين الذين سُخّروا لبنائها وماتوا وهم يبنونها. إنني أصاب بالغثيان عندما أفكر في معاناتهم وعذابهم الذي كابدوه.

قالت السيدة أليرتون فَرِحة: أنت تفضّل إذن أن لا توجد أهرام أو أضرحة جميلة، بل مجرد الرضا الناتج عن معرفة أن الناس كانوا يأكلون ثلاث وجبات في اليوم ويموتون على فُرُشهم.

وجّه الشاب عبوسه باتجاهها وقال: أعتقد أن البشر أهم من الحجارة.

قال هيركيول بوارو: لكنهم لا يبقون مثلها.

- أنا أفضّل رؤية عامل جيد التغذية على أي عمل فني مزعوم. إن ما يهم هو المستقبل وليس الماضي.

كان ذلك أثقل مما يستطيع السيد ريشيتي تحمله، فاندفع في كلام حماسي جارف لم يكن من السهل متابعته، وردّ الشاب على الجميع بإخبارهم برأيه في النظام الرأسمالي. كان يتحدث بحنق بالغ، وعندما انتهت الخطبة المسهبة كانوا قد وصلوا إلى مرسى الفندق.

قالت السيدة أليرتون مبتهجة: جيد، جيد... ثم نزلت إلى الشاطئ، وتابعها الشاب بنظرة احتقار.

* * *

في صالة الفندق قابل بوارو جاكلين دي بيلفورت. كانت ترتدي ثياب الركوب، وانحنت له بحركة ساخرة وهي تقول: أنا ذاهبة لركوب الحمير، ما رأيك بزيارة القرى المحلية يا سيد بوارو؟

- هل هذه هي رحلتك اليوم يا آنسة؟ جيد، إنها قرى جميلة، ولكن لا تنفقي مبالغ كبيرة على شراء التحف المحلية.

- التي يستوردونها من أوروبا، أليس كذلك؟ لا، ليس من السهل خداعي إلى هذه الدرجة.

ثم أشارت بحركة خفيفة من رأسها وخرجت إلى حيث الشمس الساطعة. أما بوارو فأكمل حزم أمتعته، وهو ما كان سهلاً جداً لأن أغراضه تظل دوماً في غاية الترتيب، ثم ذهب إلى قاعة الطعام وتناول غداءه مبكراً. وبعد الغداء أخذت حافلة الفندق الركاب المسافرين إلى الشلال الثاني إلى المحطة حيث يستقلون من هناك القطار اليومي السريع بين القاهرة والشلال، وكان طول الطريق نحو عشر دقائق فقط.

تأخر قطار القاهرة المسافر إلى الأقصر عشرين دقيقة، ولكنه وصل أخيراً، وجرت المشاهد المعتادة من النشاط المحموم حيث كان الحمّالون يخرجون حقائب الركاب من القطار فيصطدمون بالحمالين الآخرين الذي يحملون الحقائب إلى داخل القطار! وأخيراً وجد بوارو نفسه -بعد جهد- في مقصورة مع حقائبه وحقائب السيدة أليرتون وابنها وبعض الحقائب غير المعروفة، بينما كان تيم وأمه في مكان آخر مع بقية الحقائب.

كانت المقصورة التي وجد بوارو نفسه فيها تشغلها امرأة كهلة شديدة تجعّد الوجه ذات ياقة صلبة بيضاء وكثير من الألماس الذي تزيّن به نفسها، وتوحي تعابير وجهها باحتقارها الشائن لأغلبية

أفراد الجنس البشري. نظرت إلى بوارو نظرة قاسية مُهينة، ثم عادت وأخفت وجهها وراء مجلة أمريكية.

كانت تجلس قبالتها شابة كبيرة الجسم مهلهلة بعض الشيء دون الثلاثين من عمرها، وكانت عيناها بنّيتين متلهفتين وشعرها أشعث وتبدو عليها ملامح الرغبة الشديدة في إرضاء الآخرين، ومن وقت لآخر كانت السيدة العجوز تطل برأسها من أعلى المجلة وتعطيها أمراً معيناً: كورنيليا، اجمعي البطانيات... عندما نصل حاذري على صندوق ثيابي... لا تدعي أحداً يمسكه مهما كان الثمن...

كانت رحلة القطار قصيرة، فبعد عشر دقائق كانوا يقفون على المرسى حيث كانت السفينة «الكرنك» في انتظارهم، وكانت السيدة أوتربورن وابنتها على ظهر المركب.

كانت «الكرنك» أصغر من السفينتين بابيروس ولوتس، سفينتَي الشلال الأول اللتين كانتا كبيرتين جداً ولا يمكنهما العبور من فتحات سد أسوان. صعد الركاب إلى السفينة وتم تعريفهم بغرفهم، وبما أن السفينة لم تكن مليئة بالركاب فقد أخذ معظم الركاب غرفاً لهم على ظهر المركب. كان الجزء الأمامي من ظهر المركب عبارة عن صالة واسع للمراقبة محاطة بالزجاج بحيث يستطيع الركاب الجلوس فيها ومراقبة النهر أمامهم، والجزء الأسفل عبارة عن غرفة للتدخين وغرفة استقبال صغيرة، أما الطابق الأسفل من ذلك فيحتوي على صالة الطعام.

بعد أن رتّب بوارو أغراضه في غرفته خرج إلى ظهر المركب مرة ثانية لمراقبة عملية المغادرة، ثم اتجه إلى روزالي أوتربورن التي كانت تستند على جانب السفينة قائلاً: ها قد بدأت رحلتنا إلى النوبة، هل أنت سعيدة يا آنسة؟

سحبت الفتاة نفَساً عميقاً ثم قالت: نعم؛ أشعر أن المرء قد بدأ يبتعد حقاً في نهاية الأمر.

ثم قامت بحركة بيدها. كانت صفحة الماء أمامهما مضطربة والكتل الصخرية الصمّاء تنزل إلى حافة الماء، وآثار من بيوت هنا وهناك كلها بيوت مهجورة خَرِبة نتيجة لارتفاع منسوب المياه. كان للمشهد -إجمالاً- سحر كئيب يكاد يوحي بالشر.

قالت روزالي أوتربورن: بعيداً عن الناس.

- ما عدا رفاق سفرنا يا آنسة؟

رفعت كتفيها بلامبالاة وقالت: في هذه الرحلة شيء يجعلني أشعر بأنني... شريرة. إنه يُخرج إلى السطح كل الأشياء التي تغلي في داخل الإنسان! كل شيء ظالم جداً، جائر جداً.

- أمر محيّر، لا يمكنك الحكم بدليل مادي.

- انظر إلى أمهات بعض الناس، ثم انظر إلى أمي!

سكتت ثم قالت: ربما لم يكن يجدر بي قول ذلك.

أشار بوارو بيديه وقال: ولماذا لا تقولينه لي؟ أنا واحد من الذين يسمعون كثيراً من الأشياء، إذا كنت -كما تقولين- تَغْلين من الداخل مثل مُربّى الفاكهة فدَعي الزبد يطفو إلى السطح، ثم يمكنك أن تتخلصي منه بملعقة... هكذا.

أشار بيده وكأنه يلقي بشيء في مياه النيل ثم قال: وعندها يذهب.

قالت روزالي: يا لك من رجل رائع!

ارتسمت ابتسامة على فمها العابس، ثم تصلبت فجأة وهي تهتف: ها هي السيدة دويل وزوجها! لم أكن أعرف أنهما سيأتيان

معنا في هذه الرحلة.

كانت لينيت قد خرجت لتوها من غرفة تحت سطح السفينة، وكان سيمون وراءها. كاد بوارو يجفل من مظهرها وهي بالغة التألق والثقة؛ كانت تبدو سعيدة جداً إلى درجة الغطرسة. أما سيمون دويل فكان هو الآخر شخصاً مختلفاً حيث كان يبتسم ملء شدقيه ويبدو في سروره كتلميذ مدرسة. قال وهو يستند إلى حاجز المركب إلى جانب زوجته: منظر رائع... إنني أتطلع إلى هذه الرحلة بشوق، ألا تشعرين مثلي يا لينيت؟ أشعر وكأننا ذاهبان إلى أعماق مصر.

دست زوجته يدها تحت ذراعه، فقربها إلى جنبه أكثر وقال: لقد نجونا يا لين.

كانت السفينة تبتعد عن المرسى؛ لقد بدؤوا رحلة الأيام السبعة إلى الشلال الثاني ثم العودة. وفجأة دوّت وراءهما ضحكة خفيفة، فالتفتت لينيت بسرعة.

كانت جاكلين دي بيلفورت تقف هناك، وكانت تبدو سعيدة. هتفت: مرحباً يا لينيت! لم أتوقع رؤيتك هنا؛ ظننت أنكما قلتما بأنكما ستمكثان في أسوان عشرة أيام أخرى. يا لها من مفاجأة!

تلعثمت لينيت وهي تقول: أنت... إنك لم...

ثم تصنّعت ابتسامة مبتذلة وأضافت تقول: إنني... إنني لم أتوقع رؤيتك أيضاً.

- صحيح؟

ذهبت جاكلين إلى الجانب الآخر من المركب، فيما شدّت لينيت من قبضتها على ذراع زوجها: سيمون، سيمون...

تلاشى كل مرح دويل وسروره وبدا ثائراً غاضباً، ثم ابتعد الاثنان قليلاً. وصلت إلى مسامع بوارو بعض الكلمات المتفرقة دون

أن يلتفت إليهما: نعود... مستحيل... بإمكاننا...

ثم جاء صوت دويل أعلى قليلاً، يائساً لكنه شرس: لا نستطيع الهرب إلى الأبد يا لينيت، علينا أن ننتهي من هذا الأمر الآن!

* * *

بعد بضع ساعات، عندما كان ضوء النهار يخفت وقف بوارو في الصالة الزجاجية ينظر أمامه مباشرة. كانت «الكرنك» تسير في ممر ضيق تنتثر الصخور على جانبيه وماء النهر ينساب بينهما عميقاً سريعاً، لقد دخلوا النوبة الآن.

سمع حركة ثم رأى لينيت دويل واقفة إلى جانبه. كانت متوترة وتفرك أصابعها بعضها ببعض، وبدت بمظهر لم يرَها فيه من قبل؛ بدت أشبه بطفلة مذعورة. قالت: يا سيد بوارو، إنني خائفة... خائفة من كل شيء. لم أشعر بمثل هذا الشعور من قبل قط. كل هذه الصخور الموحشة والكآبة والقفر... إلى أين نحن ذاهبون؟ ما الذي سيحدث؟ إنني خائفة. الكل يكرهني، لم أشعر هكذا من قبل قط. كنت طيبة مع الناس دائماً؛ لقد فعلت لهم أشياء ولكنهم يكرهونني... كثير من الناس يكرهونني. وفيما عدا سيمون فإن جميع مَن حولي أعداء لي! أمر مخيف أن يشعر المرء بأن الناس يكرهونه.

- ولكن ما سبب كل هذا يا سيدتي؟

هزت رأسها وقالت: أظن أنها الأعصاب... أشعر أن كل شيء حولي غير آمن.

نظرت إلى ما وراءه نظرة سريعة متوترة ثم قالت فجأة: كيف سينتهي كل هذا؟ إننا محجوزون هنا في شَرَك! لا مهرب لنا؛ علينا أن نواصل الطريق. لا أعرف أين أنا!

ثم ألقت بنفسها على أحد المقاعد، فنظر بوارو إليها باهتمام، ولم تَخلُ نظرته من بعض الإشفاق. مضت لينيت قائلة: كيف عرفَت أننا سنكون هنا؟ كيف أمكنها أن تعرف؟

أجابها بوارو وهو يهز رأسه: إنها ذكية.

- أشعر وكأنني لن أفلت منها أبداً.

- هناك خطة واحدة كان بوسعك تبنّيها، والواقع أنني مستغرب لأنها لم تخطر على بالك؛ فالمال بالنسبة لك لا يشكل عائقاً. لماذا لم تسافري في مركب خاص بك تشترينه؟

- هذا ممكن لو كنا نعرف ماذا سيحدث، لكننا لم نكن نعرف وقتها، كما أنه كان صعباً.

ثم اندفعت تقول بنفاد صبر: آه! أنت لا تعرف شيئاً عن المصاعب التي تواجهني. يجب أن أكون حذرة مع سيمون؛ إنه حساس بخصوص المال لدرجة سخيفة. أقصد لأنني أمتلك ثروة كبيرة! كان يريدني أن أذهب معه إلى مكان صغير في إسبانيا، فقد أراد دفع مصاريف شهر العسل كلها بنفسه. وكأن هذا الأمر يهم... الرجال أغبياء! يجب عليه أن يعتاد على العيش عيشة مريحة. إن مجرد فكرة شراء مركب خاص تزعجه ويعتبرها نفقات غير ضرورية، وعليّ أن أعلمه بالتدريج.

رفعت بصرها وعضت شفتها بغيظ وكأنها شعرت بأنها قد استُدرجت لمناقشة مشكلاتها بطريقة بالغة الصراحة، ثم نهضت وهي تقول: أريد أن أبدل ثيابي. أنا آسفة يا سيد بوارو، أخشى أنني تفوهت بالكثير من الكلام السخيف.

* * *

الفصل الثامن

نزلت السيدة أليرتون طابقين حتى وصلت إلى صالة الطعام، وقد بدت هادئة مميّزة بثوب السهرة الأسود المزركش الذي كانت ترتديه. وعند باب القاعة أدركها ابنها فقال: أنا آسف يا أمي، ظننتُ أنني سأتأخر.

- ترى أين نجلس؟

كانت القاعة تحتوي على طاولات صغيرة مبعثرة هنا وهناك، وتوقفت السيدة أليرتون حتى يأتي المضيف لخدمتهما، لكنه كان مشغولاً عنهما. قالت: بالمناسبة، لقد دعوت هيركيول بوارو إلى الجلوس معنا على الطاولة.

بدت المفاجأة والانزعاج على تيم وقال: لماذا يا أمي؟

حدقت أمه إليه استغراباً، كان تيم سهل الانقياد في العادة.

- وهل تمانع في ذلك يا عزيزي؟

- نعم، أمانع؛ إنه رجل مزعج.

- آه، لا تقل هذا يا تيم! إنني لا أوافقك الرأي.

- على أية حال لماذا نختلط برجل أجنبي غريب؟ انحباسنا معه هكذا في سفينة صغيرة يسبب الملل؛ سيكون معنا في الصباح والظهر وفي الليل!

بدت السيدة أليرتون مكتئبة وقالت: أنا آسفة يا عزيزي؛ كنت أظن أن ذلك سيسلّيك لأنه صاحب خبرة وتجارب متنوعة دون شك، كما أنك تحب القصص البوليسية.

قال تيم متأففاً: ليتك لا تفكرين بهذه الأفكار اللامعة يا أمي. لا أظننا نستطيع التملص من دعوته، أليس كذلك؟

- لا أرى حقاً كيف يمكننا إلغاء الدعوة.

- حسناً، سنضطر إلى تحمل ذلك إذن.

في تلك اللحظة جاء المضيف إليهما وقادهما إلى طاولة. كانت السيدة أليرتون تسير وراءه وعلامات الحيرة والارتباك على وجهها، فقد كان تيم شاباً سهلاً طيّعاً طيب المزاج، ولم يكن غضبه هذا من طبيعته أبداً. لم يكن الأمر ناتجاً عن الكراهية وعدم الثقة التي يحسّها الإنكليز عادة إزاء الأجانب؛ فهو لم يكن يحمل نزعات متعصّبة أبداً. تنهدت الأم وقالت في نفسها: الرجال غامضون! حتى أقرب المقربين إلى نفسي أظهر من المشاعر وردود الفعل ما لم يكن متوقّعاً.

وبينما كانا يجلسان دخل هيركيول بوارو الصالة بسرعة وهدوء، ثم وقف ويده على ظهر الكرسي الثالث قائلاً: هل تسمحين لي يا سيدتي بالاستفادة من دعوتك الطيبة؟

- بالطبع، تفضل واجلس يا سيد بوارو.

- إنك في غاية اللطف.

أدركت وهو يجلس أنه ألقى نظرة سريعة على تيم وأن تيم لم ينجح في إخفاء بعض التجهم. أخذت السيدة أليرتون على نفسها ترطيب الأجواء، وبعد أن تناولوا الحساء أمسكت بقائمة الركاب التي كانت موضوعة إلى جانب طبقها وقالت بابتهاج: هيّا نحاول

التعرف على الجميع، إنني أجد دوماً متعة في ذلك.

بدأت تقرأ: السيدة أليرتون، السيد تيم أليرتون، هذا سهل! الآنسة دي بيلفورت، أرى أنهم وضعوها على نفس الطاولة التي تجلس عليها السيدة أوتربورن وابنتها. ترى كيف سيكون حالها مع روزالي؟ من يأتي بعد ذلك؟ الدكتور بيسنر. الدكتور بيسنر؟ من يستطيع معرفة الدكتور بيسنر؟

كانت تنظر إلى طاولة يجلس عليها أربعة رجال، وقالت: أظنه الرجل البدين صاحب الوجه الحليق والشارب، أحسبه ألمانياً، ويبدو أنه مستمتع بحسائه تماماً.

تناهت إليهم ضوضاء استحسان الطعام، وتابعت السيدة أليرتون: الآنسة باورز؟ هل يمكننا تخمين من هي هذه الآنسة باورز؟ هناك ثلاث نساء أو أربع. لا، سنتركها في الوقت الحالي. السيد دويل وزوجته؟ نعم، إنهما نجما هذه الرحلة دون شك؛ إنها حقاً جميلة جداً والثوب الذي ترتديه جميل جداً.

استدار تيم في كرسيه. كانت لينيت وزوجها وأندرو بيننغتون يجلسون إلى طاولة عند الزاوية، وكانت لينيت ترتدي ثوباً أبيض وعقداً من اللؤلؤ. قال تيم: إنني أراه ثوباً بسيطاً جداً، مجرد طول من قماش يلتف في وسطه زنّار.

قالت أمه: نعم يا عزيزي، إنه وصف رجولي جميل لثوب يساوي ثمانين جنيهاً.

- لا أفهم لماذا تدفع النساء هذه المبالغ على ثيابهن! أرى ذلك عملاً سخيفاً.

تابعت السيدة أليرتون دراستها لزملائها الركاب: السيد فانثورب؟ لا بد أنه أحد الأربعة على تلك الطاولة، ذلك الشاب

الهادئ جداً الذي لا يتكلم أبداً، وهو ذو وجه جميل حذر وذكي.

وافقها بوارو قائلاً: إنه ذكي، نعم. إنه لا يتحدث لكنه يصغي باهتمام، وهو يراقب أيضاً. نعم، إنه يستفيد من عينيه جيداً. إنه ليس من النوع الذي يمكنك توقع سفره إلى هذا المكان من العالم طلباً للمتعة، وأنا أتساءل عمّا يفعله هنا؟

قرأت السيدة أليرتون: السيد فيرغسون. أعتقد أن فيرغسون هو صديقنا المعادي للرأسمالية. السيدة أوتربورن والآنسة أوتربورن؟ نعرف عنهما كل شيء. السيد بيننغتون؟ المعروف بالعم أندرو. إنه رجل وسيم، وأظن...

- كفى يا أمي!

- أظن أنه وسيم لكنه من النوع الجاف، فكُّه يوحي بالقسوة، ربما كان من الرجال الذين نقرأ عنهم في الصحف والذين يعملون في بورصة وول ستريت، أنا متأكدة أنه واسع الثراء. بعد ذلك يأتي السيد هيركيول بوارو الذي تجري إضاعة مواهبه. ألا يمكنك ترتيب جريمة للسيد بوارو يا تيم؟

لكن مزاحها البريء لم يكن من شأنه إلاّ إزعاج ابنها من جديد. قطب جبينه فأسرعت السيدة أليرتون تكمل: السيد ريشيتي؟ صديقنا عالم الآثار الإيطالي. ثم الآنسة روبسون، وأخيراً الآنسة فان شويلر. التعرف على هذه الأخيرة سهل جداً، السيدة الأمريكية العجوز القبيحة الوجه التي يبدو واضحاً أنها ستنطوي على نفسها ولا تكلم أحداً ما لم يبلغ درجة الكمال! إنها مدهشة بعض الشيء، أليس كذلك؟ أقرب إلى قطعة أثرية. لا بد أن المرأتين اللتين معها هما الآنسة باورز والآنسة روبسون. ربما كانت تلك النحيلة التي تضع نظارة هي سكرتيرتها، والأخرى قريبتها الفقيرة، تلك الشابة التي تثير الشفقة والتي يبدو واضحاً أنها تستمتع رغم معاملتها

معاملة الرقيق! أظن أن الآنسة روبسون هي السكرتيرة والآنسة باورز هي قريبتها الفقيرة.

قال تيم مبتسماً: خطأ يا أمي.

كان قد عاد فجأة إلى أسلوبه المرح.

- وكيف عرفت؟

- لأنني كنت في الردهة قبل العشاء وقالت المرأة العجوز لمرافقتها: "أين الآنسة باورز؟ أحضريها لي على الفور يا كورنيليا". فهرعت كورنيليا ككلب مطيع.

قالت السيدة أليرتون: لا بد أن أتحدث مع الآنسة فان شويلر.

ابتسم تيم ثانية وقال: ستصدّك يا أمي.

- أبداً؛ سأمهد الطريق بالجلوس قربها والحديث بصوت خافت، ولكن يصل إليها، وبلهجة الأسر العريقة. سأتحدث عن أي أقارب أو أصدقاء من ذوي الألقاب أستطيع تذكّرهم، وأظن أن أية إشارة عرَضية لابن عمك دوق غلاسكو سوف تجعل الحيلة تنجح وتجعلها تكلمني.

- يا لقلّة وازعك يا أمي!

* * *

كانت الأحداث التي أعقبت العشاء لا تخلو من المتعة بالنسبة لمن يهوى دراسة الطبيعة البشرية؛ فقد ذهب إلى غرفة التدخين الشاب الاشتراكي الذي اتضح فيما بعد أنه السيد فيرغسون كما استنتجت السيدة أليرتون، محتقراً تجمّع الركاب في صالة المراقبة على ظهر المركب.

وضمنت الآنسة فان شويلر لنفسها أفضل وأهدأ موقع في الصالة عندما تقدمت بحزم إلى طاولة كانت تجلس عليها السيدة أوتربورن وقالت: أرجو المعذرة، أعتقد أنني تركت شغل الصوف هنا!

أخلت لها صاحبة اللفّة مكانها وكأنها تحت تأثير تنويم مغنطيسي، فجلست الآنسة فان شويلر مكانها مع حاشيتها. جلست السيدة أوتربورن قريباً منها ودمدمت بعبارات مختلفة قوبلت ببرود متأدب مما جعلها تتوقف، وهكذا جلست الآنسة فان شويلر في عزلتها المَجيدة.

وجلس السيد دويل وزوجته مع السيدة أليرتون وابنها، واستبقى الدكتور بيسنر الشاب الهادئ فانثورب رفيقاً له، وجلست جاكلين دي بيلفورت وحدها، وكان معها كتاب تقرأ فيه. كانت روزالي أوتربورن قلقة ومضطربة، وتكلمت السيدة أليرتون معها مرة أو مرتين وحاولت سحبها إلى مجموعتها، لكن الفتاة لم تكن مهذبة في استجابتها.

أمضى هيركيول بوارو أمسيته مصغياً لسرد من السيدة أوتربورن حول رسالتها ككاتبة. وفي طريق عودته إلى غرفته في تلك الليلة قابل جاكلين دي بيلفورت. كانت تستند إلى حاجز المركب، وعندما التفتت برأسها فوجئ بمقدار التعاسة على وجهها؛ لم تكن فيه الآن لامبالاة ولا تحدٍّ حاقد ولا نشوة انتصار سوداء.

- طابت ليلتك يا آنسة.

- أهلاً يا سيد بوارو.

تردّدت قليلاً ثم قالت: هل فوجئت عندما رأيتني هنا؟

- لم أفاجأ بقدر ما شعرت بالأسف، الأسف الشديد.

كان يتكلم بجِدّ وهَمّ.

- تقصد الأسف عليّ؟

- هذا ما قصدته تماماً. لقد اخترت الطريق الخطير يا آنسة، وحيث إننا هنا في هذا المركب قد انطلقنا في رحلة، فقد انطلقتِ أنت أيضاً في رحلتك الخاصة؛ رحلة على نهر سريع الجريان بين صخور خطيرة وباتجاه تيارات كارثية لا يعلم طبيعتَها أحد.

- لماذا تقول هذا؟

- لأنه صحيح. لقد قطعتِ الحبال التي كانت تربطك بشاطئ الأمان، وأشكّ أنك تستطيعين الآن العودة إذا شئت.

قالت ببطء شديد: هذا صحيح.

ثم قذفت برأسها إلى الوراء وقالت: حسناً، إن على المرء أن يتبع نجمه كائناً ما كانت وجهته.

- احذري يا آنسة من أن يكون نجماً مزيفاً.

- إنه نجم سيء، إنه نجم هوى!

❊ ❊ ❊

كان قد بدأ ينزلق إلى النوم عندما أيقظته همهمة أصوات. كان الذي سمعه هو صوت سيمون دويل وهو يكرر نفس الكلمات التي قالها عندما غادرت الباخرة الشلال: يجب أن ننهي هذا الأمر الآن.

فكر هيركيول بوارو في نفسه: نعم؛ يجب أن ننهي هذا الأمر الآن!

ولم يكن سعيداً.

❊ ❊ ❊

الفصل التاسع

وصلت السفينة إلى الزبوة في وقت مبكر من صباح اليوم التالي.

كانت كورنيليا روبسون من أول من أسرعوا للنزول إلى الشاطئ وهي مشرقة الوجه وتعتمر قبعة كبيرة. لم تكن كورنيليا تحب صدَّ الناس، فقد كانت ذات طبيعة وَدودة فُطِرت على حب كل إخوتها في البشرية. ولم يجعلها منظر هيركيول بوارو في بدلة بيضاء وقميص وردي وربطة عنق سوداء كبيرة وقبعة بيضاء تجفل كما كان من شأن الآنسة فان شويلر الأرستقراطية أن تفعل لو رأته. عندما كانا يسيران معاً صاعدين على طريق محفوف بتماثيل أُسود خرافية استجابت بكل استعداد لعبارته الاستهلالية المعتادة: ألن تنزل رفيقاتك لرؤية المعبد؟

- إن ابنة خالي ماري، أقصد الآنسة فان شويلر، لا تستيقظ من نومها مبكراً أبداً، وهي تريد من ممرضتها الآنسة باورز أن تقوم لها ببعض الأعمال، كما أنها تقول إن هذا المعبد ليس من أفضل المعابد. لكنها كانت في غاية اللطف فأذنت لي بالنزول.

ردّ عليها بوارو باقتضاب: إنه تصرف طيب من جانبها.

وافقته كورنيليا الساذجة دون ارتياب: آه، إنها طيبة جداً، كان جميلاً منها أن تحضرني معها في هذه الرحلة. أشعر بأنني فتاة

محظوظة، لم أكد أصدق عندما اقترحَت على أمي إحضاري معها.

- وهل استمتعت بهذه الرحلة؟

- آه، إنها رائعة؛ لقد رأيت إيطاليا والبندقية وباروا وبرج بيزا، ثم القاهرة... إلاّ أن ماري كانت متوعكة وهي في القاهرة ولذلك لم أخرج كثيراً لرؤية المدينة. والآن هذه الرحلة الرائعة إلى وادي حلفا.

قال بوارو مبتسماً: إنك سعيدة بالفطرة يا آنسة.

ثم نظر متأملاً إلى روزالي الصامتة العابسة التي كانت تسير وحدها أمامهما. قالت كورنيليا وقد لاحظت نظراته: إنها جميلة، أليس كذلك؟ لولا ما يبدو عليها من نظرة استعلائية. إنها إنكليزية جداً بالطبع، ليست مرحة مثل السيدة دويل. أظن أن السيدة دويل أجمل امرأة رأيتها! كما أن زوجها يحبها جداً، أليس كذلك؟ أظن أن تلك السيدة ذات الشعر الرمادي تبدو ظاهرة التميز، أظن أنها ابنة عم دوق كبير. كانت تتحدث عنه عندما كانت تجلس قربنا الليلة الماضية، لكنها لا تحمل أي لقب هي نفسها...

ظلت تثرثر إلى أن طلب منهم الدليل السياحي المسؤول الإصغاء وبدأ يتكلم عن المعبد في إسهاب تاريخي، أما الدكتور بيسنر فقد تمتم ببعض الكلمات بالألمانية والكتاب بيده، كان يفضّل الكلمة المكتوبة. لم ينضم تيم أليرتون إلى المجموعة، وكانت والدته تذيب الجليد بينها وبين السيد فانثورب المتحفظ، أما أندرو بيننغتون فقد كان يصغي باهتمام شديد ممسكاً بذراع لينيت دويل، وكان يبدو مهتماً جداً بالقياسات التي كان يتلوها الدليل عليهم.

- ارتفاعه خمس وستون قدماً، هل هذا صحيح؟ يبدو لي أقل من ذلك بقليل. كان رمسيس هذا رجلاً عظيماً، مصرياً بالغ النشاط.

- بل كان رجل أعمال كبيراً يا عم أندرو.

نظر أندرو بيننغتون إليها معجباً وقال: تبدين رائعة هذا الصباح يا لينيت، كنت قلقاً عليك بعض الشيء في الآونة الأخيرة، فقد بدوت نحيلة إلى حد ما.

ثم عادت المجموعة إلى السفينة مرة أخرى وأفرادها يتحدثون بعضهم إلى بعض، ومن جديد تحركت في النهر. أصبح المنظر أقل كآبة بعد ذلك، فقد ظهرت أشجار النخيل والزرع. وكأن اختلاف المنظر والطبيعة قد حرّر الركاب من بعض الهواجس والمخاوف الداخلية التي كانت تسيطر عليهم، فقد تخلص تيم أليرتون من النوبة المزاجية التي كانت تسيطر عليه، وبدت روزالي أقل عبوساً، أمّا لينيت فقد بدت مرحة تقريباً.

قال بيننغتون يخاطبها: من غير اللباقة الحديث عن العمل مع عروس في شهر عسلها، ولكن هناك بعض الأشياء...

ردّت عليه لينيت وقد اكتسبت فوراً سَمْت أصحاب الأعمال: نعم يا عم أندرو، لقد جعل زواجي الأمر مختلفاً بالطبع.

- هذا ما أريد قوله بالضبط؛ سأحتاج إلى توقيعك على عدة مستندات في وقت من الأوقات.

- ولماذا ليس الآن؟

نظر أندرو بيننغتون حوله، لم يكن أحد موجوداً في الزاوية التي كانا يجلسان فيها في الصالة. كان معظم الركاب في الخارج على ظهر المركب، أما الوحيدون الموجودون في الصالة فكانوا السيد فيرغسون الذي كان يشرب كوباً من العصير ويجلس وراء طاولة صغيرة في الوسط ويمدّد ساقيه أمامه بينما كان يتحدث مع نفسه من وقت لآخر، والسيد هيركيول بوارو الذي كان يجلس

أمامه، والآنسة فان شويلر التي كانت تجلس في إحدى الزوايا تقرأ كتاباً عن مصر.

قال أندرو بيننغتون: "هذا جيد". ثم غادر الصالة.

ابتسم كل من لينيت وسيمون للآخر، ابتسامة بطيئة احتاجت بضع لحظات حتى اكتملت. سألها: أأنت بخير يا حبيبتي؟

- نعم، ما زلت بخير؛ غريب أنها لم تعد تضايقني.

قال سيمون وفي نبرته قناعة عميقة: أنت رائعة.

عاد بيننغتون ومعه حزمة من الوثائق المحشوة حشواً بالكتابة. صاحت لينيت: يا إلهي! هل يتوجب عليّ توقيع كل هذه الأوراق؟

قال أندرو بيننغتون معتذراً: أعرف أنه شاق عليك، لكني أريد ترتيب شؤونك بشكل صحيح. قبل كل شيء هناك عقد إيجار البيت في الشارع الخامس، ثم هناك امتيازات الأرض الغربية...

ثم مضى يتكلم ويفرز الأوراق. تثاءب سيمون، وفُتح الباب الذي يؤدي إلى ظهر المركب ودخل السيد فانثورب منه، نظر حوله دون تركيز ثم تقدم إلى الأمام ووقف بجانب بوارو ينظر إلى المياه الزرقاء الشاحبة والرمال الصفراء.

أنهى بيننغتون كلامه قائلاً وهو يضع ورقة أمام لينيت ويشير إلى فراغ عليها: وقعي هنا فقط.

أمسكت لينيت بالورقة ونظرت إليها، عادت فراجعت الصفحة الأولى، ثم أمسكت بالقلم الذي وضعه بيننغتون إلى جانبها ووقعت اسمها: لينيت دويل.

أخذ بيننغتون هذه الورقة ووضع أخرى مكانها.

تجول فانثورب مقترباً منهم. نظر عبر النافذة الجانبية إلى شيء

بدا وكأنه أثار اهتمامه على الضفة التي كانوا يمرون من جانبها.

قال بيننغتون: هذا نقل الملكية فقط، لا حاجة لأن تقرئيه.

لكن لينيت راجعته بنظرة سريعة. وضع بيننغتون ورقة ثالثة، ومرة أخرى تفحصتها لينيت بانتباه. قال أندرو: كلها أوراق عادية تماماً؛ لا شيء فيها يثير الاهتمام، مجرد عبارات قانونية.

تثاءب سيمون ثانية وقال: يا عزيزتي، هل تريدين قراءة كل هذه الأوراق؟ ستظلين هكذا حتى وقت الغداء وربما بعده.

قالت لينيت: إنني أقرأ كل شيء بعناية دوماً. لقد علمني أبي ذلك، قال إنه يمكن أن توجد أخطاء في عملية النسخ.

ضحك بيننغتون بصوت أجش وقال: إنك امرأة عظيمة في أمور العمل يا لينيت.

قال سيمون ضاحكاً: إنها أكثر يقظة وحرصاً مني، أنا لم أقرأ أية وثيقة قانونية في حياتي، بل أوقّع حيث يشيرون عليّ بالتوقيع وكفى.

قالت لينيت باستياء: هذا منتهى الإهمال واللامبالاة.

قال سيمون فَرِحاً: عقلي ليس عقل رجل أعمال ولم يكن يوماً كذلك. عندما يقول لي شخص وقّع فإنني أوقع، إنها أسهل طريقة.

كان أندرو بيننغتون ينظر إليه نظرات تأمل، وقال بجفاء: إنه أمر ينطوي على مجازفة أحياناً يا سيد دويل.

ردّ عليه سيمون: هراء، لست ممن يرون أن العالم كله يكيد للإيقاع بالمرء؛ أنا من النوع الذي يثق بالآخرين، وهو أمر ذو فائدة، إذ لا أكاد أذكر أن أحداً خذلني قط.

وفجأة التفت السيد فانثورب الصامت وأدهش الجميع حين

خاطب لينيت قائلاً: أرجو أن لا أكون متطفلاً، ولكن أرجو أن تسمحي لي بالتعبير عن إعجابي بقدرتك على إدارة شؤونك العملية. إنني -من خلال عملي كمحام- أجد نساء يفتقرن إلى الدراية العملية تماماً. إن عدم توقيعك على وثيقة أبداً إلاّ بعد قراءتها ودراستها أمر يثير الإعجاب.

ثم انحنى لها والتفت مرة أخرى وقد احمرّ وجهه وعاد يتأمل ضفاف النيل. بدت لينيت مترددة بعض الشيء ثم قالت: "شكراً لك". وعضت على شفتها لتمنع ضحكة كادت تخرج منها.

كان الشاب قد بدا جاداً على نحو غير طبيعي، وبدا أندرو بيننغتون منزعجاً تماماً، أما سيمون دويل فكان لا يدري هل يبدو منزعجاً أم مسترخياً. كانت أذنا السيد فانثورب محمرّتين من الخلف.

قالت لينيت وهي تبتسم في وجه بيننغتون: الورقة التالية من فضلك.

لكن الارتباك والضيق كانا واضحَين على وجه بيننغتون، وقال بصوت مخنوق: أظن أن عمل ذلك في وقت آخر ربما كان أفضل كما يقول السيد دويل. إذا كنت تريدين قراءة كل هذه الأوراق فإننا سنبقى هنا حتى ساعة الغداء، ويجب أن لا يفوتنا الاستمتاع بالمناظر. على أية حالٍ فهاتان الورقتان اللتان وقّعتِهما أولاً هما الأكثر إلحاحاً الآن. سنجلس لمناقشة أمور العمل فيما بعد.

قالت لينيت: الجو حار جداً هنا، هيا نخرج.

خرجوا ثلاثتهم من الباب الدوّار للصالة، والتفت هيركيول بوارو برأسه وثبتت نظراته على ظهر السيد فانثورب متأملاً، ثم نقل نظراته إلى جسد السيد فيرغسون المتراخي الذي كان يلقي برأسه إلى الوراء وكان يصفر بصوت خافت. وأخيراً رفع بوارو بصره إلى الآنسة فان شويلر الجالسة في زاويتها في وضع منتصب، كانت

الآنسة فان شويلر تحدق إلى السيد فيرغسون.

فُتح الباب الدوار ودخلت كورنيليا روبسون مسرعة. قالت السيدة العجوز: لقد تأخرت طويلاً في الخارج، أين كنت؟

- أنا آسفة، لم يكن الصوف في المكان الذي قلتِ إنه فيه بل كان في صندوق آخر تماماً.

- يا طفلتي العزيزة، لا رجاء منك في البحث عن أي شيء! إنك متحمسة وترغبين في مساعدتي، ولكن يجب أن تحاولي أن تكوني أكثر ذكاء وسرعة. لا يحتاج الأمر منك إلاّ إلى تركيز.

- أنا آسفة، أخشى أنني غبية جداً.

- لا أحد غبي إن هو حاول يا عزيزتي. لقد أحضرتك معي في هذه الرحلة، وأتوقع منك بعض الاهتمام مقابل ذلك.

احمرّ وجه كورنيليا وقالت: أنا آسفة جداً.

- وأين الآنسة باورز؟ لقد حان موعد تناولي للدواء قبل عشر دقائق. أرجوك اذهبي وابحثي عنها فوراً، لقد قال الطبيب بأنه من المهم جداً...

ولكن في هذه اللحظة دخلت الآنسة باورز وهي تحمل علبة دواء صغيرة: دواؤك يا آنسة فان شويلر.

صاحت السيدة العجوز: كان يجب أن آخذه في الساعة الحادية عشرة. إن كان ثمة شيء أمقته فهو عدم الدقة في المواعيد.

قالت الآنسة باورز وهي تنظر إلى ساعتها: صحيح، الساعة الآن هي الحادية عشرة إلاّ نصف دقيقة بالضبط.

- لكن ساعتي تقول إنها الحادية عشر وعشر دقائق.

- أظن أنك ستجدين ساعتي هي الصحيحة. إنها دقيقة، لا

تقدم ولا تؤخر أبداً.

كانت الآنسة باورز رابطة الجأش تماماً. ابتلعت الآنسة فان شويلر الدواء وقالت: أشعر أن حالتي قد ساءت بالتأكيد.

- أنا آسفة لسماع هذا يا آنسة فان شويلر.

لم يَبدُ الأسف على الآنسة باورز بقدر ما بدا عليها عدم الاهتمام، وكان واضحاً أنها تلقي بالجواب الصحيح بطريقة آلية.

قالت الآنسة فان شويلر: الجو شديد الحرارة هنا. ابحثي لي عن كرسي على ظهر المركب يا آنسة باورز، وأنت يا كورنيليا أحضري لي صنارة غزلي. لا تكوني خرقاء فتوقعيها! ثم سأحتاج إليك لكي تلفّي لي كرة من الصوف.

وهكذا خرج موكبهنّ من الصالة. تنهد السيد فيرغسون وحرك ساقيه وقال كأنه يخاطب العالم كله: يا إلهي، بودي لو أخنق هذه العجوز!

سأل بوارو باهتمام: يبدو أنها من النوع الذي لا تحبه؟

- لا أحبه؟ نعم؛ ما الفائدة التي قدمتها تلك المرأة لأي إنسان أو أي شيء؟ إنها لم تعمل ولم تحرك ساكناً، فهي تعيش على حساب الآخرين؛ إنها عالة طفيلية خبيثة كريهة. في هذه السفينة كثير من الناس الذين أعتقد أن العالم في غنى عنهم.

- حقاً؟

- نعم. مثلاً تلك الفتاة التي كانت هنا قبل قليل والتي كانت توقّع على المستندات وتتباهى بذلك. مئات، بل آلاف من العمال البائسين يكدّون كالعبيد مقابل أجر زهيد حتى تستمتع هي بالحرير والكماليات التي لا فائدة منها. لقد أخبرني شخص بأنها واحدة من أغنى النساء في إنكلترا، بينما لم تقم بأي عمل أو جهد في حياتها.

- من قال لك بأنها من أغنى النساء في إنكلترا؟

رماه السيد فيرغسون بنظرة عدائية وقال: رجل ما كان أحد ليراك تتكلم معه! رجل يعمل بيديه ولا يخجل من ذلك، ليس واحداً من أصحابك عديمي النفع.

كان يركز نظره باشمئزاز على ربطة العنق والقميص الوردي الذي يرتديه بوارو. قال بوارو مجيباً على نظراته: بالنسبة لي فإنني أعمل بعقلي ولا أخجل من ذلك.

تأفف السيد فيرغسون وقال بازدراء: كان يجب قتلهم... كلهم!

- يا عزيزي الشاب، إن لك ميلاً إلى العنف.

- عليك أن تهدم وتدمر قبل أن تبني.

- إنه بالتأكيد أكثر سهولة وأكثر ضجيجاً وأكثر استعراضية.

- وأنت ماذا تفعل من أجل كسب العيش؟ أنا واثق أنك لا تفعل شيئاً، ربما كنت تسمي نفسك رجلاً وسيطاً.

ردّ عليه هيركيول بوارو ببعض الغرور: لست رجلاً وسيطاً، بل رجل القمة.

- ماذا أنت؟

قال هيركيول بوارو بتواضع ظاهر: أنا رجل تحرٍ.

بدا الرجل وقد فوجئ تماماً وهتف: يا إلهي! هل تقصد بأن هذه الفتاة تحمل في حقيبتها شرطياً سرياً أينما ذهبت؟ هل هي حريصة على حياتها الغالية إلى هذا الحد؟

قال بوارو بصلابة: ليست لي أي صلة بالسيد دويل وزوجته؛ أنا في إجازة.

- تقضي إجازة؟

- وأنت؟ ألست في إجازة أنت الآخر؟

تأفف السيد فيرغسون وقال: إجازة!

ثم أضاف بكلمات غامضة: إنني أدرس الأحوال.

قال بوارو: "مثير جداً"، ثم خرج بهدوء إلى ظهر المركب.

كانت الآنسة فان شويلر قد استقرت في أفضل زاوية، وجثت كورنيليا على ركبتيها أمامها وقد فتحت ذراعيها وخيوط الصوف الرمادي حولهما، وكانت الآنسة باورز تجلس منتصبة القامة تقرأ الصحيفة.

تجول بوارو على ظهر السفينة، وعندما انعطف عند مؤخرتها كاد يصطدم بامرأة نظرت إليه بوجه أخذته المفاجأة، وجه لاتيني أسمر حاد الملامح. كانت ترتدي ثوباً أسود أنيقاً وكانت تقف متحدثة مع رجل ضخم الجسم يرتدي زي البحارة وبدا كأنه أحد المهندسين. رأى على وجهيهما تعبيراً غريباً، تعبير الذعر والشعور بالذنب، وتساءل بوارو عمّا كانا يتحدثان.

دار حول مؤخرة السفينة وأكمل سيره على جانب المركب. انفتح باب إحدى الكابينات وأطلت منه السيدة أوتربورن وكادت تسقط بين يديه. كانت ترتدي ثوباً قرمزياً من الساتان، وهتفت: أنا آسفة جداً، آسفة جداً جداً يا سيد بوارو... إنها حركة السفينة فقط، إنها لا تستقر أبداً... لو أن المركب يظل ثابتاً!

أمسكت بذراعه ثم أضافت تقول: إنني لا أطيق تمايل السفينة، لا أشعر بسعادة أبداً وأنا في البحر، إضافة إلى أنني أبقى ساعات وحيدة في غرفتي. ابنتي هذه لا تشعر معي ولا تتفهم حالة أمها المسكينة التي فعلت لها كل شيء.

بدأت السيدة أوتربورن تبكي وتنتحب، ثم أضافت تقول: كنت أعمل من أجلها مثل الرقيق، أفنيت عمري من أجلها... كنت مغرمة بها وضحيت بكل شيء، كل شيء... ثم لا أحد يهتم بي! لكني سأخبر الجميع، سأخبرهم الآن كيف تهملني وكيف أنها قاسية في حقي... وقد جعلتني آتي في هذه الرحلة المملة جداً... سأذهب وأخبرهم جميعاً الآن.

اندفعت إلى الأمام، لكن بوارو اعترضها اعتراضاً خفيفاً وهو يقول: سأرسلها لك يا سيدتي، عودي إلى كابينتك فهذه أفضل طريقة.

- لا، أريد أن أخبر الجميع... كل من على ظهر المركب.

- هذا خطير جداً يا سيدتي. النهر هائج وقد تقعين أرضاً.

نظرت السيدة أوتربورن إليه نظرات ارتياب وقالت: هل تعتقد ذلك حقاً؟

- نعم.

نجح بوارو في مهمته، ترددت السيدة أوتربورن ومالت ثم دخلت كابينتها مرة أخرى. ارتعشت أرنبة أنف بوارو أكثر من مرة، ثم أومأ برأسه وسار إلى حيث كانت روزالي أوتربورن جالسة بين السيدة أليرتون وتيم.

- أمك تريدك يا آنسة.

كانت تضحك ملء شدقيها، أما الآن فقد اكفهرّ وجهها ونظرت إليه نظرة ارتياب سريعة وأسرعت إلى أمها.

قالت السيدة أليرتون: لا أفهم هذه الطفلة. إنها تختلف من وقت لآخر، مرة تكون ودودة ومرة أخرى تكون وقحة.

قال تيم: إنها سيئة الطبع ومدلّلة جداً.

هزت السيدة أليرتون رأسها وقالت: لا، لا أظن أنها كذلك، بل أعتقد أنها تعيسة.

رفع تيم كتفيه حيرة وقال بصوت أجش جاف: آه، أظن أن لكل منّا مشكلاته الخاصة.

ثم سمعوا ضجة وأصواتاً عالية، فصاحت السيدة أليرتون مسرورة: الغداء... إنني أموت جوعاً.

❋ ❋ ❋

في ذلك المساء لاحظ بوارو أن السيدة أليرتون كانت تجلس تتحدث مع الآنسة فان شويلر، وعندما مرّ من جانبهما غمزته السيدة أليرتون بطرف عينها. كانت تقول لها: بالطبع في قلعة كالفريز، الدوق...

كانت كورنيليا على ظهر المركب بعد أن تحررت من واجبها كمرافقة، وكانت تصغي إلى حديث الدكتور بيسنر الذي كان يشرح لها بشيء من التبجّح معلومات عن مصر مختارة من الكتاب الذي كان يحمله، وكانت كورنيليا تصغي باهتمام كبير.

كان تيم أليرتون يستند بذراعيه على حاجز المركب ويقول: على أية حال، إنه عالم فاسد.

أجابته روزالي أوتربورن: إنه ظلم... أن يمتلك بعض الناس كل شيء.

تنهد بوارو، كان سعيداً لأنه لم يعد شاباً.

❋ ❋ ❋

الفصل العاشر

في صباح يوم الإثنين سُمعت على ظهر «الكرنك» عبارات مختلفة من البهجة والإعجاب. كانت السفينة قد رُبطت إلى ضفة النهر وعلى بعد بضع مئات من الأمتار كان يوجد معبد عظيم منحوت من الصخور، وكانت شمس الصباح تشرق عليه لتوها. كانت هناك أربعة أجسام ضخمة منحوتة من صخور المنحدر الصخري تطل على النيل منذ الأزل وتواجه الشمس المشرقة.

قالت كورنيليا روبسون باضطراب: آه، سيد بوارو، أليس هذا رائعاً؟ أقصد أنها تماثيل كبيرة جداً، وعندما ينظر المرء إليها يشعر بأنه صغير جداً أمامها... كأنه حشرة، وأنه لا شيء يهم كثيراً. أليس كذلك؟

همس السيد فانثورب الذي كان يقف قريباً منهما: منظر مؤثر جداً.

قال سيمون دويل وهو يصعد باتجاههم: عظيم، أليس كذلك؟

ثم أكمل يخاطب بوارو على انفراد: أنا لست من النوع الذي يحب المعابد، لكن مثل هذا المنظر يأسرك. لا بد أن الفراعنة القدماء هؤلاء كانوا رجالاً عظماء.

كان الرجل الآخر قد ابتعد، وخفض سيمون صوته: أنا سعيد

إلى درجة لا توصف في هذه الرحلة؛ لقد... لقد أزالت الغمة. من المدهش أن تؤثر على هذا النحو لكن هذا ما حدث، لقد هدأت لينيت، وهي تقول بأن ذلك لأنها واجهت الأمر أخيراً.

قال بوارو: هذا محتمل.

- لقد قالت إن شعوراً فظيعاً انتابها عندما رأت جاكي على متن السفينة، ثم فجأة لم تعد تهتم بها. سوف نذهب لرؤيتها ومواجهتها لنريها أن هذا العمل السخيف لا يؤثر فينا بشيء. إنه سلوك سيء ليس إلاّ. كانت تظن أنها أزعجتنا وضايقتنا لكننا الآن لم نعد ننزعج. يجب أن نظهر لها ذلك.

- نعم.

- إذن فهو رائع، أليس كذلك؟

- آه، بلى.

خرجت لينيت إلى ظهر المركب وهي ترتدي ثوباً برتقالياً، وكانت تبتسم. سلّمت على بوارو دون حماسة ظاهرة، بل أومأت له برأسها إيماءة باردة فقط ثم سحبت زوجها بعيداً.

أدرك بوارو وهو يحس بفرح مؤقت بسيط أن موقفه الناقد قد أثر سلباً في شعبيته، فقد كانت لينيت معتادة على سماع عبارات الإعجاب بكل ما تفعله وما تقوله، وكان واضحاً أن هيركيول بوارو قد أثم في نظرها لمخالفته هذه القاعدة.

تمتمت السيدة أليرتون وقد انضمت إليه: ما هذا الاختلاف الذي يظهر على هذه الفتاة؟ كانت تبدو قلقة وحزينة في أسوان، أما اليوم فتبدو سعيدة إلى الحد الذي نكاد نخشى معه أن تكون مَقدورة.

وقبل أن يتمكن بوارو من الاستفسار عن معنى تلك الكلمة

استدعيت المجموعة للنزول، حيث تولى الدليل السياحي الرسمي عمله وقاد المجموعة على الشاطئ لزيارة معبد أبي سمبل.

كان بوارو يسير إلى جانب أندرو بيننغتون، وسأله: هل هي الزيارة الأولى إلى مصر؟

- آه، لا؛ لقد كنت هنا عام ١٩٢٣، أعني في القاهرة، لكني لم أَزُرْ هذا المكان من قبل.

- أظن أنك جئت من أمريكا بالباخرة كارمانيك، أو هذا ما أخبرتني به السيدة دويل على الأقل.

نظر بيننغتون إليه نظرة حادة وقال: نعم، هذا صحيح.

- لا أدري إن كنتَ قد التقيت بأصدقاء لي كانوا على متن الباخرة نفسها؛ السيد رشنجتون سميث وزوجته؟

- لا أتذكر شخصاً بهذا الاسم. كانت الباخرة غاصة بالركاب وكان الجو سيئاً، فكان كثير من الركاب قابعين في غرفهم. وعلى أية حال فقد كانت الرحلة قصيرة ولم أتمكن من معرفة من كان موجوداً ومن لم يكن.

- نعم، هذا صحيح. لا بد أنها كانت مفاجأة سارة عندما التقيتَ بالسيدة دويل وزوجها مصادفة. أكنت تعلم أنهما كانا متزوجين؟

- لا؛ لقد كتبت السيدة دويل لي رسالة، وقد أعيد إرسالها إليّ لأستلمها بعد أيام من لقائنا غير المتوقع في القاهرة.

- علمت أنك تعرفها منذ عدة سنوات؟

- نعم، هذا صحيح يا سيد بوارو؛ لقد عرفت لينيت ردجوي منذ نعومة أظافرها. كنت أنا وأبوها صديقَين مدى العمر، كان

ميلهويش ردجوي رجلاً بارزاً وناجحاً جداً.

- علمت أن ابنته قد حصلت على ثروة كبيرة... آه، أزجو المعذرة؛ ربما ما أقوله ليس بالقول المناسب.

بدا أندرو بيننغتون فرحاً بعض الشيء وهو يقول: إنها معلومات معروفة جداً. نعم، إن لينيت امرأة ثرية.

- ومع ذلك أظن أن الركود الحالي قد يؤثر على كل الأسهم مهما كانت قوتها، أليس كذلك؟

احتاج بيننغتون لحظة أو لحظتين حتى يجيب، ثم قال: هذا صحيح إلى حد معين، الموقف صعب جداً هذه الأيام.

- ولكني أظن السيدة دويل تمتلك عقلاً ذكياً في النواحي العملية.

- هذا صحيح، نعم، هذا صحيح؛ إن لينيت فتاة عملية ذكية.

ثم توقفت المجموعة، وبدأ الدليل بشرحه قائلاً إن ذلك المعبد قد بناه رمسيس الكبير، وإن التماثيل الأربعة لرمسيس نفسه، اثنين على كل جانب من جانبَي المدخل، وهي منحوتة في الصخور وتنظر إلى الأسفل...

بدا ريشيتي مستخفّاً بملاحظات الدليل ومشغولاً في فحص النقوش البارزة التي تمثل الأسرى الزنوج والسوريين عند قواعد التماثيل على جانبي المدخل. وعندما دخلت المجموعة المعبد سيطر عليهم إحساس بالهدوء والعتمة، كان الدليل يشير إلى النقوش البارزة الملوَّنة على بعض الجدران الداخلية للمعبد، لكن الجماعة بدأت تتفرق إلى مجموعات صغيرة.

كان الدكتور بيسنر يقرأ من دليل بالألمانية ويقف من وقت

لآخر ليترجم لكورنيليا التي كانت تسير بجانبه طائعة، ولكن لم يكن مقدَّراً لذلك أن يستمر، فقد دخلت الآنسة فان شويلر وهي ممسكة بذراع الآنسة باورز وصاحت بلغة الأمر: كورنيليا، تعالي إلى هنا!

وهكذا انقطعت الترجمة بحكم الظروف! ابتسم الدكتور بيسنر وهو ينظر إليها من تحت نظارته السميكة وهي ذاهبة، ثم قال يخاطب بوارو: إنها فتاة طيبة جداً ولا تبدو كمَن نال منه الجوع مثل غيرها من فتيات اليوم. نعم، إن لها لحماً وشحماً. وهي تصغي بذكاء شديد، من الممتع تعليمها.

خطر في ذهن بوارو أن قدَر كورنيليا هو أن تخضع للأوامر أو تخضع للتعليم، وفي كلا الحالتين تكون دوماً هي المستمعة وليس المتحدثة.

كانت الآنسة باورز تقف -بعد أن حلّت كورنيليا مكانها- في وسط المعبد تنظر حولها نظرات باردة غير مبالية، كانت ردود فعلها نحو عجائب الماضي ضيقة ومحدودة.

كان ثمة غرفة داخلية تشكل حرم المعبد جلست فيها منذ القدم أربعة تماثيل توحي بإحساس غريب بالجلال في حيادها المعتم هذا، وأمام هذه التماثيل وقفت لينيت وزوجها. كانت ذراعها في ذراعه ورأسها مرفوعاً؛ كانت تمثل الوجه التقليدي للحضارة الجديدة، وجه ذكي فضولي لا ينفعل بالماضي.

قال سيمون فجأة: هيا نخرج من هنا، لا أحب هذه التماثيل الأربعة ولا سيما ذلك الذي يضع على رأسه تلك القبعة العالية.

- أظن أن ذلك هو آمون، وذاك الآخر هو رمسيس. لماذا لا تحب هذه التماثيل؟ أنا أرى أنها تثير الإعجاب.

- إن منظرها مفزع، فيها شيء غامض غريب. هيا نخرج إلى

ضوء الشمس.

ضحكت لينيت، لكنها أذعنت. خرجا من المعبد إلى حيث الشمس المشرقة والرمال الصفراء والدفء، وبدأت لينيت تضحك. كانت رؤوس مجموعة من أولاد النوبة تصطف أمامهما في مشهد فظيع بعض الشيء، وكأن تلك الرؤوس قد فُصِلت عن أجسادها. دارت أعين الأولاد في محاجرها وتحركت رؤوسهم يمنة ويسرة بإيقاع معين، وبدأت الشفاه تنشد نشيداً بإيقاع رتيب ثم تقول: جميل، جيد، شكراً لكم.

- كم هذا سخيف! كيف يفعلون ذلك؟ كيف دفنوا أجسامهم بهذا العمق؟

أخرج سيمون بعض القطع النقدية الصغيرة من جيبه وقال مقلداً لهم: جميل، جيد، خذ هذا.

قام صبيّان صغيران مسؤولان عن العرض بأخذ القطع النقدية. ثم مضت لينيت ومعها سيمون؛ لم يكونا راغبَين في العودة إلى السفينة وكانا قد سئما رؤية المناظر الطبيعية، فجلسا مستندَين إلى الصخور وتركا أشعة الشمس تلفح جسديهما. فكرت لينيت في نفسها تقول: كم هي رائعة هذه الشمس! كم هي دافئة، كم هي آمنة، كم هو رائع أن تكون سعيداً، كم هو رائع أن أكون أنا، أنا لينيت...

أغمضت عينيها. كانت نصف نائمة ونصف مستيقظة تتقلب وسط الأفكار كما تتقلب الرمال. وكانت عينا سيمون مفتوحتين وتحملان أيضاً القناعة والاطمئنان. كم كان أحمق في انزعاجه في تلك الليلة الأولى، لم يكن هناك ما يسبب الضيق، كان كل شيء على ما يرام. يمكن للمرء في نهاية الأمر أن يثق بجاكي.

انطلقت صرخة، أناس يركضون نحوه يلوّحون بأيديهم ويصرخون! حدّق سيمون إليهم لحظة كالآخرين، ثم قفز من مكانه

وسحب لينيت معه، وبعد أقل من دقيقة سقطت وراءهما صخرة كبيرة من أعلى المنحدر الصخري وتحطمت! ولو ظلت لينيت حيث كانت تجلس لسحقتها الصخرة سحقاً.

التصقا معاً وقد شحب وجهاهما، وأسرع هيركيول بوارو وتيم أليرتون نحوهما: يا إلهي! لقد نجوتِ بأعجوبة يا سيدتي.

رفع الأربعة بصرهم غريزياً إلى أعلى الصخور. لم يكن ثمة ما يُرى، ولكن كان هناك طريق في أعلى المنحدر، وتذكر بوارو أنه رأى بعض السكان المحليين يسيرون على ذلك الطريق عندما نزلوا إلى الشاطئ أول مرة. نظر إلى الرجل وزوجته. كانت لينيت ما تزال منبهرة مذعورة، ولكن سيمون كان يدمدم وقد أخرسه الغضب: تباً لها!

ثم ضبط نفسه بنظرة سريعة إلى تيم أليرتون. قال تيم: آه، لقد كانت قريبة! هل قذف أحمق بتلك الصخرة من أعلى أم أنها سقطت وحدها؟

كانت لينيت شاحبة جداً، وقالت بصعوبة: أظن أن مغفلاً ما قد دفعها دون شك.

قال تيم: كان يمكن أن تسحقك مثل البيضة!

ابتلعت لينيت ريقها أكثر من مرة ووجدت صعوبة في الرد على هذا التعليق، وقال بوارو بسرعة: عودي إلى السفينة يا سيدتي، يجب أن ترتاحي.

ثم ساروا بسرعة وسيمون ما يزال يمور بالغضب المكتوم، وكان تيم يحاول ترطيب الأجواء بالحديث المرح لكي يُنسي لينيت الخطر الذي مرّ بها بينما كان وجه بوارو جاداً مفكراً. وعندما وصلوا إلى معبر السفينة توقف سيمون مكانه وقد ظهرت على

وجهه علامات الدهشة والذهول، فقد كانت جاكلين دي بيلفورت تنزل لتوّها إلى الشاطئ، وبدت كالطفلة في هذا الصباح وهي ترتدي ثوباً قطنياً مخططاً.

قال سيمون بصوت خافت: يا إلهي! إذن فقد كان حادثاً عرضياً؟

زال الغضب عن وجهه وظهر عليه الارتياح الكامل بشكل بالغ الوضوح، مما جعل جاكلين تنتبه إلى وجود شيء غير طبيعي. قالت: صباح الخير، أظن أنني من زمرة المتأخرين.

أومأت لهم جميعاً بالتحية ونزلت الشاطئ وتابعت طريقها في اتجاه المعبد، وأمسك سيمون بذراع بوارو فيما مضى الآخران قدماً. قال: يا إلهي! لقد ارتحت. لقد ظننتُ، ظننتُ...

أومأ بوارو قائلاً: نعم، نعم، أعرف ما كنت تظنه.

لكن بوارو نفسه كان يبدو مهموماً مشغول الذهن، والتفت برأسه ودرس بإمعان حال من تبقّى من أعضاء المجموعة. كانت الآنسة فان شويلر تعود إلى السفينة بخطوات متثاقلة مستندة إلى ذراع الآنسة باورز، وعلى بعد منها كانت السيدة أليرتون تقف وهي تضحك على ذلك الصف من رؤوس الصبية النوبيين الصغار، أمّا الآخرون فلم يظهر منهم أحد.

هز بوارو رأسه حائراً وهو يلحق بسيمون إلى داخل السفينة.

* * *

الفصل الحادي عشر

- هل تشرحين لي يا سيدتي معنى كلمة «مَقدور»؟

بدت السيدة أليرتون مدهوشة قليلاً. كانت هي وبوارو يصعدان ببطء إلى الصخرة التي تطل على الشلال الثاني، وكان معظم الآخرين قد صعدوا هناك على ظهور الجمال لكن بوارو أحس بأن حركة الجمل تذكّره نوعاً ما بحركة السفينة، أما السيدة أليرتون فاعتبرت الصعود إلى القمة على ظهر جمل نوعاً من الإهانة الشخصية.

كانوا قد وصلوا إلى وادي حلفا في الليلة السابقة، وقد قام زورقان بحمل المجموعة كلها إلى الشلال الثاني هذا الصباح، باستثناء السيد ريشيتي الذي أصر على القيام برحلة خاصة إلى مكان بعيد يدعى سيمنا كان يُعتبر -كما شرح ريشيتي- ذا أهمية فائقة باعتباره بوابة النوبة في عهد أمينيهت الثالث، حيث يوجد عمود حجري منقوش عليه أن على الزنوج أن يدفعوا ضريبة عند دخولهم مصر. حاول الجميع ثَني عالم الآثار الإيطالي عن الشروع في تصرفه الانفرادي ولكن دون جدوى، فقد كان السيد ريشيتي عازماً على أمره وفنّد كل الاعتراضات: (١) الرحلة غير جديرة بالاهتمام، (٢) لا يمكن القيام بالرحلة بسبب استحالة وصول السيارة هناك، (٣) لا يمكن الحصول على سيارة للقيام بالرحلة، (٤) ولو وُجدت السيارة فسوف يكون سعرها مرتفعاً جداً.

وبعد أن سخر السيد ريشيتي من الاعتراض رقم (١) وعبّر عن دهشته من الاعتراض رقم (٢) وعن استعداده لتأمين سيارة بنفسه جواباً على الاعتراض رقم (٣) وأعلن قدرته على التفاوض بسهولة باللغة العربية جواباً على الاعتراض رقم (٤)، بعد ذلك كله غادرهم أخيراً. وكانت مغادرته بطريقة سرّية مختلسة حتى لا يقرر بعض السواح الآخرين الخروج عن الخطة المقررة للمجموعة لرؤية مناظر الطبيعة.

أمالت السيدة أليرتون رأسها جانباً وهي تفكر في الإجابة على سؤال بوارو وقالت: مَقدور؟ حسناً، إنه بالأصل تعبير إسكتلندي، وهو يُستعمَل لوصف الفرحة المبالَغ بها التي يُعتقد أنها تصيب المرء قبل موته أو قبل حلول كارثة به، فيسمونه «مَقدوراً». إنها كقولك إن الأمر الفلاني أروع من أن يكون حقيقياً.

توسعت في شرح الموضوع فيما أصغى بوارو إليها باهتمام، ثم قال: شكراً لك يا سيدتي، لقد فهمت الآن. كان غريباً أن تقولي ذلك بالأمس قبل قليل من نجاة السيدة دويل من موت محقق.

ارتجفت السيدة أليرتون قليلاً وقالت: لا بد أنها نجت من الموت بأعجوبة. هل تعتقد أن بعضاً من هؤلاء الصبية السمر دحرجوا الصخرة من أعلى على سبيل اللهو؟ إنه مما يقوم به الأولاد في كل أنحاء العالم دون أن يقصدوا حقاً إيقاع الأذى بأي شخص.

رفع بوارو كتفيه حيرة وقال: لا أعرف يا سيدتي.

ثم غيّر الموضوع إلى الحديث عن مايوركا وسألها بعض الأسئلة العملية المختلفة باعتبار أنه يفكر بالقيام بزيارة ذلك المكان. كانت السيدة أليرتون قد بدأت تحب ذلك الرجل الصغير كثيراً، وربما كان ذلك جزئياً من باب روح المناكفة. لقد أحست أن تيم كان يحاول دائماً جعلها تتصرف بشكل أقل ودية مع هيركيول بوارو،

وظنت أن ثياب بوارو الأجنبية الغريبة بعض الشيء هي التي أثارت تحيز ابنها ضده. أما هي فقد وجدته رفيقاً ذكياً مثيراً، كما كان عطوفاً إلى أبعد حد، وقد وجدت نفسها تُسِرّ إليه فجأة بكراهيتها لجوانا ساونْدُرْد. لقد ارتاحت نفسها عندما حدثته عن ذلك، ولِمَ لا؟ إنه لا يعرف جوانا وربما لا يلتقيها أبداً. لماذا لا تريح نفسها من ذلك العبء الثقيل من الغيرة؟

وفي اللحظة نفسها كان تيم وروزالي أوتربورن يتحدثان عنها. كان تيم يشكو حظه العاثر بأسلوب ساخر، فوضعه الصحي لم يكن من السوء بحيث يثير الاهتمام حقاً، ولكنه أيضاً لم يكن من الحسن بحيث يحيا الحياة التي أرادها... مال قليل جداً ولا توجد مهنة مناسبة. ثم أنهى حديثه ساخطاً: إنها حياة فاترة رتيبة مملة جداً.

قالت روزالي فجأة: إن لديك شيئاً يحسدك عليه الكثير من الناس.

- وما هو؟

- أمك!

فوجئ تيم وبدا عليه السرور. قال: أمي؟ نعم، إنها امرأة فريدة بالطبع. جميل منك أن لاحظت ذلك.

- أعتقد أنها رائعة. إنها تبدو جميلة جداً وهادئة جداً ورابطة الجأش وكأن شيئاً لا يمكن أن يؤثر فيها، وهي مستعدة دوماً لأن تأخذ الأمور بمرح وتسامح.

كانت روزالي تتلعثم بعض الشيء في كلامها الجاد. وأحس تيم بودّ متعاظم تجاه الفتاة، وتمنى لو أنه يستطيع الردّ عليها بإطراء مماثل، ولكنه -لسوء الحظ- لم يحسّ أن السيدة أوتربورن تستحق الثناء! وقد أحس بالحرج لأنه عجز عن الرد عليها ردّاً مماثلاً.

كانت الآنسة فان شويلر قد بقيت في السفينة، فهي لم تكن تستطيع المجازفة بالصعود سواء على ظهر الجمل أو مشياً على الأقدام، وكانت قد صرخت قائلة: إنني آسفة، عليّ أن أطلب منك البقاء معي يا آنسة باورز. كنت أريدك أن تذهبي وأن تبقى كورنيليا معي، لكن الفتيات أنانيات جداً؛ لقد ذهبت بسرعة دون أن تكلمني كلمة واحدة. والواقع أنني رأيتها تتحدث مع ذلك الشاب الكريه عديم التربية فيرغسون! لقد خيبت كورنيليا أملي، إنها لا تملك أي حس اجتماعي على الإطلاق.

ردّت عليها الآنسة باورز بطريقتها الواقعية المعتادة: لا عليك يا آنسة فان شويلر، إن ذلك المشي صعب والجو حار هناك، ولا أستطيع تخيل منظر السروج على تلك الجمال، أظنها مليئة بالبراغيث!

عدّلت نظارتها وجعلت تنظر إلى المجموعة التي كانت تنزل التلة ثم قالت: الآنسة روبسون لم تعد مع ذلك الشاب، إنها تسير الآن مع الدكتور بيسنر.

تذمرت الآنسة فان شويلر وتأففت، فمنذ أن عرفت أن الدكتور بيسنر يمتلك عيادة كبيرة في تشيكوسلوفاكيا ويمتلك سمعة كبيرة في أوروبا كطبيب عصري صارت ميّالة لأن تكون مهذبة معه، كما أنها قد تحتاج إلى خدماته كطبيب قبل انتهاء الرحلة.

* * *

عندما عادت المجموعة إلى «الكرنك» صاحت لينيت من المفاجأة: برقية لي!

انتزعتها من لوحة الإعلانات وفتحتها ثم قالت: ما هذا؟ إنني لا أفهم. بطاطا، خرشوف، كرّاث... ماذا تعني يا سيمون؟

كان سيمون قد اقترب منها يريد قراءتها عندما سمع صوتاً ثائراً يقول: أرجو المعذرة، هذه البرقية لي.

ثم انتزعها السيد ريشيتي من يدها بفظاظة وهو ينظر إليها بعين الغضب. حدقت لينيت إليه بدهشة لبعض الوقت، ثم قلبت الظرف وقالت: آه، يا لي من حمقاء! إنه اسم ريشيتي وليس ردجوي! لا بد أن أعتذر منه.

ثم لحقت بعالم الآثار إلى مؤخرة السفينة وهي تقول: أنا آسفة يا سيد ريشيتي. كان اسمي ردجوي قبل زواجي ولذلك...

سكتت والبسمة تغطي وجهها وكأنها تدعوه لأن يبتسم ويغفر زلة عروس شابة، لكن بدا واضحاً أن ريشيتي لم يكن مسروراً، ولم تكن الملكة فكتوريا في أشد حالات تجهمها بأشد منه عبوساً! قال: ينبغي أن تُقرَأ الأسماء بعناية، لا يمكن مغفرة أي إهمال في مثل هذه الأمور.

عضت لينيت على شفتيها واحمرّ وجهها، فهي لم تكن معتادة على أن يردّ الناس على اعتذاراتها بهذا الأسلوب. عادت إلى حيث كان يقف سيمون وقالت غاضبة: هؤلاء الإيطاليون لا يُطاقون حقاً.

- لا تهتمي يا حبيبتي، هنا نذهب لنرى ذلك التمساح العاجي الذي أعجبك.

نزلا معاً. وسمع بوارو وهو يراقبهما صوت أنفاس حادة، فالتفت فرأى جاكلين بجانبه. كانت تقبض بيديها على حاجز السفينة، وقد فوجئ من تعابير وجهها عندما التفت إليه؛ لم تعد تلك الفتاة المرحة أو حتى الحاقدة، بل بدت وكأن ناراً في داخلها تأكلها، وجاءته كلماتها خافتة سريعة: إنهما لم يعودا يأبهان، لقد تجاوزاني! لا أستطيع الوصول إليهما، لا يهتمان إن كنت موجودة هنا أم غير موجودة. لا أستطيع... لم أعد أستطيع إيذاءهما.

ارتجفت يداها القابضتان على الحاجز.

- يا آنسة!

قاطعته قائلة: آه، لقد فات الأوان الآن، فات وقت التحذيرات! لقد كنتَ على حق؛ ما كان عليّ أن آتي إلى هذه الرحلة. ماذا سميتها؟ رحلة الروح؟ لا أستطيع العودة... إنني مضطرة للاستمرار. وسوف أستمر، يجب أن لا يشعرا بالسعادة معاً. سأقتله عاجلاً!

ثم ذهبت فجأة، وأحس بوارو وهو ينظر إليها بيد على كتفه وسمع صوتاً يقول: صديقتك تبدو منزعجة قليلاً يا سيد بوارو.

التفت بوارو إلى مصدر الصوت فدُهش عندما رأى أحد معارفه القدامى: الكولونيل ريس!

ابتسم الرجل الطويل ذو البشرة البرونزية وهو يقول: إنها مفاجأة، أليس كذلك؟

كان هيركيول بوارو قد التقى بالكولونيل ريس في لندن قبل سنة؛ كانا ضيفين في حفل عشاء غريب، حفل عشاء انتهى بموت مضيفهم، ذلك الرجل الغريب. كان بوارو يعرف أن ريس رجل ذو أسفار ورحلات غير مُعلَنة، وكان يُفترَض أن يوجد حيثما توجد مشكلات في أية بقعة من أراضي الإمبراطورية.

قال متأملاً: إذن فأنت هنا في وادي حلفا؟

- أنا هنا على هذا المركب.

- ماذا تقصد؟

- أعني أنني سأعود معكم إلى الشلال.

ارتفع حاجبا هيركيول بوارو وقال: هذا مثير جداً، هل نشرب شيئاً؟

ذهبا إلى صالة المراقبة وكانت خالية تماماً في تلك اللحظة، فطلب بوارو الشاي له وللكولونيل. قال بوارو وهو يرتشف من كوبه: إذن فسوف تعود معنا في رحلة العودة؟ كنت تستطيع أن تعود بشكل أسرع في سفينة الحكومة التي تسير ليلاً ونهاراً؟

ظهرت علامات الإعجاب على وجه الكولونيل ريس وقال: أنت مصيب كما هي عادتك يا سيد بوارو.

- إذن فالمسألة تتعلق بالركاب؟

- واحد من الركاب.

سأله بوارو وهو ينظر إلى السقف المزخرف: ترى من يكون؟

ردّ عليه ريس آسفاً: لسوء الحظ لا أعرف مَن يكون.

ازداد اهتمام هيركيول بوارو، وقال ريس: لا حاجة لإخفاء الأمر عنك. لقد واجهنا الكثير من المتاعب هنا. إننا لا نلاحق الناس الذين يقومون بأعمال الشغب بشكل مكشوف، بل نريد الرجال الذين يضعون الثقاب قرب البارود. كان هناك ثلاثة منهم، أحدهم مات والثاني في السجن، وأنا أريد الرجل الثالث. إنه رجل يحمل في رقبته وزر خمس جرائم قتل أو ست، وهو في هذه السفينة. لقد عرفنا ذلك من فقرة في رسالة وقعت في أيدينا، إذ تقول ترجمة الشيفرة: "سيكون «س» على متن «الكرنك» من ٧ إلى ١٣ من الشهر". ولم تقل الرسالة ما هو الاسم الذي سينتحله «س» هذا.

- هل لديك أوصافه؟

- لا. إنه من أصل أمريكي وإيرلندي وفرنسي، هَجين متنوع الجذور، وهذا لا يساعدنا كثيراً. هل لديك أية أفكار؟

قال بوارو متأملاً: فكرة صغيرة... الأمر كله على ما يرام.

كان التفاهم بينهما قوياً مما جعل ريس لا يضغط عليه أكثر، كان يعلم أن هيركيول بوارو لا يتكلم إلاّ إذا كان واثقاً. فرك بوارو أنفه وقال حزيناً: تحدث هنا في هذه السفينة بعض الأمور التي تسبب لي القلق.

نظر ريس إليه متسائلاً، فقال بوارو: تخيل في نفسك شخصاً يُدعى «أ» أساء بشكل كبير إلى شخص آخر يُدعى «ب». هذا الشخص «ب» يريد الانتقام ويقوم بتوجيه تهديدات.

- هل «أ» و«ب» موجودان في هذه السفينة؟

أومأ بوارو برأسه وقال: تماماً.

- وأظن أن «ب» امرأة؟

- بالضبط.

قال ريس: ما كنت لأقلق لذلك، فالناس الذين يدورون ويتحدثون عما ينوون فعله لا يفعلون في العادة.

- لعلك تقول إن هذا بالضبط هو الحال مع النساء؟ نعم، هذا صحيح.

لكنه مع ذلك ظل حزيناً، فسأله ريس: أهناك شيء آخر.

- نعم، بالأمس نجا «أ» من الموت بأعجوبة، وكان نوعاً من الموت يمكن اعتباره حادثاً بكل سهولة.

- وهل كان من تدبير «ب»؟

- لا، وهذه هي النقطة المهمة. لم يكن ممكناً أن يكون «ب» على علاقة بالأمر.

- إذن فقد كان حادثاً فعلاً؟

- ربما، ولكنني لا أرتاح لمثل هذه الحوادث.

- هل أنت واثق من أن «ب» لم تكن له أية علاقة بما حدث؟

- بلا شك.

- آه، إن المصادفات تحدث كثيراً. بالمناسبة، مَن يكون «أ» هذا؟ أهو شخص كريه؟

- بالعكس، إن «أ» امرأة شابة جميلة ثرية.

ابتسم ريس وقال: يبدو الأمر كأحداث القصص الرومنسية.

- ربما، لكني أقول لك إنني لست مرتاحاً يا صديقي إن كنت على صواب، وقد اعتدت باستمرار على أن أكون مصيباً... دائماً على صواب.

ابتسم ريس وهو يسمع بوارو يتلفظ بهذه العبارة المعهودة، فيما أكمل بوارو قائلاً: ثمة مسألة خطيرة ومزعجة هنا، ثم جئتَ أنت لتضيف المزيد من التعقيد على الأمر. إنك تقول إن على متن هذه السفينة رجلاً قاتلاً؟

- ولكنه لا يقتل سيدات فاتنات في العادة.

هزّ بوارو رأسه دون اقتناع وقال: إنني خائف يا صديقي، خائف! لقد نصحت هذه السيدة اليوم، أقصد السيدة دويل، بأن تذهب مع زوجها إلى الخرطوم، لكنهما لم يوافقا. إنني أتضرع إلى الله بأن نصل إلى الشلال دون حدوث كارثة.

- ألست ترى أنك متشائم قليلاً؟

هز بوارو رأسه وقال: إنني خائف، نعم، أنا هيركيول بوارو خائف.

* * *

الفصل الثاني عشر

وقفت كورنيليا روبسون داخل معبد أبي سمبل. كان ذلك في مساء اليوم التالي؛ كان الجو حاراً وكانت «الكرنك» قد رست مرة أخرى في أبي سمبل لتسمح لركابها بزيارة المعبد مرة ثانية، وهذه المرة تحت الأضواء الصناعية كان الفرق كبيراً وملاحَظاً. وعلقت كورنيليا على هذه الحقيقة معربة للسيد فيرغسون الذي كان يقف بجانبها عن إعجابها بما ترى، صاحت تقول: إن المنظر الآن أفضل بكثير! كل هؤلاء الأعداء الذين قطع الملك رؤوسهم، إنهم يظهرون بشكل بارز الآن... إنها قلعة رائعة لم ألحظها من قبل. ليت الدكتور بيسنر كان هنا حتى يخبرني عنها!

قال فيرغسون عابساً: لا أدري كيف تتحملين هذا الأحمق العجوز.

- إنه من أطيب وألطف الرجال الذين رأيتهم.

- بل هو عجوز مغرور ثقيل الظل.

- ينبغي أن لا تتكلم عنه هكذا.

كانا يخرجان من المعبد إلى حيث ضوء القمر، وقد أمسكها الشاب من ذراعها بقوة فجأة وقال: لماذا تصرين على مصاحبة العجائز السمان الثقلاء وتسمحين لنفسك بأن تسيطر عليك عجوز نكدة قاسية؟

- ما هذا يا سيد فيرغسون؟

- ألا توجد عندك أية شجاعة أو عزيمة؟ ألا تدركين أنك إنسانة مثلها؟

تكلمت كورنيليا بصدق: لكني لست مثلها.

- أنت لست بمثل غناها، هذا كل ما تقصدينه.

- لا، ليس كذلك فقط، فماري ابنة عمي مثقفة جداً و...

- مثقفة؟!

ترك الشاب ذراعها فجأة كما أمسكها فجأة وقال: إنها كلمة تثير اشمئزازي.

نظرت كورنيليا إليه خائفة فسألها: لا يعجبها حديثك معي، أليس كذلك؟

احمرّ وجه كورنيليا وبدت محرجة مرتبكة، فمضى قائلاً: لماذا؟ ألأنها تراني أدنى من مستواها الاجتماعي؟ ألا يجعلك ذلك تحسين بالغضب؟

قالت كورنيليا متلعثمة: ليتك لا تثور من الأمور إلى هذا الحد.

- ألا تدركين بأن كل الناس وُلدوا أحراراً متساوين؟

قالت كورنيليا بهدوء وثقة: إنهم ليسوا كذلك.

- يا فتاتي الطيبة!

- تقول ابنة عمي ماري إن السياسيين ليسوا محترمين، والناس ليسوا سواسية بالطبع، فهو أمر لا يُعقَل. أعرف أنني لست جميلة المظهر وأحياناً كنت أشعر بالخزي من ذلك، لكني تغلبت على هذا الشعور. كنت أتمنى لو أنني وُلدت جميلة ورشيقة مثل السيدة

دويل، ولكني لست كذلك، ولذا أظن بأن لا فائدة من القلق.

صاح فيرغسون بازدراء عميق: السيدة دويل؟! كان يجب أن تُقتَل لتكون عبرة لغيرها.

نظرت كورنيليا إليه نظرات قلقة ثم قالت بلطف: أظن أن السبب يعود إلى سوء الهضم عندك. عندي حبوب خاصة جربتها ماري مرة، هل تحب تجربة واحدة منها؟

قال السيد فيرغسون: إنك لا تطاقين!

ثم التفت وذهب عنها. أكملت كورنيليا طريقها باتجاه السفينة، وعندما كانت تصعد المعبر الخشبي أمسك بها مرة أخرى وقال: أنت ألطف شخص هنا، أرجو أن تتذكري هذا.

ذهبت كورنيليا إلى صالة المراقبة وقد احمرّ وجهها خجلاً وسروراً. كانت الآنسة فان شويلر تتحدث مع الدكتور بيسنر حديثاً عذباً حول مرضاه من العائلة المالكة، وقالت كورنيليا وهي تشعر بالذنب: أرجو أن لا أكون قد تأخرت عليك طويلاً.

قالت السيد العجوز بعد أن نظرت إلى الساعة في معصمها: إنك لم تسرعي بالعودة يا عزيزتي. وماذا فعلت بشالي المخملي؟

نظرت كورنيليا حولها وقالت: هل أذهب لأرى إن كان في غرفتك؟

- إنه ليس في غرفتي بالطبع! لقد أحضرته معي إلى هنا بعد العشاء ولم أنتقل من هذا المكان بعدها؛ كان على الكرسي.

قامت كورنيليا بعملية بحث عابرة ثم قالت: لا أراه في أي مكان.

- هراء! فتشي ملياً.

كان أمراً كالذي يوجهه الإنسان إلى كلبه، وأطاعت كورنيليا الأمر. نهض السيد فانثورب الهادئ الذي كان جالساً عند الطاولة القريبة وذهب لمساعدتها في البحث، لكنهما لم يجدا الشال.

كان النهار حاراً بشكل غير طبيعي وشديد الرطوبة أيضاً مما جعل الناس يعودون في وقت مبكر بعد أن ذهبوا لرؤية المعبد. كان السيد دويل وزوجته يلعبان البريدج مع بيننغتون وريس على طاولة عند إحدى الزوايا، كان الوحيد الجالس في الصالة غيرهم هو هيركيول بوارو الذي كان يتثاءب ملء فمه وهو جالس خلف طاولة صغيرة قرب الباب وأمامه كأس نصف فارغ من الكاكاو.

تقدمت الآنسة فان شويلر بموكب ملكي لتذهب إلى فراشها وعلى جانبيها كورنيليا وممرضتها الآنسة باورز، ثم توقفت قرب طاولة بوارو الذي قفز واقفاً بأدب وهو يحاول منع نفسه من التثاؤب.

قالت الآنسة فان شويلر: لقد عرفت قبل قليل فقط مَن تكون يا سيد بوارو. لقد سمعت عنك من صديقي رافاس فان ألدين، ويجب أن تحكي لي عن قضاياك في وقت ما.

طرفت عينا بوارو قليلاً وهما تغالبان النعاس وانحنى بطريقة مبالَغ فيها، فمضت الآنسة فان شويلر بعد أن تكرمت عليه بإيماءة خفيفة من رأسها. تثاءب بوارو مرة أخرى وأحس بتثاقل وتعب وبعدم قدرته على البقاء مستيقظاً. نظر إلى المتحلقين حول طاولة البريدج المنهمكين في اللعب ثم إلى الشاب فانثورب الذي كان مستغرقاً في قراءة الكتاب الذي يحمله، وفيما عداهم كان الصالة فارغة.

خرج إلى ظهر السفينة، وكادت جاكلين دي بيلفورت التي كانت تمشي على عجل على ظهر المركب تصطدم به. قال: أرجو

المعذرة يا آنسة.

قالت: يبدو عليك النعاس يا سيد بوارو.

اعترف بذلك صراحة: نعم، لقد استولي عليّ النعاس ولا أستطيع فتح عيني. كان يوماً مملاً يقبض الصدر.

- نعم.

بدت حزينة تفكر فيما قاله، ثم أضافت تقول: إنه واحد من تلك الأيام حيث الأشياء تتهشم وتتكسر! حيث لا يستطيع المرء الاستمرار.

كان صوتها منخفضاً مشحوناً بالانفعال. لم تنظر إليه ولكن إلى الشاطئ الرملي، كانت راحتاها مقبوضتين صلبتين، وفجأة زال التوتر عنها وقالت: تصبح على خير يا سيد بوارو.

- تصبحين على خير يا آنسة.

نظرت إليه فقابلت عينيه للحظة عابرة فقط، وعندما فكر بوارو في الأمر في اليوم التالي توصل إلى أن تلك النظرة كانت تشي بشيء من المناشدة، وقد قُدِّر له لاحقاً أن يتذكر تلك النظرة. ثم ذهب إلى كابينته وذهبت هي إلى الصالة.

* * *

بعد أن قامت كورنيليا بجميع واجباتها ولبّت كل نزوات الآنسة فان شويلر أخذت معها صنارة صوف وعادت إلى الصالة. لم تكن تشعر بالنعاس، بل على العكس من ذلك كانت تشعر بعدم الرغبة في النوم وبشيء من الانفعال.

كان الأربعة لا يزالون يلعبون البريدج، وعلى كرسي آخر كان فانثورب الهادئ يقرأ كتاباً. جلست كورنيليا تحبك في صنارتها،

وفجأة فُتح الباب ودخلت جاكلين دي بيلفورت. وقفت عند المدخل ورأسها إلى الوراء، ثم ضربت جرساً ومشت إلى كورنيليا بخطوات متثاقلة وجلست. سألتها: هل كنت خارج السفينة.

- نعم، كان المنظر ساحراً في ضوء القمر.

أومأت جاكلين برأسها وقالت: نعم، ليلة رائعة، ليلة شهر عسل حقيقية.

كانت تنظر نحو طاولة البريدج، وسكنت نظراتها على لينيت دويل لبعض الوقت. جاء الخادم ردّاً على الجرس، فطلبت جاكلين كأساً من الشراب. عندها نظر سيمون دويل إليها نظرة سريعة، وكانت بعض علامات القلق تظهر على وجهه.

قالت زوجته: سيمون، إننا ننتظرك لتلعب.

همهمت جاكلين بلحن مع نفسها. وعندما جاء الشراب أمسكت بالكأس وقالت: في صحة الجريمة!

ثم شربتها وطلبت كأساً ثانية. ومرة أخرى نظر سيمون إليها؛ صار يلعب شارد الذهن فوبّخه شريكه بيننغتون. بدأت جاكلين تهمهم ثانية، في البداية بصوت خافت ثم بصوت أعلى: كان رجلها وأساء إليها...

قال سيمون يخاطب بيننغتون: آسف، كان غباء مني أن لا أنتبه إلى ورقتك، وهذا جعلهما يفوزان علينا.

نهضت لينيت وقالت: أشعر بالنعاس وأريد أن أذهب لأنام.

قال الكولونيل ريس: لقد حان وقت النوم.

وافقها بيننغتون: وأنا معكما.

- هل ستأتي يا سيمون؟

قال دويل ببطء: بعد قليل.

أومأت لينيت وخرجت، وتبعها ريس، ثم تبعهما بيننغتون هو الآخر. بدأت كورنيليا تجمع أغراضها فقالت جاكلين: لا تذهبي يا آنسة روبسون، أرجوك لا تذهبي؛ أشعر أنني سأجعلها ليلة ليلاء... لا تتركيني!

جلست كورنيليا ثانية، وقالت جاكلين: نحن الفتيات يجب أن نتضامن معاً.

قذفت برأسها إلى الوراء وضحكت، كانت ضحكة صاخبة لا سعادة فيها. جاءت الكأس الثانية، فقالت جاكلين: هل تريدين تناول شيء؟

ردّت عليها كورنيليا: لا، أشكرك كثيراً.

أرجعت جاكلين كرسيها إلى الوراء قليلاً ودمدمت الآن بصوت عال: كان رجلها وأساء إليها...

قلب السيد فانثورب صفحة من كتابه، وأخذ سيمون دويل مجلة، فيما قالت كورنيليا: أظنني سأذهب إلى النوم، لقد تأخر الوقت كثيراً.

قالت جاكلين: لا يمكنك أن تذهبي إلى النوم الآن، إنني أمنعك! حدّثيني عن نفسك.

- حسناً، لا أعرف... ليس هناك الكثير مما يقال.

ثم أضافت متلعثمة: لقد عشت في بيتي ولم أخرج كثيراً، هذه هي أول رحلة لي إلى أوروبا وأنا أحب كل دقيقة فيها.

ضحكت جاكلين وقالت: إنك فتاة سعيدة، أليس كذلك؟ يا إلهي! أحب أن أكون مكانك.

- آه، حقاً؟ ولكن، أنا واثقة...

أحست كورنيليا بالارتباك؛ لا شك أن الآنسة دي بيلفورت شربت الكثير. لم يكن ذلك جديداً على كورنيليا، فقد رأت الكثير من السكارى في سنوات حظر الخمور، ولكن كان يوجد شيء آخر، لقد كانت جاكلين دي بيلفورت تتحدث معها وتنظر إليها، ومع ذلك أحست كورنيليا بأنها كانت تتحدث مع شخص آخر. ولكن لم يكن في الصالة سوى شخصين اثنين فقط، السيد فانثورب والسيد دويل. بدا السيد فانثورب منهمكاً تماماً في القراءة، أما السيد دويل فقد بدا غريباً بعض الشيء وكان يراقب بنظرات غريبة.

قالت جاكلين ثانية: أخبريني عن نفسك بكل شيء.

حاولت كورنيليا -وهي المطيعة دائماً- إجابة الطلب؛ تحدثت بأسلوب مضجر وخاضت في تفضيلات صغيرة غير ضرورية عن حياتها اليومية. لم تكن معتادة أن تكون هي المتحدثة بل كان دورها دائماً هو الإصغاء، ومع ذلك فقد بدا أن الآنسة دي بيلفورت تريد أن تعرف. وعندما تلعثمت كورنيليا وسكتت عاجلتها الأخرى بالقول: أكملي، أخبريني بالمزيد.

وهكذا أكملت كورنيليا، ومع إدراكها الحزين بأن ما تقوله لا يحمل أية أهمية إلاّ أنها سُرَّت بما رأته من اهتمام الفتاة الأخرى بحديثها. ولكن هل كانت مهتمة فعلاً؟ ألا يمكن أن تكون مصغية إلى شيء أو ربما بانتظار شيء آخر؟ صحيح أنها كانت تنظر إلى كورنيليا ولكن ألم يكن هناك غيرها يجلس معهما في الغرفة؟ كم كانت الساعة؟ لا بد أن الوقت متأخر جداً. كانت تتحدث وتتوقع أن شيئاً ما سيحدث، وعلى الفور حدث شيء ما، وكأنه حدث استجابة لرغبتها، إلاّ أنه بدا في تلك اللحظة شيئاً طبيعياً جداً.

التفتت جاكلين لتتحدث مع سيمون دويل قائلة: اضرب

الجرس يا سيمون، أريد كأساً أخرى.

رفع سيمون دويل بصره عن المجلة التي كان يقرؤها وقال بهدوء: لقد ذهب الخدم إلى النوم، الوقت تجاوز منتصف الليل.

- قلت لك أريد كأساً أخرى.

- لقد شربت ما فيه الكفاية يا جاكي.

التفتت إليه بسرعة: وما علاقتك أنت بي؟

رفع كتفيه وقال: لا علاقة لي بك.

راقبته لبعض الوقت ثم قالت: ما الأمر يا سيمون؟ أأنت خائف؟

لم يردّ سيمون عليها، وعاد لأخذ مجلته بشيء من الحذر. تمتمت كورنيليا: آه، يا إلهي! الوقت متأخر، يجب أن...

بدأت تتلعثم وترتبك، إلا أن جاكلين قالت: لا تذهبي، أريد امرأة أخرى معي هنا لتساعدني.

بدأت تضحك من جديد ثم قالت: هل تعرفين ما الذي يخاف منه سيمون هذا؟ إنه خائف من أن أقصّ أنا عليك قصة حياتي.

- آه، حقاً؟

كانت كورنيليا ضحية لمشاعر متناقضة؛ كانت محرجة جداً لكنها -في الوقت نفسه- كانت تشعر بالإثارة والمتعة. لشدَّ ما كان دويل يبدو حانقاً!

قالت جاكلين بصوت هادئ ساخر: نعم، إنها قصة محزنة جداً؛ لقد عاملني معاملة سيئة. ألم تعاملني كذلك يا سيمون؟

ردّ عليها سيمون بقسوة: اذهبي ونامي يا جاكي، أنت ثملة.

- إن كنت محرجاً يا عزيزي سيمون فمن الأفضل أن تغادر الصالة.

نظر سيمون دويل إليها، ارتجفت يده التي كان يمسك المجلة بها قليلاً لكنه تكلم بفظاظة. قال: أنا باق هنا.

تمتمت كورنيليا للمرة الثالثة وقالت: يجب أن... لقد تأخر الوقت كثيراً.

قالت جاكلين: لن تذهبي.

مدّت يدها فأمسكت بذراع الفتاة الأخرى الجالسة على الكرسي ثم أضافت: يجب أن تظلي وتسمعي ما سأقوله.

قال سيمون بحدة: إنك تجعلين من نفسك أضحوكة يا جاكي، أرجوك أن تذهبي إلى النوم.

انتصبت جاكلين في جلستها فجأة. تدفقت الكلمات من فمها سريعاً وهي تقول: أنت خائف من مشهد ما، أليس كذلك؟ هذا لأنك إنكليزي جداً، متحفظ جداً! تريد مني أن أتصرف باحتشام، أليس كذلك؟ لكني لا أهتم إن كنت أتصرف باحتشام أم بغير ذلك! من الأفضل أن تخرج من هنا بسرعة لأنني سأتحدث بالكثير.

أغلق جيم فانثورب كتابه بحرص شديد، تثاءب ونظر إلى ساعته ثم نهض فخرج، كان ذلك بالنسبة له مشهداً إنكليزياً جداً وغير مقنع أبداً. واستدارت جاكلين على كرسيها وحملقت إلى سيمون ثم قالت بحدة: أيها الأحمق اللعين! أتظن أنك تستطيع معاملتي كما فعلت دون أن تنال جزاءك؟

فتح سيمون شفتيه ثم أغلقهما ثانية. جلس صامتاً هادئاً وكأنه يرجو أن تهدأ ثورتها إذا لم يقل شيئاً يغضبها من جديد، لكن صوت جاكلين جاء حاداً مبهماً، وقد سحر ذلك كورنيليا التي لم تكن

معتادة أبداً على كشف العواطف بهذه الطريقة. قالت جاكلين: قلت لك إنني سأقتلك قبل أن تتركني وتذهب إلى امرأة غيري، أتظنني لم أكن أعني ما أقوله؟ أنت مخطئ، كنت فقط... انتظر، أنت لي! هل تسمع؟ أنت ملك لي!

ومع ذلك لم يتكلم سيمون، عبثت يد جاكلين لحظة في حضنها، ثم مالت إلى الأمام وقالت: لقد قلت لك بأنني سأقتلك، وكنت أعني ما أقول.

رفعت يدها فجأة وكانت تمسك بشيء يلمع، وأضافت: سأقتلك كأي كلب، كأي كلب قذر على شاكلتك.

أخيراً تحرك سيمون، نهض فجأة، لكنها في اللحظة ذاتها ضغطت على الزناد. سقط سيمون يتلوّى على كرسي، وصرخت كورنيليا واندفعت نحو الباب. كان جيم فانثورب على ظهر المركب مستنداً إلى الحاجز، نادته: سيد فانثورب، سيد فانثورب!

ركض إليها، فأمسكت بذراعه مذعورة وهتفت: لقد قتلته، آه... لقد قتلته!

كان سيمون دويل ممدداً نصفه على الكرسي، فيما وقفت جاكلين كالمشلولة. كانت ترتجف بقوة والذعر في عينيها وهي تنظر إلى بقعة الدم التي انتشرت ببطء من ساق سيمون تحت الركبة حيث وضع منديلاً على الجرح. قالت متلعثمة: لم أكن أقصد... آه، يا إلهي! لم أكن أقصد أن...

سقط المسدس من بين أصابعها المرتجفة ليرتطم بالأرض، فدفعته بقدمها بعيداً بحيث دخل تحت أحد المقاعد. قال سيمون بصوت واهن: فانثورب، أرجوك، ثمة شخص قادم... قل له إن شيئاً لم يحدث، قل له إنه مجرد حادث فقط، لا أريد أن تحدث فضيحة بسبب ما حدث.

أومأ فانثورب مستوعباً الطلب بسرعة، ثم استدار بسرعة واتجه إلى الباب حيث أطل وجه نوبي مذعور، وقال: لا بأس، لا بأس... مجرد لهو!

بدا النوبي مرتاباً محتاراً، ثم اطمأن وابتسم وأومأ برأسه وذهب. عاد فانثورب وقال: لا بأس، لا أظن أن شخصاً آخر قد سمع، بدا الصوت كفلّينة زجاجة. والآن، العمل التالي.

بدأت جاكلين بالنحيب فجأة وبشكل هستيري: آه، يا إلهي! ليتني مت، سأقتل نفسي... من الأفضل أن أموت... آه، ما الذي فعلته، ما الذي فعلته؟

أسرعت كورنيليا إليها قائلة: اهدئي يا عزيزتي، اهدئي.

قال سيمون والعرق يتصبب من وجهه وهو يتلوّى ألماً: أخرجوها من هنا، أرجوكم أخرجوها من هنا. خذها إلى غرفتها يا فانثورب، اسمعيني يا آنسة روبسون، أحضري تلك الممرضة التي ترافقك.

كان ينظر إليهما نظرات استجداء وتوسل، ثم أضاف يقول: لا تتركيها، تأكدي أنها آمنة مع الممرضة وأنها تعتني بها، ثم أحضروا الدكتور بيسنر العجوز إلى هنا، وأرجوكم لا تبلغوا زوجتي بما حدث.

أومأ جيم فانثورب. كان الشاب الهادئ كفؤاً رابط الجأش عند الطوارئ. ثم قام هو وكورنيليا بإخراج الفتاة الباكية -وهي تقاوم- من الصالة فأخذاها إلى غرفتها، وهناك واجها المزيد من المتاعب معها حين قاتلتهما لتحرر نفسها وازداد نحيبها وبكاؤها: سأغرق نفسي، سأغرق نفسي... أنا لا أصلح للحياة... آه، سيمون، سيمون!

قال فانثورب مخاطباً كورنيليا: من الأفضل أن تستدعي الآنسة

باورز، سأظل معها ريثما تحضريها.

أومأت كورنيليا ثم خرجت مسرعة، وحالما غادرت تعلقت جاكلين بذراع فانثورب وهي تقول: ساقه... إنها تنزف... مكسورة! قد ينزف حتى الموت، لا بد أن أذهب إليه... آه، سيمون، سيمون، كيف فعلت ذلك؟

ارتفع صوتها، فقال فانثورب بإلحاح: اهدئي، اهدئي، سيكون بخير.

بدأت تقاوم من جديد: دعني أذهب... سألقي بنفسي في الماء، اتركني أقتل نفسي!

أعادها فانثورب إلى سريرها بقوة وقال: يجب أن تبقي هنا، لا تثيري ضجة، تماسكي. قلت لك إن الأمور على ما يرام.

ارتاح فانثورب عندما استطاعت الفتاة أن تضبط أعصابها قليلاً، لكنه ارتاح أكثر عندما فتحت الآنسة باورز القديرة الستائر جانباً ودخلت برفقة كورنيليا. قالت الآنسة باورز بسرعة: حسناً، ما الذي جرى؟

تولت مسؤولية عملها دون إبداء أية دهشة أو ذعر، وترك فانثورب الفتاة المجهدة بين يديها القديرتين شاكراً وأسرع إلى كابينة الدكتور بيسنر، طرق الباب ودخل عند أول طرقة: دكتور بيسنر؟

توقف الشخير المفزع ورد عليه صوت جفل: من؟ ما الأمر؟

كان فانثورب في تلك اللحظة قد أضاء المصباح، فنظر الطبيب إليه وقد أعماه الضوء المفاجئ.

- إنه دويل، لقد أُطلق عليه الرصاص... الآنسة دي بيلفورت أطلقت عليه النار. إنه في الصالة، هل يمكنك المجيء؟

تصرف الطبيب البدين على الفور، سأله بعض الأسئلة المقتضبة ولبس نعله ورداء النوم وأمسك بحقيبة تحتوي على بعض اللوازم الطبية ثم اصطحب فانثورب إلى الصالة. كان سيمون قد تمكن من فتح النافذة بجانبه، وكان يضع رأسه عليها يستنشق الهواء. كان وجهه شاحباً مخيفاً. جاءه الدكتور بيسنر وقال: ها؟ ماذا لدينا هنا؟

كان على سجادة الأرضية منديل ملطخ بالدم وكان على السجادة نفسها بقعة داكنة من الدم. شرع الطبيب في فحص مكان الإصابة وهو يصدر علامات الذهول والتذمر: نعم، إصابة سيئة، العظم مكسور، كما أنه فقد الكثير من الدم. هيا يا فانثورب، يجب أن تساعدني في أخذه إلى كابينتي. هكذا، نعم... إنه لا يستطيع المشي، يجب أن نحمله.

وعندما رفعاه ظهرت كورنيليا عند مدخل الباب، وحين رآها الطبيب انفرجت أساريره وقال: آه، هذه أنت؟ جيد، تعالي معنا؛ أحتاج إلى مساعدة، ستكونين أفضل من صديقنا فانثورب.

ابتسم فانثورب ابتسامة باهتة وقال: هل أحضر الآنسة باورز؟

- ستقومين بالمهمة جيداً، لن يغمى عليك أو تخافي، أليس كذلك؟

ردّت كورنيليا بحماسة: أستطيع أن أفعل ما تطلبه مني.

أومأ بيسنر راضياً، وخرج الموكب إلى ظهر السفينة ثم إلى كابينة الدكتور بيسنر. كانت الدقائق العشر التالية مليئة بالعمل الجراحي الذي لم يَرُق للسيد جيم فانثورب، وقد أحس في قرارة نفسه بالخزي من التماسك الذي أظهرته كورنيليا وتفوقت به عليه.

عندما انتهى الدكتور بيسنر من عمله قال: "هذا أفضل ما يمكن فعله". ثم قال وهو يربت على كتف سيمون باستحسان: "لقد كنت

بطلاً يا صديقي"، ورفع كمه وأخرج حقنة ثم قال: سأعطيك الآن شيئاً يجعلك تنام... زوجتك، ماذا عنها؟

قال سيمون بصوت واهن: "لا حاجة لأن تعرف حتى الصباح"، ثم أكمل يقول: إنني... يجب أن لا تلوموا جاكي؛ الخطأ كله خطئي، أنا الذي عاملتها معاملة مخزية... إنها طفلة مسكينة، لم تكن تعرف ما تفعله.

أومأ الدكتور بيسنر مستوعباً وقال: نعم، نعم، أفهم.

ألحّ سيمون قائلاً: "إنها غلطتي"، ثم نظر إلى كورنيليا وقال: يجب أن يبقى أحد معها، قد... قد تؤذي نفسها.

حقنه الدكتور بيسنر بالإبرة، وقالت كورنيليا بهدوء تام: لا بأس يا سيد دويل، ستبقى الآنسة باورز معها طوال الليل.

بدت على وجه سيمون نظرة امتنان. تراخى جسده وأغمض عينيه، وفجأة فتحهما وقال: فانثورب؟

- نعم يا دويل.

- المسدس... يجب أن لا تتركه على الأرض، سيجده العمال في الصباح.

أومأ فانثورب وقال: صحيح، سأذهب وآخذه على الفور.

خرج من الكابينة إلى ظهر المركب، وظهرت الآنسة باورز عند باب كابينة جاكلين فقالت: ستكون بخير الآن، لقد أعطيتها إبرة مورفين.

- ولكن هل ستبقين معها؟

- آه، نعم، المورفين يهيج بعض الناس، سأبقى معها طوال الليل.

أكمل فانثورب طريقه إلى الصالة، وبعد ثلاث دقائق كان يدقّ على باب كابينة بيسنر. ظهر الرجل البدين وسأل قائلاً: نعم؟

أشار إليه فانثورب بالخروج إلى ظهر المركب حيث قال: اسمعني، لم أعثر على ذلك المسدس.

- ما هذا؟

- المسدس... لقد سقط من يد الفتاة، رفسته بقدمها بعيداً وانزلق تحت أحد المقاعد، وهو الآن غير موجود تحت ذلك المقعد.

حدّق كل منهما إلى الآخر.

- ولكن مَن يمكن أن يكون قد أخذه؟

رفع فانثورب كتفيه حيرة، فقال بيسنر: هذا غريب، لكني لا أدري... ما الذي يمكننا فعله بهذا الخصوص؟

افترق الرجلان محتارَين خائفين.

* * *

الفصل الثالث عشر

كان هيركيول بوارو يمسح بقايا صابون الحلاقة عن وجهه الذي حلقه عندما سمع دقات سريعة على الباب، ثم دخل الكولونيل ريس دون إذنه وأغلق الباب وراءه وهو يقول: كانت غريزتك في محلها تماماً... لقد حدث ما توقعته.

انتصب بوارو وسأله بحدة: ما الذي حدث؟

- ماتت لينيت دويل، قُتلت برصاصة في رأسها الليلة الماضية!

صَمت بوارو دقيقة وأمامه صورتان؛ صورة فتاة في إحدى الحدائق بأسوان تقول بصوت جاف لاهث: "أريد أن أضع مسدسي الصغير في رأسها وأضغط الزناد"، وصورة أخرى أكثر حداثة، نفس الصوت يقول: "يشعر الإنسان أحياناً أنه لا يستطيع الاستمرار، اليوم الذي تنكسر فيه الأشياء"... والتماعة التوسل الغريبة تلك في عينيها. ما الذي دهاه وجعله لا يستجيب لذلك التوسل؟ لقد جعلته حاجته إلى النوم أعمى أصم غبياً.

أكمل ريس يقول: إن لي بعض المكانة الرسمية، وقد أرسلوا في طلبي وسلّموني الأمر. من المقرر أن تتحرك السفينة بعد نصف ساعة، لكنها ستتأخر إلى حين أعطيهم الأمر بالتحرك، وهناك احتمال بالطبع أن يكون القاتل قد جاء من البر.

هز بوارو رأسه نافياً، فأذعن ريس لهذه الحركة وقال: أتفق معك؛ نستطيع أن نستبعد هذه الفرضية تماماً. حسناً يا صاحبي، تولَّ أنت القضية، هذا هو دورك.

ارتدى بوارو ثيابه بخفّة وسرعة ثم قال: أنا تحت تصرفك.

خرج الرجلان إلى ظهر المركب. قال ريس: لا بد أن بيسنر موجود الآن هناك؛ لقد أرسلت الخادم في طلبه.

كانت في المركب أربع كابينات فاخرة مجهّزة بحمامات. كانت إحدى الكابينتين اللتين على ميسرة السفينة يشغلها الدكتور بيسنر وفي الثانية أندرو بيننغتون، أما الكابينتان اللتان على الميمنة فتشغل إحداهما الآنسة فان شويلر، والثانية التي بجانبها تشغلها لينيت دويل، أما غرفة زوجها التي يستخدمها لتغيير الثياب فكانت التي تليها.

كان خادم شاحب الوجه يقف عند باب كابينة لينيت دويل، فتح لهما الباب ودخلا. كان الدكتور بيسنر يتفحص الجثة، وقد رفع بصره ونخر بصوت عال عندما دخل الآخران. سأله ريس: ماذا بوسعك أن تخبرنا بشأن هذا الأمر يا دكتور؟

تحسس بيسنر لحيته التي لم يحلقها متأملاً ثم قال: آه، لقد قُتلت من مكان قريب. انظر، هنا فوق الأذن، من هنا دخلت الرصاصة، رصاصة صغيرة جداً، أعتقد أنها من عيار ٢٢. كان المسدس قريباً جداً من رأسها، انظر، يوجد سواد هنا، الجلد محروق.

مرة أخرى تذكر بوارو تلك الكلمات التي قيلت في أسوان. وأكمل بيسنر يقول: كانت نائمة، لم تحدث أية مقاومة؛ تسلل القاتل في الظلام وقتلها بينما كانت نائمة.

صاح بوارو: آه، لا!

ثار لديه إحساسه السيكولوجي، إذ لم تكن صورة جاكلين دي بيلفورت وهي تتسلل إلى كابينة مظلمة وبيدها مسدس... لم تكن تلك الصورة تناسب جاكلين. حدّق بيسنر إليه من وراء عدساته السميكة وقال: لكن هذا ما حدث.

- نعم، نعم، لم أقصد شيئاً مما قلته أنت، أنا لم أكن أناقض قولك.

ارتسمت علامات الرضا على وجه بيسنر، واقترب بوارو فوقف بجانبه. كانت لينيت دويل ممدَّدة على جنبها، كان وضعها طبيعياً وهادئاً ولكن فوق أذنها كانت توجد فتحة صغيرة حولها قشرة من دم جاف.

هز بوارو رأسه بحزن، ثم وقعت عيناه على الجدار الأبيض الذي أمامه فسحب أنفاسه بحدة. كان الجدار الأبيض قد لُطخ بحرف «ج» كُتب بلون أحمر بني وبيد مرتجفة. أمعن بوارو النظر إليه ثم مال فوق جسد الفتاة الميتة ورفع يدها اليمنى برفق، كان أحد أصابعها ملطَّخاً بلون أحمر مائل إلى البني. هتف: إيه؟ ما هذا؟

رفع الدكتور بيسنر بصره وقال: آه! ذاك.

قال ريس: آه، تباً! ما الذي تفهمه من هذا يا بوارو؟

تمايل بوارو قليلاً وقال: تسألني عمّا أفهمه من هذا. جيد، الأمر بسيط، أليس كذلك؟ السيدة دويل تحتضر وترغب في أن تشير إلى هوية قاتلها، ولذلك تكتب بأصبعها بعد أن لطخته بدمها الحرف الأول من اسم قاتلها. آه، نعم، الأمر بسيط إلى حد مذهل.

- آه، ولكن...

كان الدكتور بيسنر على وشك أن يحتجّ، لكن إشارة من ريس

أسكتته. سأله ببطء: إذن فهذا ما يلفت نظرك؟

التفت بوارو إليه وأومأ برأسه قائلاً: نعم، نعم، إن الأمر بسيط إلى حد مذهل كما قلت! إنه عمل مألوف جداً، أليس كذلك؟ لقد حدث كثيراً في صفحات قصص الجرائم المثيرة، وها نحن نراه الآن بالفعل على الطريقة القديمة. إنه عمل يقودنا إلى الشك في أن القاتل من الطراز القديم. يا له من عمل سخيف!

قال ريس: لكنه تم عن قصد.

وافقه بوارو والحزن ظاهر عليه: ذاك، أمر طبيعي!

سأله ريس: وماذا يعني الحرف «ج»؟

أجابه بوارو على الفور: جاكلين دي بيلفورت، فتاة قالت لي قبل أقل من أسبوع بأنها لا تفضل شيئاً أكثر...

سكت بوارو قليلاً ثم بدأ يستشهد بكلماتها نفسها: "أكثر من أن أضع مسدسي الصغير في رأسها ثم أضغط على الزناد بإصبعي".

سحب ريس نفساً عميقاً وقال: وهذا ما حدث بالضبط هنا؟

أومأ بيسنر موافقاً وقال: هذا ما حدث، نعم، كان مسدساً من عيار صغير جداً، ربما عيار ٢٢ كما قلت. يجب إخراج الرصاصة بالطبع قبل أن نجزم بذلك.

أومأ ريس بسرعة، ثم سأل: ماذا عن وقت الوفاة؟

نقر بيسنر على ذقنه ثانية بحيث أحدثت أصابعه صوتاً خشناً، ثم قال: لن أحدد الوقت بدقة تامة. الساعة الآن الثامنة، وإذا أخذنا بالاعتبار درجة الحرارة في الليلة الماضية فإنني أعتقد بأنها ماتت قبل ست ساعات على الأقل، وبما لا يتجاوز ثماني ساعات على الأكثر.

- هذا يعني بين منتصف الليل والثانية صباحاً.

- هذا صحيح.

سكت الجميع، نظر ريس حوله ثم قال: وماذا عن زوجها؟ أظن أنه ينام في الكابينة المجاورة.

قال الدكتور بيسنر: لكنه نائم في كابينتي في هذه اللحظة.

بدا الرجلان وقد فوجئا كثيراً. أومأ بيسنر برأسه عدة مرات ثم قال: الأمر كذلك. أرى أن أحداً لم يخبركما بأن السيد دويل قد أُطلقت عليه النار في الصالة الليلة الماضية.

- ماذا؟ ومن الذي أطلق النار؟

- السيدة الشابة جاكلين دي بيلفورت.

سأله ريس بحدة: وهل إصابته بليغة؟

- نعم، لقد تهشم العظم. فعلتُ كل ما هو ممكن في الوقت الحالي، ولكن من الضروري تصوير الكسر بالأشعة السينية في أسرع وقت ممكن ثم إعطاؤه العلاج المناسب الذي يستحيل تقديمه على متن السفينة.

همس بوارو: "جاكلين دي بيلفورت"... ثم نظر ثانية إلى حرف الجيم على الحائط.

قال ريس على الفور: إذا لم يكن لدينا ما نفعله هنا غير هذا فهيا نذهب إلى الطابق السفلي، لقد وضعت الإدارة غرفة التدخين تحت تصرفنا، يجب أن نجمع تفاصيل ما حدث في الليلة الماضية.

خرجوا من الكابينة، وأغلق ريس الباب بالمفتاح وأخذه معه. قال: سنأتي فيما بعد، أول شيء نفعله هو أن نستوضح جميع الحقائق.

ذهبوا إلى الطابق الأسفل حيث وجدوا مدير السفينة في انتظارهم عند مدخل باب غرفة التدخين وهو بالغ الاضطراب. كان الرجل المسكين متضايقاً جداً وقلقاً ممّا حدث، وكان متلهفاً على ترك الأمر كله للكولونيل ريس. قال: أشعر -وأنا أرى موقعك الرسمي- أنه ليس هناك أفضل من ترك الأمر لك يا سيدي. لقد تلقيت أوامر لوضع نفسي تحت تصرفك، وسوف أضمن أن يسير كل شيء بناء على رغبتك.

- أشكرك. قبل كل شيء أرجو أن تحجز هذه الغرفة لي وللسيد بوارو خلال التحقيق.

- بالتأكيد يا سيدي.

- هذا كل ما عندي في الوقت الحالي. يمكنك المضي إلى عملك، أعرف أين أجدك عند الحاجة.

غادر المدير الغرفة بعد أن بدت عليه علامات الارتياح، فقال ريس: اجلس يا بيسنر وحدثنا عن كل ما حدث الليلة الماضية.

استمعا باهتمام شديد إلى رواية الطبيب، وبعد أن انتهى من حديثه قال ريس: واضح تماماً؛ لقد تصاعد التوتر تدريجياً لدى الفتاة وساعد الشراب في تفاقم حالها مما جعلها أخيراً تطلق النار على الرجل، ثم ذهبت إلى كابينة لينيت دويل وقتلتها أيضاً.

لكن الدكتور بيسنر راح يهزّ رأسه وهو يقول: لا، لا، لا أظن ذلك، لا أظن ذلك ممكناً لسبب واحد، وهو أنها لا يمكن أن تكتب الحرف الأول من اسمها على الجدار. سيكون ذلك سخيفاً، أليس كذلك؟

قال ريس: يمكن أن تفعل ذلك إذا كانت مجنونة وغيورة إلى حد العمى كما هو واضح عليها. ربما أرادت أن توقع باسمها على

الجريمة إذا صح التعبير.

هز بوارو رأسه نافياً، وقال: لا، لا أظنها على هذا القدر من الفجاجة.

- إذن هناك سبب واحد فقط لكتابة الحرف «ج» هذا، وهو أن شخصاً آخر هو الذي كتبه عامداً ليلقي عليها الشكوك.

أومأ بيسنر موافقاً وقال: نعم، وكان المجرم غير محظوظ؛ لا لأن ارتكابها للجريمة كان مسألة مستبعَدة فحسب بل لأن ذلك كان مستحيلاً أيضاً كما أظن.

- وكيف هذا؟

شرح بيسنر الحالة الهستيرية التي كانت عليها جاكلين والظروف التي جعلت الآنسة باورز تتولى أمرها، ثم قال: وأظن، بل أنا واثق من أن الآنسة باورز قد بقيت عندها طوال الليل.

قال ريس: إن كان الأمر كذلك فهو يسهّل الأمور كثيراً.

سأل بوارو: من الذي اكتشف الجريمة؟

- لويز بورجيه خادمة السيدة دويل، ذهبت لتوقظ سيدتها كالعادة فوجدتها ميتة ثم خرجت فارتمت على ذراعي الخادم مغشياً عليها، فذهب الخادم إلى المدير الذي جاء بدوره إليّ، وبحثت عن بيسنر ثم جئت إليك.

أومأ بوارو برأسه. وقال ريس: يجب أن يعرف دويل بالأمر، هل تقول إنه ما زال نائماً؟

أومأ بيسنر بالإيجاب وقال: نعم، ما زال نائماً في كابينتي. لقد أعطيته حقنة منوّمة قوية في الليلة الماضية.

التفت ريس إلى بوارو وقال: أعتقد أنه لا حاجة بنا لتأخير

الطبيب معنا أكثر من ذلك. شكراً لك يا دكتور.

نهض بيسنر وقال: سأتناول الإفطار، نعم، ثم سأعود إلى كابينتي لأرى إن كان بالإمكان إيقاظ السيد دويل.

- شكراً لك.

خرج بيسنر ونظر الرجلان كل إلى الآخر، ثم سأل ريس: ما رأيك يا بوارو؟ أنت الرجل المسؤول. سآخذ الأوامر منك، أنت الذي تقرر ما ينبغي عمله.

انحنى بوارو له وقال: يجب أن نعقد جلسة تحقيق. قبل كل شيء أرى أن علينا أن نتحقق من الرواية المتعلقة بما حدث في الليلة الماضية، وهذا يعني أننا يجب أن نستجوب فانثورب والآنسة روبسون اللذين كانا الشاهدين الفعليين على ما حدث. إن اختفاء المسدس ذو دلالة كبيرة.

ضغط ريس على جرس وأرسل مع الخادم رسالة. تنهد بوارو وهز رأسه قائلاً: هذا سيء، سيء.

سأله ريس بفضول: هل لديك أية أفكار؟

- أفكاري متضاربة غير مرتبة. هناك حقيقة كبيرة وهي أن هذه الفتاة كانت تكره لينيت دويل وكانت تريد قتلها.

- هل تظن أنها قادرة على ذلك؟

بدا بوارو مرتاباً وقال: أظن ذلك، نعم.

- ولكن ليس بهذه الطريقة؟ أليس هذا ما يقلقك؟ أي أنها لم تكن لتتسلل إلى كابينتها في الظلام وتقتلها وهي نائمة. إن قتلها بدم بارد هو الأمر الذي يجعلك ترى هذا الاحتمال غير صحيح.

- نعم، إلى حد ما. لست متأكداً تماماً، فهي تملك الذكاء

والعقل للقيام بذلك، نعم، لكني أشك في قدرتها على تنفيذ العمل.

أومأ ريس وقال: نعم، فهمت، وفقاً لرواية بيسنر فإن ذلك يستحيل مادياً أيضاً.

- إن كان هذا صحيحاً فإنه يوضح الأمور كثيراً، نأمل أن يكون صحيحاً.

سكت بوارو قليلاً ثم أضاف: سأكون مسروراً لو كان صحيحاً، لأنني أتعاطف مع تلك الفتاة كثيراً.

فُتح الباب ودخل فانثورب وكورنيليا، ثم تبعهما بيسنر. قالت كورنيليا لاهثة: أليس هذا عملاً مروّعاً؟ مسكينة، مسكينة السيدة دويل! كانت جميلة جداً. لا بد أن من أقدم على إيذائها شيطان حقيقي! ومسكين السيد دويل هو الآخر، سيصاب بالجنون عندما يعلم. حتى في الليلة الماضية كان مهتماً جداً وخائفاً من أن تعرف عن الحادثة التي جرت له.

قال ريس: هذا ما نريدك أن تخبرينا عنه يا آنسة روبسون؛ نريد أن نعرف بالضبط ما الذي حدث في الليلة الماضية.

بدأت كورنيليا حديثها مرتكبة قليلاً، لكن بضعة أسئلة من بوارو ساعدتها على المضي قدماً: آه، نعم، فهمت... بعد انتهاء لعبة البريدج ذهبت السيدة دويل إلى كابينتها... ترى هل ذهبت إلى كابينتها حقاً؟

قال ريس: نعم، ذهبت. الواقع أنني رأيتها، وعند الباب قلت لها: «تصبحين على خير».

- وكم كانت الساعة؟

أجابته كورنيليا: لا أستطيع الجزم بذلك.

قال ريس: كانت الساعة الحادية عشرة والثلث.

- جيد؛ إذن كانت السيدة دويل على قيد الحياة وبخير حتى الساعة الحادية عشرة والثلث. وفي تلك اللحظة من الذي كان موجوداً في الصالة؟

أجاب فانثورب قائلاً: كان دويل هناك، والآنسة دي بيلفورت وأنا والآنسة روبسون.

وافقته كورنيليا: هذا صحيح، وكان السيد بيننغتون قد ذهب إلى النوم.

- ومتى كان ذلك؟

- بعد ثلاث أو أربع دقائق من خروجهم.

- إذن قبل الحادية عشرة والنصف؟

- نعم.

- إذن فقد بقي في الصالة أنت يا آنسة روبسون، والآنسة دي بيلفورت والسيد دويل والسيد فانثورب. ماذا كنتم تفعلون جميعاً؟

- كان السيد فانثورب يقرأ كتاباً، وكنت أنا أشتغل بالصنارة، والآنسة دي بيلفورت كانت، كانت...

أسرع فانثورب لنجدتها قائلاً: كانت تشرب بكثرة.

وافقته كورنيليا: نعم. كانت تتحدث معي معظم الوقت وتسألني عن أشياء تخصني، وظلت تقول أشياء معظمها لي لكني أظن أنها كانت كمَن يقصد بكلامه السيد دويل. كان غاضباً جداً منها لكنه لم يقل أي شيء، وكأنه ظن أنه لو بقي صامتاً فإنها قد تسكت.

- لكنها لم تسكت؟

هزّت كورنيليا رأسها علامة على أنها لم تفعل، وقالت: حاولت أن أذهب مرة أو مرتين لكنها طلبت مني البقاء، وكنت أشعر بالحرج الشديد. ثم نهض السيد فانثورب وخرج.

قال فانثورب: كان أمراً محرجاً، فرأيت أن أخرج حتى لا أكون متطفلاً. كان واضحاً أن الآنسة دي بيلفورت تحضر لمشهد مثير.

أكملت كورنيليا تقول: ثم سحبت المسدس، وقفز السيد دويل ليحاول انتزاعه منها فانطلقت منه رصاصة أصابته في ساقه، ثم بدأت تنتحب وتبكي، وشعرتُ بالذعر فهرعت أطلب السيد فانثورب الذي عاد معي. وطلب السيد دويل أن لا نثير فضيحة، وجاء أحد الغلمان النوبيين بعد أن سمع صوت الرصاصة والجلبة لكن السيد فانثورب أخبره بعدم حدوث شيء، ثم أخذنا جاكلين إلى كابينتها وظل السيد فانثورب معها بينما ذهبت لإحضار الآنسة باورز.

ثم سكتت كورنيليا لاهثة، فسألها ريس: كم كانت الساعة وقتها؟

قالت كورنيليا ثانية: يا إلهي، لا أعرف!

لكن فانثورب ردّ على الفور: لا بد أن الساعة كانت الثانية عشرة والثلث تقريباً. إن الذي أعرفه بالضبط هو أن الساعة كانت الثانية عشرة والنصف عندما عدت إلى كابينتي في نهاية الأمر.

قال بوارو: دعوني أتأكد من نقطة أو نقطتين؛ بعد أن غادرت السيدة دويل الصالة، هل غادرها أحد منكم أنتم الأربعة؟

- لا.

- هل أنت متأكد تماماً من أن الآنسة دي بيلفورت لم تغادر الصالة؟

أجابه فانثورب على الفور: متأكد تماماً؛ لا السيد دويل ولا الآنسة دي بيلفورت ولا الآنسة روبسون ولا أنا شخصياً، لا أحد منا غادر الصالة.

- جيد، هذا يثبت حقيقة أن الآنسة دي بيلفورت لا يمكن أن تكون هي التي قتلت السيدة دويل قبل الثانية عشرة والثلث. حسناً يا آنسة روبسون: ذهبتِ لإحضار الآنسة باورز. هل كانت الآنسة دي بيلفورت وحدها في كابينتها في أثناء تلك الفترة؟

- لا، بل بقي معها السيد فانثورب.

- جيد، حتى الآن تملك الآنسة دي بيلفورت دليلاً قاطعاً بغيابها عن مكان الجريمة. الآنسة باورز هي التالية في مقابلاتنا، ولكن قبل أن أستدعيها أحب سماع رأيك في بعض المسائل. تقول بأن السيد دويل كان مهتماً جداً بأن لا تبقى الآنسة دي بيلفورت بمفردها. هل ترى أنه كان خائفاً من إمكانية تفكيرها بالإقدام على عمل متهور آخر؟

قال فانثورب: هذا هو رأيي.

- هل كان خائفاً من احتمال اعتدائها على السيدة دويل مثلاً؟

هز فانثورب رأسه وقال: لا؛ لا أظن أن ذلك هو ما فكر فيه. أظن أنه كان يخشى أنها قد تفعل شيئاً متهوراً بنفسها هي.

- انتحار؟

- نعم. بدت في حالة ذعر شديد بسبب مما فعلته، وكأنها تعرضت لتأنيب الضمير، فظلّت تقول إن من الأفضل لها أن تموت.

قالت كورنيليا بهدوء: أعتقد أنه كان قلقاً عليها؛ فقد تكلم

كلاماً لطيفاً وقال إن ذلك كله خطأ منه وإنه عاملها معاملة سيئة. لقد... لقد كان حقاً لطيفاً جداً.

أومأ هيركيول بوارو متأملاً وقال: بخصوص ذلك المسدس، ماذا حدث له؟

قالت كورنيليا: أسقطَته على الأرض.

- وبعدها؟

شرح فانثورب كيف عاد ليبحث عنه لكنه لم يعثر عليه. قال بوارو: آها، بدأنا الآن نصل. أرجو منكما أن تكونا دقيقَين معي. صفا لي ما حدث بالضبط.

- تركته الآنسة دي بيلفورت يسقط على الأرض ثم رفسته بقدمها بعيداً.

شرحت كورنيليا: كأنها كرهته، أعرف تماماً ما كانت تشعر به.

- وتقولان بأنه انزلق تحت أحد المقاعد؟ والآن أرجو أن تكونا دقيقَين: ألم تأخذ الآنسة دي بيلفورت ذلك المسدس معها قبل مغادرتها الصالة؟

كان فانثورب وكورنيليا متأكدين من تلك المسألة، وقالا له ذلك.

- تماماً، أريد فقط أن أكون مضبوطاً جداً، ثم نصل إلى هذه النقطة. عندما غادرت الآنسة دي بيلفورت الصالة كان المسدس تحت المقعد، وحيث إن الآنسة دي بيلفورت لم تبقَ وحدها (حيث كان معها السيد فانثورب والآنسة روبسون أو الآنسة باورز) فإنها لم تكن لديها أية فرصة لاستعادة المسدس بعد مغادرتها الصالة. كم كانت الساعة عندما عدت لتبحث عنه يا سيد فانثورب؟

- لا بد أن الساعة كانت قبل الثانية عشرة والنصف بقليل.

- وكم مضى من الوقت بين اللحظة التي حملتما فيها أنت والدكتور بيسنر السيد دويل خارج الصالة وبين عودتك للبحث عن المسدس؟

- ربما خمس دقائق، وربما أكثر بقليل.

- إذن في تلك الدقائق الخمس أخذ شخصٌ ما ذلك المسدس من المكان الذي كان موجوداً فيه تحت المقعد، وذلك الشخص لم يكن الآنسة دي بيلفورت، فمَن يكون إذن؟ يبدو مرجَّحاً أن يكون الشخص الذي أخذ المسدس هو الذي قتل السيدة دويل. يمكننا أن نفترض أيضاً بأن هذا الشخص قد سمع أو رأى شيئاً من الأحداث التي كانت تجري قبل ذلك بلحظات.

عارضه فانثورب: لا أفهم كيف استنتجت هذا.

قال هيركيول بوارو: لأنك قلت لنا لتوك بأن المسدس كان مخفياً عن الأنظار تحت المقعد، لذلك يصعب تصديق مسألة اكتشافه بالمصادفة. لقد أخذه شخص كان يعرف مكانه، لذلك لا بد أن هذا الشخص قد شهد ذلك الحدث.

هز فانثورب رأسه وقال: لم أرَ أي شخص عندما خرجت إلى ظهر المركب قبل قليل من إطلاق الرصاصة.

- آه، لكنك خرجت من الباب الذي على ميمنة السفينة.

- نعم، وهو نفس الجانب الذي فيه كابينتي.

- إذن لو كان هناك شخص عند باب الميسرة ينظر من خلال الزجاج لما كان من شأنك أن تراه؟

اعترف فانثورب: نعم.

- هل سمع أحد الطلقة باستثناء الصبي النوبي؟

- لا أحد حسب علمي.

أكمل فانثورب يقول: النوافذ هنا كانت كلها مغلقة، أحسّت الآنسة فان شويلر بتيار هواء في وقت سابق من المساء فأغلقت كل النوافذ، وكانت الأبواب الدوارة مغلقة أيضاً. أشك في إمكانية سماع صوت الطلقة بوضوح، فقد كان صوتها سيبدو أقرب إلى فتح فلّينة زجاجة.

قال ريس: حسب علمي لا يبدو أن أحداً قد سمع الطلقة الأخرى، الطلقة التي قتلت السيدة دويل.

قال بوارو: سوف نحقق في هذا بعد قليل، أما في الوقت الحالي فما زلنا مهتمين بموضوع الآنسة دي بيلفورت. يجب أن نتحدث مع الآنسة باورز، ولكن قبل أن تذهبا أرجو أن تعطياني بعض المعلومات عن نفسيكما بحيث لا يعود ضرورياً استدعاؤكما مرة أخرى. أنت أولاً يا سيدي، اسمك الكامل.

- جيمس ليتشديل فانثورب.

- عنوانك؟

- غلاسمور هاوس، ماركت دوننغتون، نورثهامبتُنْشاير.

- مهنتك؟

- محام.

- وأسباب زيارتك لهذا البلد؟

سكت، وبدا أن السيد فانثورب الهادئ قد فوجئ لأول مرة، وأخيراً قال وهو يغمغم بالكلمات: حسناً، جئت للتسلية.

- آها! هل تعني أنك في إجازة؟

- نعم.

- حسناً يا سيد فانثورب، هل تعطيني نبذة مختصرة عن تحركاتك الليلة الماضية بعد الأحداث التي رويتماها الآن؟

- ذهبت إلى النوم مباشرة.

- متى كان ذلك؟

- بعد الثانية عشرة والنصف مباشرة.

- كابينتك هي رقم ٢٢ على الجانب الأيمن للسفينة، الكابينة الأقرب إلى الصالة.

- نعم.

- سأسألك سؤالاً آخر: هل سمعت أي شيء، أي شيء مهما كان، بعد أن ذهبت إلى كابينتك؟

فكر فانثورب ثم قال: لقد نمت بسرعة، وأظن أنني سمعت -وأنا بين اليقظة والنوم- صوتاً أشبه ما يكون بسقوط شيء في الماء، ولم أسمع شيئاً آخر.

- كسقوط شيء في الماء؟ هل كان الصوت قريباً منك؟

هز فانثورب رأسه وقال: لا أستطيع الجزم حقاً، فقد كنت نصف نائم.

- في أية ساعة كان ذلك تقريباً؟

- لا بد أنه كان في نحو الساعة الواحدة، لا أستطيع الجزم بذلك.

- شكراً لك يا سيد فانثورب، هذا يكفي.

التفت بوارو إلى كورنيليا وقال: والآن يا سيدة روبسون،

اسمك الكامل؟

- كورنيليا روث، وأسكن في بيليفيلد، كونيكتيكت، الولايات المتحدة.

- ولماذا جئت إلى مصر؟

- ابنة عمي ماري، الآنسة فان شويلر، هي التي أحضرتني معها في الرحلة.

- هل التقيت بالسيدة دويل قبل هذه الرحلة؟

- لا، مطلقاً.

- وماذا فعلت الليلة الماضية؟

- ذهبت إلى النوم مباشرة بعد مساعدة الدكتور بيسنر في علاج ساق السيد دويل.

- رقم كابينتك هو؟

- ٤٣ على الجانب الأيسر، الكابينة المجاورة للآنسة دي بيلفورت تماماً.

- وهل سمعت شيئاً؟

هزت كورنيليا رأسها وقالت: لم أسمع شيئاً.

- ألم تسمعي صوت سقوط شيء في الماء؟

- لا، وما كنت لأسمع الصوت لأن غرفتي على الجانب المحاذي لضفة النهر.

أومأ بوارو وقال: شكراً لك يا آنسة روبسون، أرجو أن تطلبي من الآنسة باورز المجيء إلينا.

خرج فانثورب وكورنيليا، وقال ريس: هذا يبدو واضحاً

بما فيه الكفاية، وما لم يكن الشهود الثلاثة المستقلون يكذبون فإن جاكلين دي بيلفورت لم يكن باستطاعتها أخذ المسدس. لكن شخصاً آخر أخذه، شخصاً سمع ما جرى، شخصاً كان من الغباء بحيث كتب حرف «ج» كبيراً على الجدار.

ثم سمعا دقات على الباب ودخلت الآنسة باورز. جلست الممرضة بطريقتها الهادئة المعتادة، وردّاً على أسئلة بوارو أعطته اسمها وعنوانها ومؤهلاتها، ثم أضافت: إنني أقوم على رعاية الآنسة فان شويلر منذ أكثر من سنتين.

- وهل صحة الآنسة فان شويلر سيئة جداً؟

- لا، لا أرى ذلك. إنها لم تعد صغيرة، وهي مهتمة جداً بصحتها وتحب أن تجد ممرضة بجوارها. إنها تحب فقط الكثير من الاهتمام، وهي مستعدة لأن تدفع مقابل ذلك.

أومأ بوارو مستوعباً حديثها ثم قال: علمت أن الآنسة روبسون استدعتك في الليلة الماضية؟

- نعم، هذا صحيح.

- أيمكن أن تخبرينا بما حدث بالضبط؟

- شرحت لي الآنسة روبسون ما حدث باختصار فجئت معها على عجل، حيث وجدت الآنسة دي بيلفورت في حالة هستيرية وانفعالية شديدة.

- هل قامت بإطلاق أية تهديدات ضد السيدة دويل؟

- لا، لم تقل شيئاً من هذا. كانت في حالة فظيعة من تأنيب الذات، كانت قد شربت كمية كبيرة من الكحول وكانت تعاني من تأثيراته، ولم أرَ من الحكمة تركها بمفردها فأعطيتها حقنة مورفين وبقيت معها.

- والآن يا آنسة باورز أريدك أن تجيبي على هذا السؤال: هل غادرت الآنسة دي بيلفورت كابينتها؟

- لا، لم تغادر.

- وأنت؟

- بقيت معها حتى هذا الصباح.

- هل أنت واثقة من هذا؟

- أنا متأكدة تماماً.

- شكراً لك آنسة باورز.

خرجت الممرضة، وتبادل الرجلان النظرات. كان واضحاً أن جاكلين دي بيلفورت بريئة من الجريمة، فمَن الذي قتل لينيت دويل إذن؟

* * *

الفصل الرابع عشر

قال ريس: لقد نشل شخص المسدس. لم يكن هذا الشخص هو جاكلين دي بيلفورت بل كان شخصاً يعرف أن هذه الجريمة قد تُنسَب إليها، لكن ذلك الشخص لم يكن يعلم بأن الممرضة ستعطيها المورفين وتجلس إلى جوارها طوال الليل. وهناك شيء آخر: لقد حاول شخص قتل لينيت دويل من قبل بدحرجة صخرة من أعلى المنحدر الصخري، ولم يكن ذلك الشخص هو جاكلين دي بيلفورت، فمن يكون إذن؟

قال بوارو: سيكون من الأسهل لو سألنا: مَن يمكن أن لا يكون؟ لا السيد دويل ولا السيد أليرتون ولا الآنسة فان شويلر ولا الآنسة باورز يمكن أن يكون لهم علاقة بما حدث، فقد كانوا جميعاً على مرأى مني.

- همم، إن هذا يبقي المجال واسعاً. ماذا عن الدافع؟

- هذا ما أرجو من السيد دويل أن يساعدنا فيه، لقد وقعت عدة حوادث.

فُتح الباب ودخلت جاكلين دي بيلفورت. كانت شاحبة جداً وكانت تترنح قليلاً وهي تمشي، قالت بصوت يشبه صوت الطفلة الخائفة: أنا لم أقتلها، أنا لم أقتلها... آه، أرجوكم صدّقوني. سيعتقد الجميع أنني فعلتها، لكنني لم أفعلها، لم أفعلها... إنه عمل

مرعب، ليته لم يحدث! لقد كدتُ أقتل سيمون ليلة أمس وأظنني كنت مجنونة، لكني لم أقتل تلك...

جلست وانهمرت دموعها، فربّت بوارو على كتفها وقال: اهدئي، اهدئي، نحن نعرف أنك لم تقتلي السيدة دويل؛ لقد ثبت ذلك، نعم ثبت يا طفلتي، لم تكوني أنت الفاعلة.

انتصبت جاكي في جلستها فجأة وهي تمسك بمنديلها المبتل وقالت: ولكن من الذي قتلها؟

قال بوارو: هذا هو السؤال الذي نطرحه على أنفسنا. ألا يمكنك مساعدتنا في هذا يا عزيزتي؟

هزت جاكلين رأسها وقالت: لا أعرف، لا أستطيع أن أتخيل، ليست عندي أدنى فكرة.

عبست قليلاً ثم قالت: "لا أستطيع تخيل أي شخص يريد قتلها..." ثم أضافت بصوت متلعثم: سواي!

قال ريس: "أرجو المعذرة لبعض الوقت، لقد فكرت في شيء"، ثم أسرع خارج الغرفة.

جلست جاكلين دي بيلفورت منكّسة الرأس تحرك أصابعها بعصبية، ثم صرخت فجأة: الموت مرعب، مرعب! إنني أكره التفكير فيه.

قال بوارو: نعم، ليس بالأمر السارّ أن نفكر أن هناك -في هذه اللحظة- شخصاً يفرح لنجاح خطته (أو خطتها).

صاحت جاكي: أرجوك، أرجوك! الطريقة التي تتكلم بها مخيفة.

هز بوارو كتفيه وقال: إنها حقيقة.

قالت جاكي بصوت خافت: كنت... كنت أريدها ميتة، وقد ماتت. والأسوأ من هذا أنها ماتت كما كنت أقول تماماً!

- نعم يا آنسة، لقد قُتلت برصاصة في رأسها.

صاحت تقول: إذن فقد كنت على حق في تلك الليلة في فندق كاتراكت؟ كان هناك فعلاً من ينصت إلينا!

أومأ بوارو برأسه وقال: آه! لقد تساءلت إن كنت ستتذكرين ذلك. نعم، إنها مصادفة غريبة جداً أن تقتل السيدة دويل بالطريقة التي وصفتها بالضبط.

ارتجفت جاكي: ذاك الرجل في تلك الليلة... من يمكن أن يكون؟

صمت بوارو لبعض الوقت ثم قال بنبرة مختلفة تماماً: هل أنت متأكدة من أنه كان رجلاً يا آنسة؟

نظرت جاكي إليه ذاهلة وقالت: نعم، بالطبع، على الأقل...

- نعم، على الأقل ماذا؟

قطبت جبينها وأغلقت عينيها في محاولة لأن تتذكر، ثم قالت ببطء: لقد ظننته رجلاً.

- لكنك لست واثقة تماماً الآن؟

ردّت عليه جاكي ببطء: نعم، لا يمكنني الجزم؛ لقد افترضت أنه رجل، لكنه كان في الحقيقة مجرد جسم إنسان، خيال.

سكتت، ولأن بوارو لم يتكلم أضافت تقول: هل ترى أنها كانت امرأة؟ لا أظن أن واحدة من النساء على ظهر المركب تريد قتل لينيت؟

اكتفى بوارو بتحريك رأسه من جانب إلى آخر ولم يقل شيئاً. ثم

فُتح الباب وظهر بيسنر عنده: هلاّ جئت لتتحدث مع السيد دويل يا سيد بوارو؟ إنه يريد رؤيتك.

قفزت جاكي عن مقعدها، أمسكت بيسنر من ذراعه وقالت: كيف حاله؟ هل هو بخير؟

ردّ عليها الدكتور بيسنر موبّخاً: من الطبيعي أن لا يكون بخير، لقد تكسر عظمه.

صاحت جاكي: ولكنه لن يموت؟

- آه، من قال إنه سيموت؟ سنوصله إلى المدينة حتى نصوّره بالأشعة السينية ونعطيه العلاج اللازم.

ضغطت الفتاة على راحتَي يدها بقوة ثم ألقت بنفسها على الكرسي. وخرج بوارو إلى ظهر السفينة مع الطبيب، وفي تلك اللحظة انضمّ إليهما ريس حيث صعد الثلاثة إلى السطح ثم إلى كابينة بيسنر.

كان سيمون دويل مستلقياً يستند إلى الكثير من الوسائد وقد لُفَّت ساقه على نحو مرتجل. كان وجهه شاحباً تعلوه علامات الغضب والألم والصدمة، لكن التعبير المسيطر على وجهه هو الحيرة الشديدة، حيرة طفل مريض.

قال بصوت خافت: أرجوك ادخل... لقد أخبرني الطبيب عن لينيت... لا أصدق، لا أصدق أن هذا صحيح.

قال ريس: أعرف، إنها صدمة شديدة.

قال سيمون متلعثماً: إن... إن جاكي لم تقتلها، أنا متأكد أن جاكي لم تفعلها! لا بد أن الشبهات تحوم حولها، لكنها لم تقتلها. لقد... لقد كانت عصبية قليلاً في الليلة الماضية ومنفعلة جداً، وهذا ما جعلها تطلق النار عليّ، لكنها لم تكن لترتكب جريمة قتل، ولا

سيما جريمة قتل بدم بارد.

قال بوارو بهدوء: لا ترهق نفسك يا سيد دويل، إن مَن قتل زوجتك ليس الآنسة بيلفورت.

نظر سيمون إليه بارتياب: هل هذا كلام صحيح؟

أكمل بوارو يقول: ولكن بما أن الفاعل ليس الآنسة دي بيلفورت فهل تستطيع إعطاءنا أية فكرة عمَّن يمكن أن يكون؟

هز سيمون رأسه وازدادت الحيرة على وجهه: إنه جنون، مستحيل، فباستثناء جاكي لا يمكن أن يوجد من يتمنى قتلها.

- فكر يا سيد دويل، ألم يكن لها أعداء؟ ألا يوجد من يحمل ضغينة لها؟

هز سيمون رأسه ثانية بنفس الحركة اليائسة وقال: يبدو غريباً جداً... هناك ويندلشام بالطبع، لقد تخلت عنه لتتزوجني، لكني لا أظن أن شاباً مهذباً مثل ويندلشام يمكن أن يقتل، وعلى أية حال فهو بعيد عنا هنا. والأمر نفسه ينطبق على السير جورج وُد العجوز؛ إنه يحقد على لينيت بسبب البيت وقد كره الطريقة التي كانت تهدم البيت بها، لكنه مقيم في لندن... وعلى أية حال فإن فكرة وصول هذا الأمر إلى حد القتل فكرة خيالية.

تكلم بوارو بكل جِدّ قائلاً: اسمعني يا سيد دويل، في أول يوم لنا على ظهر هذه السفينة لفت انتباهي حديثٌ دار بيني وبين زوجتك. كانت منزعجة جداً ومهتاجة جداً، قالت (وانتبه لما قالته جيداً) إن الجميع يكرهونها. قالت إنها تشعر بالخوف وعدم الأمان، وكأن كل مَن حولها عدوٌّ لها.

- كانت منزعجة جداً عندما وجدت جاكي على ظهر السفينة، وكذلك أنا.

- هذا صحيح، لكنه لا يوضح تلك الكلمات تماماً. عندما قالت إنها محاطة بالأعداء كانت تبالغ بالتأكيد، ومع ذلك فقد كانت تعني أكثر من شخص واحد.

- قد تكون محقاً في هذا، وأظن أن باستطاعتي شرح الأمر. إن ما أزعجها هو أحد الأسماء في قائمة الركاب.

- اسم في قائمة الركاب؟ أي اسم؟

- لم تخبرني، والحقيقة أنني لم أكن مصغياً لها تماماً، فقد كنت أفكر في تصرفات جاكلين، وحسبما أذكره فإن لينيت قالت شيئاً له علاقة بمنازعات في العمل والتغلب على الناس في السوق، وكيف تشعر بعدم الارتياح عندما تقابل شخصاً يحقد على عائلتها... وعلى الرغم من أنني لا أعرف تاريخ العائلة جيداً إلاّ أنني أظن أن والدة لينيت كانت ابنة رجل مليونير، كان والدها مجرد رجل غني لكن غناه بسيط، لكن بعد زواجه كان من الطبيعي أن يبدأ في المنافسة في السوق، ونتيجة لذلك فقد تضرر بعض الناس. تعرفون تقلبات السوق؛ بحبوحة اليوم وغداً ضنك وشدة، وقد فهمت من كلامها أن شخصاً كان على السفينة كان والده قد وقف في وجه والد لينيت وتعرض لضربة شديدة بسبب موقفه. وأذكر أن لينيت قالت: من المرعب أن يكرهك الناس حتى دون أن يعرفوك.

قال بوارو متأملاً: نعم، من شأن هذا أن يفسر ما قالته لي، لأنها كانت تشعر -لأول مرة- بعبء ما ورثته لا بفوائده. هل أنت واثق من أنها لم تذكر اسم الرجل؟

هز سيمون رأسه بأسف وقال: في حقيقة الأمر لم أهتم كثيراً، بل اكتفيت بالقول: "آه، لا أحد يهتم هذه الأيام بما حدث لأبيه، فالحياة تسير بأسرع مما يسمح بذلك" أو شيئاً من هذا القبيل.

قال بيسنر بنبرة جافة: لكنني أستطيع التخمين. هناك بالتأكيد

شاب على ظهر السفينة يشكو ويتذمر.

قال بوارو: هل تعني فيرغسون؟

- نعم، لقد تكلم كلاماً معادياً للسيدة دويل أكثر من مرة، أنا شخصياً سمعته.

سأله سيمون: وماذا يمكننا عمله حتى نكتشف الحقيقة؟

أجابه بوارو: سأقوم مع الكولونيل ريس بمقابلة جميع الركاب، وليس من الحكمة تشكيل أية نظرية إلى حين سماع أقوالهم جميعاً. ثم هناك الخادمة، كان ينبغي مقابلتها مثل الجميع، ربما كان من الأفضل أن نقابلها هنا فوجود السيد دويل قد يكون عاملاً مساعداً.

قال سيمون: نعم، إنها فكرة جيدة.

- هل تعمل مع السيدة دويل منذ زمن طويل؟

- منذ شهرين فقط.

صاح بوارو متعجباً: شهرين فقط!

- لماذا؟ هل تعتقد...

- هل كانت السيدة دويل تحمل أية جواهر ثمينة؟

- كان معها عقد من اللؤلؤ، قالت لي مرة بأن ثمنه يصل إلى أربعين أو خمسين ألف جنيه.

ارتجف سيمون ثم قال: يا إلهي! هل تعتقد أن هذا العقد يمكن...؟

قال بوارو: السرقة دافع محتمل، ولكنه دافع مستبعَد حالياً. حسناً، دعنا نحضر الخادمة إلى هنا.

كانت لويز بورجيه هي نفسها الفتاة اللاتينية السمراء المفعمة بالحيوية التي رآها بوارو ذات يوم ولفتت انتباهه، لكنها لم تكن مفعمة بالحيوية في هذه اللحظة بل بدت عليها آثار البكاء وكانت خائفة، ومع ذلك كان على وجهها شيء يوحي بالمكر الحادّ مما جعل الرجلين لا يشعران بتعاطف معها.

- أنت لويز بورجيه؟

- نعم يا سيدي.

- متى كانت آخر مرة رأيت فيها السيدة دويل على قيد الحياة؟

- الليلة الماضية يا سيدي؛ كنت في كابينتها أساعدها في الاستعداد للنوم.

- متى كان ذلك؟

- بعد الحادية عشرة يا سيدي، لا أدري متى كان بالضبط. ساعدت سيدتي على الوصول إلى سريرها ثم غادرت.

- وكم استغرق كل ذلك؟

- عشر دقائق يا سيدي، كانت سيدتي متعَبة وطلبت مني إطفاء النور قبل أن أغادر.

- وعندما تركتها، ماذا فعلتِ؟

- ذهبت إلى كابينتي يا سيدي، في الطابق السفلي.

- ألم تسمعي أو تشاهدي أي شيء يمكن أن يساعدنا؟

- وكيف لي ذلك يا سيدي؟

- هذا ما ينبغي أن تقوليه أنت لا نحن.

اختلست نظرة إليه بطرف عينها وقالت: ولكني لم أكن قريبة من غرفتها، فماذا يمكنني أن أسمع أو أرى؟ كنت في الطابق الأسفل، حتى إن غرفتي في الجانب الآخر من السفينة. كان يستحيل عليّ سماع شيء. من الطبيعي أنني لو أصابني الأرق أو لو صعدت الدرج لكان ممكناً وقتها أن أرى المجرم الوحش وهو يدخل أو يخرج من غرفة سيدتي، ولكن كما قلت لك...

شرعت ذراعيها في الهواء وكأنها تستنجد بسيمون: أتوسل إليك يا سيدي، أنت ترى الحال، ماذا يمكنني قوله؟

قال سيمون بفظاظة: لا تكوني حمقاء؛ لا أحد يظن أنك رأيت أو سمعت شيئاً، ستكونين على ما يرام وسوف أعتني بك، لا أحد يتهمك بشيء.

قالت لويز: سيدي طيب جداً.

سألها ريس وقد نفد صبره: نفهم من هذا إذن أنك لم تشاهدي أو تسمعي شيئاً؟

- هذا ما قلته يا سيدي.

- ألا تعرفين أحداً يحقد على سيدتك؟

ولدهشة المستمعين أومأت لويز برأسها بقوة وهي تقول: آه، بلى، هذا الأمر أعرفه. أستطيع الإجابة على هذا السؤال بالإيجاب وأنا واثقة جداً.

قال بوارو: تريدين أن تقولي بأنها الآنسة دي بيلفورت؟

- هي كذلك بالتأكيد، لكني لا أتكلم عنها. هناك شخص آخر في هذه السفينة كان يكره سيدتي، وهو الذي كان غاضباً من الطريقة التي جرحت سيدتي فيها مشاعره.

صاح سيمون: يا إلهي! ما كل هذا؟

أكملت لويز تقول وهي ما تزال تومئ برأسها بقوة وحماسة: نعم، نعم، الأمر كما قلت؛ إنه يتعلق بخادمة سيدتي السابقة، الخادمة التي قبلي. كان هناك رجل، أحد المهندسين في هذه السفينة، وكان يريد الزواج بها. وكانت تلك الخادمة (واسمها ماري) ميّالة إلى الزواج به، لكن السيدة دويل قامت بتحريات عنه واكتشفت بأن فليتوود هذا كان متزوجاً أصلاً بامرأة مقيمة في هذا البلد وكان ما يزال زوجاً لها، وهكذا أخبرت سيدتي ماري بكل شيء. وكانت ماري حزينة جداً ورفضت رؤية فليتوود بعدها. وقد غضب فليتوود هذا غضباً شديداً، وعندما اكتشف أن السيدة دويل هي من فعل به ذلك قال إنه يتمنى قتلها وقال إن تدخلها قد دمّر حياته!

سكتت لويز فرحة، فقال ريس: هذا مثير.

التفت بوارو إلى سيمون وسأله: هل كنت تعلم شيئاً عن ذلك؟

ردّ عليه سيمون بصدق: أبداً، وأشكّ في أن لينيت كانت تعرف أصلاً أن هذا الرجل موجود في السفينة... بل ربما كانت قد نسيت كل شيء عن ذلك الحادث.

ثم التفت إلى الخادمة بحدة وقال: هل قلت للسيدة دويل أي شيء عن هذا؟

- لا يا سيدي، بالطبع لم أفعل.

سألها بوارو: هل تعرفين أي شيء عن عقد اللؤلؤ الخاص بسيدتك؟

- عقد اللؤلؤ؟

اتسعت عينا لويز من الدهشة وقالت: كانت تلبسه في الليلة الماضية.

- هل رأيتِه عليها عندما جاءت لتنام؟

- نعم يا سيدي.

- أين وضعته؟

- على الطاولة، بجانبها كما هي العادة.

- هل كان ذلك هو المكان الذي رأيته فيها آخر مرة؟

- نعم يا سيدي.

- هل رأيته هناك هذا الصباح.

ارتسمت على وجه الفتاة نظرة رعب وهتفت: يا إلهي! إنني لم أنظر، جئت إلى السرير فرأيت سيدتي، رأيت سيدتي... فصرخت واندفعت خارج الباب وأغمي عليّ.

أومأ هيركيول بوارو برأسه وقال: أنت لم تنظري، لكني نظرت ورأيت، ولم يكن عقد اللؤلؤ على الطاولة بجانب السرير هذا الصباح.

* * *

الفصل الخامس عشر

لم تكن ملاحظة هيركيول بوارو خاطئة، فلم يكن عقد اللؤلؤ على الطاولة الموجودة بجانب سرير لينيت دويل. طلب من لويز بورجيه البحث بين أغراض لينيت، ووفقاً لكلامها كان كل شيء كما هو على ترتيبه إلاّ أن عقد اللؤلؤ قد اختفى.

وعندما خرجا من الكابينة كان أحد الخدم في انتظارهما ليخبرهما بأن الإفطار جاهز في غرفة التدخين، وعندما كانا يمران فوق ظهر السفينة توقف ريس ليلقي نظرة من فوق الحاجز. قال بوارو: أرى أن لديك فكرة يا صديقي؟

- نعم، لقد خطرت لي فجأة. ذكر فانثورب أنه يظن أنه سمع صوت وقوع شيء في الماء، أليس من المحتمل أن يكون القاتل قد ألقى المسدس في الماء بعد ارتكاب جريمته؟

قال بوارو ببطء: هل ترى حقاً أن ذلك ممكن يا صديقي؟

رفع ريس كتفيه حيرة وقال: إنه مجرد رأي؛ المسدس لم يكن موجوداً في الكابينة، كان أول شيء بحثت عنه.

- ومع ذلك لا يمكن تصديق أنه أُلقي في الماء.

- أين هو إذن؟

أجابه بوارو متأملاً: إذا لم يكن في كابينة السيدة دويل فإنه لا

يمكن أن يكون -منطقياً- إلاّ في مكان واحد غيره.

- وما هو هذا المكان؟

- في كابينة الآنسة دي بيلفورت.

- نعم، فهمت.

- إنها خارج كابينتها، هل نذهب لنلقي نظرة الآن؟

هز بوارو رأسه وقال: لا يا صديقي، سيكون هذا عملاً متسرعاً، إذ ربما لم يوضع هناك بعد.

- وماذا عن القيام بعملية تفتيش للسفينة كلها؟

- في هذه الحالة يجب أن نتصرف بشكل مكشوف. علينا أن نعمل بحذر شديد فموقفنا حساس جداً في الوقت الحالي. دعنا نناقش الأمر ونحن نأكل.

وافقه ريس، ثم قال وهو يصب لنفسه فنجان قهوة: حسناً، لدينا مؤشران محدَّدان: اختفاء عقد اللؤلؤ، والرجل الذي يدعى فليتوود. بالنسبة لعقد اللؤلؤ فإنه يشير إلى عملية سرقة. ولكن... لا أدري إن كنت توافقني؟

أسرع بوارو يقول: لكن الفاعل اختار لحظة غريبة؟

- بالضبط، أن يسرق عقد اللؤلؤ في الوقت الذي يدرك فيه أن الأمر سيستدعي عملية بحث شاملة وتفتيش كل شخص على ظهر المركب. كيف سيأمل بالإفلات بغنيمته؟

- ربما نزل إلى الشاطئ وطمره هناك؟

- يوجد على الضفة دائماً حارس للسفينة.

- هذا ليس سهلاً إذن. هل ارتكب الفاعل جريمته ليصرف

الانتباه عن السرقة؟ لا، ليس لهذا الكلام معنى فهو غير مقنع أبداً. ولكن افترض أن السيدة دويل استيقظت وأمسكت باللص متلبساً؟

- ولذلك قتلها اللص؟ لكنها قُتلت وهي نائمة؟

قال بوارو: أتعرف؟ إن عندي فكرة صغيرة بخصوص عقد اللؤلؤ هذا، ومع ذلك... لا، إنها فكرة مستحيلة، لأنها لو كانت صحيحة فإن العقد ما كان سيختفي. قل لي، ما رأيك في الخادمة؟

قال ريس ببطء: لقد تساءلت في نفسي إن كانت تعرف أكثر مما أخبرتنا به.

- آه، أنت أيضاً أخذت عنها ذلك الانطباع!

- واضح أنها ليست فتاة طيبة.

أومأ هيركيول بوارو برأسه وقال: نعم، ما كنت لأثق بها.

- أترى أن لها علاقة بالجريمة؟

- لا، ما كنت لأقول ذلك.

- إذن لها علاقة بسرقة عقد اللؤلؤ؟

- إنه أكثر احتمالاً، فهي تعمل مع السيدة دويل منذ مدة قصيرة فقط، ولسوء الحظ فإننا لسنا في وضع يسمح لنا بالبحث عن معلومات بشأنها. ذلك العقد؟ آه، تباً! لا بد أن تكون فكرتي الصغيرة صحيحة، ومع ذلك لا أحد يمكن أن يكون بهذه الدرجة من الغباء.

- ماذا بخصوص هذا الرجل فليتوود؟

- يجب أن نستجوبه، فقد يكون الحل هناك. إن كانت قصة لويز صحيحة فإن لديه دافعاً مؤكداً للانتقام؛ ربما سمع ما جرى بين جاكلين والسيد دويل، وعندما غادروا الصالة كان يمكنه الدخول

بسرعة وأخذ المسدس. نعم، هذا ممكن تماماً، وذلك الحرف «ج» المرسوم بالدم... إن كتابته يمكن أيضاً أن تنسجم مع طبيعة شخص بسيط جلف إلى حد ما.

- الواقع أنه الشخص الذي نبحث عنه تماماً.

- نعم، إلاّ أن...

فرك بوارو أنفه ثم قال وقد التوت قسمات وجهه: أتعلم؟ إنني أدرك نقاط ضعفي. لقد قيل عني إنني أحب جعل أية قضية صعبة، وهذا الحل الذي قدمته لي بسيط جداً وسهل جداً فلا أملك أن أحس بأنه حدث حقيقة. ومع ذلك قد يكون إحساسي هذا مجرد هوى من طرفي.

- من الأفضل أن نستدعي الرجل.

ضرب ريس الجرس وأعطى الأمر، ثم سأل: هل توجد أية احتمالات أخرى؟

- كثيرة يا صديقي، هناك -على سبيل المثال- الوصي الأمريكي على ممتلكاتها.

- بيننغتون؟

- نعم، بيننغتون؛ لقد حدث مشهد صغير غريب هنا قبل أيام.

ثم سرد الأحداث وأضاف: كما ترى، إنه أمر له دلالته. كانت السيدة تريد قراءة كل الأوراق قبل توقيعها، ولذلك تذرّع بتأجيل ذلك إلى يوم آخر. ثم إن الزوج قال ملاحظة لها دلالتها الكبيرة.

- وماذا قال؟

- قال: "أنا لا أقرأ أي شيء أبداً، بل أوقّع حيث يُطلَب مني

التوقيع". أنت تدرك دلالة ذلك، لقد أدرك بيننغتون دلالته، لقد رأيت ذلك في عينيه. نظر إلى دويل وكأن فكرة جديدة تماماً قد تبدّت له. تصوّر فقط -يا صديقي- أنه عُهد إليك بالوصاية على ابنة رجل واسع الثراء، ربما تستخدم هذه الأموال للمضاربة بها... أعرف أنها حوادث تكثر في القصص البوليسية لكنك تقرأ عنها في الصحف أيضاً. إنها أمور تحدث يا صديقي، تحدث.

- لا أجادل في هذا.

- ربما ما زال يوجد وقت للاستفادة من المضاربة بشكل واسع، فالفتاة ما تزال قاصرة، ثم لا تلبث أن تتزوج، والسيطرة على المال تنتقل من بين يديك إلى يديها بمجرد إشعار بسيط. كارثة! ولكن ما زالت هناك فرصة. إنها في شهر العسل وربما لا تلقي بالاً لأمور العمل... ورقة عابرة يتم تمريرها بين الأوراق الأخرى توقَّع دون قراءة. لكن لينيت دويل لم تكن من هذا النوع، وسواء كانت في شهر عسل أو في غيره فهي سيدة أعمال. ثم يدلي زوجها بملاحظة، وتخطر لذلك الرجل اليائس الذي يسعى إلى النجاة من كارثة محققة فكرة جديدة: لو ماتت لينيت دويل فإن ثروتها ستذهب لزوجها، وسيكون من السهل التعامل معه، سيكون طفلاً بين يدَي رجل داهية مثل أندرو بيننغتون. كما قلت لك: لقد رأيت الفكرة تعبر رأس أندرو بيننغتون، كان يقول في نفسه: لو كان دويل فقط هو الذي أتعامل معه!

ردّ عليه ريس بجفاء: أظن ذلك ممكناً تماماً، ولكنك لا تملك دليلاً.

- للأسف لا أملك.

قال ريس: ثم هناك الشاب فيرغسون. إنه يتحدث بمرارة بالغة، وهذا لا يعني أنني أبني على كلامه، ولكن ربما كان هو الشخص

الذي حطم العجوز ردجوي والدَه. ربما كانت فكرة بعيدة ولكنها ممكنة. أحياناً تتفاعل وتتفاقم المظالم السابقة في نفوس الناس.

سكت دقيقة ثم قال: وهناك صاحبي.

- نعم هناك صاحبك، كما تسميه.

- صحيح، إنه قاتل. نحن نعرف ذلك، ولكنني -من جانب آخر- لا أرى أي سبب يجعله يعادي لينيت دويل، إنهما من عالمين مختلفين.

قال بوارو: إلاّ إذا حصلَت بطريقة عرضية على دليل يكشف هويته.

- هذا ممكن، لكنه يبدو أمراً غير مرجَّح أبداً.

ثم سمعا دقات على الباب، فقال ريس: آه، ها قد جاء صاحبنا متعدد الزوجات.

كان فليتوود رجلاً ضخم الجسم عنيفاً، وعندما دخل الغرفة نقل نظره من رجل إلى آخر، وقد عرفه بوارو على أنه نفس الرجل الذي رآه يتحدث إلى لويز بورجيه. سأل بارتياب: هل أردتم رؤيتي؟

قال ريس: نعم. ربما عرفت بأن جريمة قتل قد وقعت في الليلة الماضية في هذه السفينة؟

أومأ فليتوود برأسه إيجاباً، فقال ريس: وأحسب أنك تملك سبباً لكي تشعر بالغضب من المرأة المقتولة.

ظهرت في عيني فليتوود فجأة نظرة ذعر وقال: من قال لك ذلك؟

- كنت تعتبر أن السيدة دويل قد تدخلت بينك وبين شابة ما.

- أعرف الذي قال لك هذا... إنها تلك الفرنسية الثرثارة

الكاذبة. إن تلك الفتاة كذابة.

- لكن هذه القصة نفسها صحيحة.

- إنها كذبة قذرة!

- أنت تقول هذا، رغم أنك لا تعرف بعد ما هو الموضوع.

كان لتلك العبارة المفاجئة وقعها، فاحمرّ الرجل وأرغى وأزبد.

- هل صحيح أنك كنت ستتزوج الفتاة ماري لكنها فسخت الخطوبة عندما اكتشفت أنك متزوج بامرأة أخرى من قبل؟

- وما هو شأنها هي؟

- تقصد شأن السيدة دويل؟ حسناً، إن تعدد الزوجات هو تعدد الزوجات.

- لم يكن الأمر كذلك. لقد تزوجت سيدة مقيمة هنا لكن الوفاق بيننا لم يتم فعادت إلى أهلها، ولم أرَها منذ ست سنوات.

- ولكنك ما تزال متزوجاً؟

سكت الرجل، وأكمل ريس يقول: هل كانت السيدة دويل (أو الآنسة ردجوي في ذلك الوقت) هي التي اكتشفت كل هذا؟

- نعم، تباً لها! كانت تتدخل في أمور لم يطلبها أحد منها، كنت سأعامل ماري المعاملة الصحيحة وكنت سأبذل لها كل شيء، ولم تكن لتعرف عن الأخرى أي شيء لولا سيدتها المتطفلة هذه. نعم، سأقولها ولا أبالي: كنت أحقد على السيدة وشعرت بالمرارة أكثر عندما رأيتها في هذه السفينة ترفل باللؤلؤ والألماس وتتبختر في المكان دون أن تفكر بأنها حطمت حياة رجل! كنت أشعر بالمرارة دون شك، ولكن إذا كنت ترى أنني قاتل... إن كنت ترى أنني

ذهبت وقتلتها بمسدس فإن هذه كذبة لعينة! أنا لم ألمسها قط، وهذه حقيقة لا شك فيها.

سكت والعرق يتصبب من وجهه.

- أين كنت في الليلة الماضية بين الساعة الثانية عشرة والثانية صباحاً؟

- كنت نائماً على سريري، وزميلي في الغرفة سيقول لك ذلك.

قال ريس: سنرى.

ثم صرفه بحركة فظة من رأسه وقال: هذا يكفي.

قال بوارو بعد أن أغلق الباب وراء فليتوود: حسناً؟

رفع ريس كتفيه حيرة وقال: لقد روى قصة مباشرة صحيحة. إنه عصبي بالطبع ولكنها عصبية مفهومة لم تتجاوز المعتاد. سوف نتحقق من مكان وجوده وقت الجريمة، رغم اعتقادي أن ذلك لن يكون حاسماً، فربما كان زميله في الغرفة نائماً بحيث كان هذا الرجل قادراً على التسلل خارجاً وداخلاً إن أراد.

- نعم، علينا التحقق من هذا الأمر.

قال ريس: أظن أن الشيء التالي هو إن كان هناك أحد سمع أي شيء قد يعطينا دليلاً على وقت الجريمة. إن بيسنر يحدد وقوعها بين منتصف الليل والساعة الثانية صباحاً، ومن المعقول أن نأمل أن يكون أحد الركاب قد سمع صوت الطلقة، حتى لو لم يدرك أنها رصاصة. أنا شخصياً لم أسمع أي شيء من هذا، وماذا عنك؟

هز بوارو رأسه وقال: بالنسبة لي فقد نمت كالقتيل ولم أسمع شيئاً، لا شيء البتة. ربما تم تخديري لأنني نمت نوماً عميقاً جداً.

قال ريس: أمر مؤسف. دعنا نأمل بأن يحالفنا الحظ مع الركاب في الكابينات التي على ميمنة السفينة. لقد سألنا فانثورب، ويأتي بعده السيدة أليرتون وابنها، سأرسل الخادم ليأتي بهما.

جاءت السيدة أليرتون مسرعة. كانت ترتدي ثوباً رمادي اللون من الحرير الناعم المقلّم، وبدت مكروبة. قالت بعد أن جلست على الكرسي الذي قدمه لها بوارو: إنه عمل رهيب، لا أكاد أصدق ما حدث... تلك المخلوقة الجميلة ماتت؟ أشعر أنني لا أصدق ما حدث.

قال بوارو متعاطفاً: أعرف شعورك يا سيدتي.

قالت السيدة أليرتون: أنا سعيدة لأنك في هذه السفينة؛ سوف تتمكن من معرفة الفاعل... أنا سعيدة لأنها ليست تلك الفتاة المسكينة.

- تقصدين الآنسة دي بيلفورت، ومن قال لك بأنها لم تفعلها؟

ردّت السيدة أليرتون بابتسامة باهتة: كورنيليا روبسون. إنها منفعلة جداً مما حدث، وربما هو الحادث الوحيد المثير في حياتها... وقد يكون الأخير. لكنها لطيفة وطيبة إلى الحد الذي تشعر معه بالخزي من الاستمتاع بالأمر، وهي ترى ذلك شعوراً فظيعاً من طرفها.

نظرت السيدة أليرتون إلى بوارو ثم قالت: لا أريد أن أثرثر فأنت تريد أن تسألني.

- أرجوك، متى ذهبت إلى النوم؟

- بعد العاشرة والنصف بقليل.

- وهل نمت مباشرة وقتها؟

- نعم، كنت أشعر بالنعاس.

- وهل سمعت أي شيء، أي شيء في أثناء الليل؟

عقدت السيدة أليرتون حاجبيها وقالت: نعم، أعتقد أنني سمعت صوت ضربة في الماء وصوت شخص يجري، أم تراه كان بالعكس؟ لست واثقة تماماً. لقد تملكني إحساس غامض وكأن أحداً سقط في الماء من أعلى السفينة... كأنه حلم، ثم استيقظت وأصغيت لكن كل شيء كان هادئاً.

- هل تعرفين متى كان ذلك؟

- لا، أخشى أنني لا أعرف، لكن لا أظن أن ذلك كان بعد وقت طويل من بداية نومي، أقصد أنه كان في أول ساعة لي من النوم أو ما يقرب من ذلك.

- للأسف هذا ليس توقيتاً محكماً يا سيدتي.

- نعم، أعرف ذلك، ولكن لا فائدة من محاولتي التخمين وأنا لا أعرف أي شيء. أليس كذلك؟

- وهل هذا كل ما يمكنك قوله لنا؟ يا سيدتي؟

- أخشى ذلك.

- هل التقيت بالسيدة دويل من قبل؟

- لا، ولكن تيم التقى بها، وقد سمعت عنها الكثير من قريبة لنا تدعى جوانا ساوثود، لكني لم أتكلم معها إلى أن التقينا في أسوان.

- عندي سؤال آخر يا سيدتي إن سمحت لي بسؤاله.

قالت السيدة أليرتون وهي تبتسم ابتسامة باهتة: يمكنك أن تطرح عليّ أسئلة خاصة دون تحفظ.

- السؤال هو: هل عانيت أو عانت أسرتك من أية خسارة مالية بسبب عمليات والد السيدة دويل؟

بدت السيدة أليرتون في غاية الدهشة وقالت: آه، لا! لم تُعانِ العائلة من أية مشاكل مالية باستثناء تضاؤل الدخل، فكل شيء -كما تعلمان- يدرّ دخلاً وأرباحاً أقل من السابق. لم تحدث في حياتنا المالية أية حوادث مأساوية مثيرة، زوجي ترك لنا قدراً قليلاً من المال، وهو قَدْر ما زلت أحتفظ به رغم أنه لم يَعُد يُدرّ علينا كما كان من قبل.

- شكراً لك يا سيدتي، أرجو أن تطلبي من ابنك الحضور.

عندما عادت أمه إليه قال تيم بمرح: هل انتهت المحنة؟ جاء دوري الآن! ما هي الأسئلة التي وجّهوها إليك؟

- فقط إن كنت قد سمعت أي شيء الليلة الماضية، ولسوء الحظ لم أسمع أي شيء. لا أدري لماذا لم أسمع رغم أن كابينة لينيت ليست بعيدة عن كابينتي! أظن أنه كان يجب أن أسمع صوت الطلقة. اذهب بسرعة يا تيم، إنهم في انتظارك.

كرر بوارو على مسامع تيم أليرتون الأسئلة السابقة نفسها، فأجابه تيم قائلاً: لقد ذهبت إلى النوم مبكراً، في العاشرة والنصف أو قريباً من ذلك. قرأت لبعض الوقت، ثم أطفأت مصباح غرفتي بعد الحادية عشرة بقليل.

- هل سمعت أي شيء بعد ذلك؟

- سمعت صوت رجل يقول: «تصبحين على خير»، ولم يكن بعيداً عني.

قال ريس: هذا أنا حيث كنت أودع السيدة دويل.

- نعم، وبعد ذلك نمت. ثم بعد ذلك سمعت صوت جلبة

وصراخ، أظن أنها واحدة كانت تنادي فانثورب.

- تلك كانت الآنسة روبسون عندما خرجت من الصالة مسرعة.

- نعم، أظن أنها هي. ثم سمعت الكثير من الأصوات المختلفة، ثم سمعت شخصاً يركض على ظهر السفينة، ثم صوتاً كوقوع شيء في الماء، ثم سمعت الدكتور بيسنر وهو يصرخ ويقول: بحذر، لا تُسرع.

- سمعتَ صوت وقوع شيء في الماء؟

- أو صوتاً يشبه ذلك.

- هل أنت متأكد من أنه لم يكن صوت طلقة؟

- ربما كانت كذلك، لقد سمعت صوت فلينة زجاجة تُفتح وربما كان ذلك هو صوت الطلقة. ربما تخيلت أنه صوت الماء من ربط فكرة الفلّينة بسكب الشراب في كأس، الذي أعرفه هو أن فكرة راودتني بأن هناك حفلة تجري، وقد تمنيت لو أنهم ذهبوا إلى النوم جميعاً وسكتوا.

- وهل سمعت أي شيء بعد ذلك؟

رفع تيم كتفيه وقال: بعد ذلك استولى سلطان النوم.

- ألم تسمع أي شيء آخر؟

- لا شيء أبداً.

- شكراً لك يا سيد أليرتون.

نهض تيم وغادر الكابينة.

* * *

الفصل السادس عشر

تأمل ريس مخطط سطح السفينة. فانثورب، تيم أليرتون، السيدة أليرتون، ثم كابينة خالية، ثم هناك كابينة سيمون دويل، والآن من يوجد على الجانب الآخر من كابينة السيدة دويل؟ السيدة الأمريكية العجوز. لو قُدِّر لأحد أن يسمع شيئاً لكانت من أول السامعين. إن كانت مستيقظة فمن الأفضل استدعاؤها.

دخلت الآنسة فان شويلر الغرفة وقد بدت أكبر سنّاً وأكثر شحوباً مما كانت عليه. كانت عيناها السوداوان الصغيرتان توحيان بشيء من السخط تجاه الرجلين، ونهض ريس فحيّاها ثم قال: نحن آسفون جداً لإزعاجك يا آنسة فان شويلر، نشكرك كثيراً على حضورك وأرجو أن تجلسي.

قالت الآنسة فان شويلر بحدّة: أنا لا أحب التورط في مثل هذه الأمور، إنني أمقت هذه الحال ولا أحب أن يرتبط اسمي بأي شكل بمثل هذه... بمثل هذه القضية الكريهة.

- صحيح؛ كنت أقول للسيد بوارو قبل قليل إن إسراعنا في أخذ أقوالك أفضل، حتى لا نحتاج إلى إزعاجك بعدها أبداً.

نظرت الآنسة فان شويلر إلى بوارو نظرة تكاد تبلغ التفضل، ثم قالت: يسعدني أنكما تتفهمان مشاعري، فلست معتادة على هذا النوع من الأمور.

قال بوارو مهدئاً: بالضبط يا سيدتي، وهذا ما يجعلنا نرغب في إبعاد الضيق عنك في أسرع وقت ممكن. لقد ذهبت لتنامي الليلة الماضية، متى كان ذلك؟

- الساعة العاشرة هو وقت نومي المعتاد، وقد تأخرت في الليلة الماضية لأن كورنيليا روبسون، لقلة إحساسها، جعلتني أنتظر لبعض الوقت.

- حسناً. والآن، ما الذي سمعته بعد خلودك إلى النوم؟

قالت الآنسة فان شويلر: إن نومي خفيف جداً.

- رائع، إنه من حسن حظنا.

- لقد أيقظني صوت تلك الفتاة التافهة خادمة السيدة دويل عندما سمعتها تقول: «تصبحين على خير يا سيدتي» بصوت عالٍ، ولا أملك إلا أن أعتبره غير ضروري.

- وبعد ذلك؟

- عدت إلى النوم من جديد، ثم استيقظت معتقدة بأن في غرفتي شخصاً، لكني أدركت بأنه في الكابينة المجاورة.

- في كابينة السيدة دويل؟

- نعم، ثم سمعت شخصاً في الخارج على ظهر السفينة ثم صوت خبطة في الماء.

- ألا تعرفين كم كانت الساعة عندها؟

- يمكنني أن أحدد لك الوقت بالضبط؛ كان ذلك في الساعة الواحدة وعشر دقائق.

- هل أنت واثقة من ذلك؟

- نعم، فقد نظرت إلى الساعة الصغيرة قرب سريري.

- هل سمعت صوت طلقة؟

- لا.

- ولكن قد يكون صوت الطلقة هو الذي أيقظك؟

فكرت الآنسة فان شويلر في السؤال وهي تميل برأسها جانباً، ثم اعترفت كارهة: هذا ممكن.

- ألا تعرفين ما هو سبب صوت الماء الذي سمعتِه؟

- كيف لا؟ أعرفه تماماً!

انتصب الكولونيل ريس في جلسته متيقظاً وقال: تعرفين؟

- بالتأكيد، لم يعجبني ذلك الصوت من حولي فنهضت وذهبت نحو باب غرفتي، كانت الآنسة أوتربورن مستندة على حاجز السفينة وكانت قد أسقطت لتوها شيئاً في الماء.

بدا ريس ذاهلاً وسألها: الآنسة أوتربورن؟

- نعم.

- هل أنت واثقة أنها الآنسة أوتربورن؟

- لقد رأيت وجهها بوضوح.

- ألم ترك؟

- أظن أنها لم تفعل.

مال بوارو بجسده إلى الأمام وقال: وكيف بدا وجهها يا آنسة؟

- كانت في حالة من الانفعال الشديد.

تبادل ريس وبوارو نظرة سريعة، ثم سألها ريس: وبعد ذلك؟

- ذهبت الآنسة أوتربورن بعيداً إلى مؤخرة السفينة وعدتُ إلى النوم.

عندئذ سُمِعت دقات على الباب ودخل المدير، وكان يحمل في يده حزمة تقطر ماء. قال: لقد عثرنا عليه يا كولونيل.

أخذ ريس الحزمة الملفوفة وبدأ يفتح ثنايا المخمل المبلل ليجد داخلها منديلاً خشناً عليه بعض البقع الحمراء الباهتة، وكان يلفّ مسدساً صغيراً ذا قبضة عاجية. نظر ريس إلى بوارو نظرة فيها شيء من الخبث ثم قال: أرأيت؟ كانت فكرتي صائبة؛ لقد أُلقي في الماء فعلاً.

ثم مدّ يده بالمسدس وقال: ماذا تقول يا سيد بوارو؟ هل هذا هو المسدس الذي رأيته في فندق كاتَراكت في تلك الليلة؟

تفحصه بوارو فحصاً دقيقاً ثم قال بهدوء: نعم، إنه هو. ها هي الزخرفة عليه والحرفان الأولان «ج ب». إنه مسدس فاخر خاص بالنساء، لكنه سلاح قاتل مع ذلك.

أخرج ريس مخزن الذخيرة وقال: عيار ٢٢، وقد أُطلقت منه رصاصتان. نعم، ليس في هذا أدنى شك.

سعلت الآنسة فان شويلر في إشارة ذات مغزى وقالت: وماذا عن شالي؟

- شالك يا آنسة؟

- نعم، شالي المخملي الذي لديك هنا.

التقط ريس قطعة المخمل المبللة عن الأرض وقال: هل هذا لك يا آنسة فان شويلر؟

- إنه لي بالتأكيد! لقد فقدته الليلة الماضية، وقد سألت عنه الجميع.

نظر بوارو إلى ريس نظرة تساؤل فأومأ الآخر موافقاً.

- أين رأيته آخر مرة يا آنسة؟

- كان معي في الصالة مساء الأمس، وعندما أردت الذهاب إلى النوم لم أجده في أي مكان.

قال ريس بسرعة وهو ينشر قطعة المخمل ويشير بإصبعه إلى الثقوب الصغيرة فيها: أتدركين لأي شيء تم استخدامه؟ لقد لفّه القاتل حول المسدس لكي يكتم صوت الرصاصة.

قالت الآنسة فان شويلر وقد احمرّت وجنتاها من الغضب: يا للوقاحة!

قال ريس: سأكون مسروراً يا سيدتي لو حدثتنا عن مدى معرفتك السابقة بالسيدة دويل.

- لم يكن بيني وبينها معرفة سابقة.

- لكنك كنت تعرفينها؟

- كنت أعرف من تكون بالطبع.

- ولكن ألم يكن هناك تعارف بين عائلتك وعائلتها؟

- بالنسبة لعائلتنا فإننا نفتخر دائماً بأننا منغلقون على أنفسنا يا كولونيل ريس، ما كانت أمي الغالية لتفكر أبداً في زيارة أحد من عائلة هارتز، وهي عائلة كانت نكرة لولا ثروتها.

- هل هذا كل ما لديك يا آنسة شويلر؟

- ليس لديّ ما أضيفه على ما قلته لك. لقد نشأت لينيت

ردجوي في إنكلترا ولم أرها إلاّ هنا على متن هذه السفينة.

نهضت من مجلسها، وفتح بوارو لها الباب فخرجت. نظر الرجلان كل إلى صاحبه، وقال ريس: هذه هي إفادتها وسوف تصرّ عليها. قد تكون صحيحة، لا أعرف، ولكن... روزالي أوتربورن؟ لم أتوقع ذلك؟

هز بوارو رأسه متحيراً، ثم ضرب بيده على الطاولة فجأة وقال: ولكن لا معنى لذلك، لا معنى له.

نظر ريس إليه وقال: ما الذي تعنيه بالضبط؟

- أعني أن كل شيء كان واضحاً منطقياً وصولاً إلى نقطة معينة؛ شخص أراد قتل لينيت دويل، شخص سمع ما حدث في الصالة في الليلة الماضية، شخص تسلل إلى هناك وأخذ المسدس، مسدس جاكلين دي بيلفورت، شخص أطلق الرصاصة على لينيت دويل بذلك المسدس وكتب الحرف «ج» على الجدار... كل هذا واضح جداً، أليس كذلك؟ كل شيء يشير إلى جاكلين دي بيلفورت بأنها هي القاتلة، ثم ماذا يفعل القاتل؟ هل يترك المسدس، مسدس جاكلين دي بيلفورت بحيث يجده أي شخص؟ لا، بل يلقي به، يلقي بذلك الدليل الدامغ من فوق السفينة في الماء. لماذا يا صديقي، لماذا؟

هز ريس رأسه وقال: عمل غريب.

- إنه أكثر من غريب، إنه مستحيل!

- ليس مستحيلاً ما دام قد حدث.

- لا أقصد هذا، أقصد أن تسلسل الأحداث هو المستحيل... ثمة خطأ ما.

* * *

الفصل السابع عشر

نظر الكولونيل ريس إلى زميله بفضول. كان يحترم عقل بوارو ولديه من الأسباب ما يدعوه لذلك، إلاّ أنه -في تلك اللحظة- لم يكن يفهم طريقة تفكيره، ومع ذلك لم يوجه إليه أي سؤال، وهو نادراً ما كان يوجه إليه أسئلة. تابع عمله مباشرة في المسألة التي أمامه: ما هو الإجراء التالي؟ هل نستجوب الآنسة أوتربورن؟

- نعم، فقد يدفعنا هذا خطوة إلى الأمام.

دخلت روزالي أوتربورن بأسلوب يفتقر إلى التهذيب. لم تَبدُ عصبية أو خائفة أبداً، لكنها كانت كارهة وعابسة. سألت: حسناً، ما الأمر؟

كان ريس هو المتكلم، قال: إننا نحقق في وفاة السيدة دويل.

أومأت روزالي، وأضاف ريس يقول: هلاّ خبّرتِنا بما فعلتِ في الليلة الماضية؟

فكرت روزالي دقيقة ثم قالت: ذهبت أنا وأمي إلى النوم مبكراً، قبل الحادية عشرة، ولم نسمع أي شيء على وجه الخصوص باستثناء قليل من الجلبة والضوضاء خارج كابينة الدكتور بيسنر. سمعت صوت العجوز الألماني الهادر، ولكني لم أعرف ما الذي حدث إلاّ صباح هذا اليوم.

- ألم تسمعي صوت الطلقة؟

- لم أفعل.

- ألم تغادري كابينتك أبداً الليلة الماضية؟

- مطلقاً.

- هل أنت واثقة من هذا تماماً؟

حدقت روزالي إليه وقالت: ماذا تعني؟ أنا واثقة بالطبع.

- ألم تذهبي -على سبيل المثال- إلى ميمنة السفينة وتُلقي شيئاً في الماء؟

احمرّ وجه الفتاة وقالت: هل يوجد أي قانون يمنع إلقاء الأشياء في الماء؟

- لا، لا بالطبع. إذن فقد فعلت؟

- لا، لم أفعل. قلت لك إنني لم أغادر كابينتي مطلقاً.

- إذن لو قال شخص إنه رآك؟

قاطعته على الفور: من قال لك إنه رآني؟

- الآنسة فان شويلر.

بدت مدهوشة بصدق وقالت: الآنسة فان شويلر؟

- نعم، قالت الآنسة فان شويلر إنها أطلّت خارج كابينتها فرأتك تلقين بشيء من أعلى السفينة.

قالت روزالي بثبات: هذه كذبة كبيرة.

ثم سألته وكأن فكرة مفاجئة قد خطرت لها: في أية ساعة كان ذلك؟

كان بوارو هو الذي أجابها: كان ذلك في الساعة الواحدة وعشر دقائق يا آنسة.

أومأت برأسها وهي تتأمل وقالت: وهل رأت الآنسة شويلر أي شيء آخر؟

نظر بوارو إليها نظرة استغراب، تحسس ذقنه وقال: شاهدت؟ لا، لكنها سمعت شيئاً.

- وماذا سمعت؟

- شخصاً يتحرك في غرفة السيدة دويل.

- فهمت.

أصبحت الآن شاحبة، شاحبة شحوب الموت.

- وهل تصرّين على أنك لم تلقي بشيء من فوق السفينة يا آنسة ؟

- ولماذا بالله عليك أخرج بعد منتصف الليل لألقي بشيء من السفينة في الماء؟

- قد يكون لديك سبب، سبب بريء.

كررت الفتاة محتدّة: بريء؟

- هذا ما قلتُه. لقد ألقي شيء في الماء الليلة الماضية، شيء لم يكن بريئاً.

أخرج ريس بهدوء الشال المخملي الملطَّخ بالدماء وفتحه ليريها محتوياته. جفلت روزالي أوتربورن إلى الوراء وهي تقول: هل كان هذا الذي... الذي قُتلت به؟

- نعم يا آنسة.

- وهل تظن أنني أنا التي قتلتها؟ يا له من هراء! ولماذا عساي أرغب في قتل لينيت دويل؟ إنني لا أعرفها.

ضحكت ووقفت تقول بازدراء: الأمر كله سخيف جداً.

قال ريس: تذكّري يا آنسة أوتربورن بأن الآنسة فان شويلر مستعدة لأن تقسم على أنها رأت وجهك بوضوح تام في ضوء القمر.

ضحكت روزالي ثانية وقالت: تلك القطة العجوز؟ قد تكون نصف عمياء. لستُ أنا مَن رأت.

سكتت ثم قالت: هل يمكنني الذهاب الآن؟

أومأ ريس بالموافقة فخرجت روزالي أوتربورن من الغرفة. تبادل الرجلان النظرات، ثم أشعل ريس غليونه وقال: حسناً هذا ما لدينا؛ تناقض صريح. من منهما نصدق؟

هز بوارو رأسه وقال: لديّ فكرة صغيرة بأن المرأتين لم تكونا صريحتين تماماً.

قال ريس يائساً: هذا أسوأ ما في عملنا، كثير من الناس يكتمون الحقيقة من أجل أسباب تافهة. ما هي خطوتنا التالية؟ هل نواصل استجواب الركاب؟

- أظن ذلك، شيء جيد وجميل دائماً أن نعمل بنظام ومنهجية.

أومأ ريس موافقاً.

جاءت السيدة أوتربورن بعد ابنتها وهي ترتدي ثوباً زاهي الألوان، وقد أيّدت أقوال ابنتها بأنهما ذهبتا إلى النوم قبل الحادية عشرة، وقالت بأنها شخصياً لم تسمع أي شيء ذي أهمية تُذكَر

في أثناء الليل. ولم تكن تعرف إن كانت روزالي قد غادرت كابينتها أم لا، وفيما يتعلق بموضوع الجريمة فقد كانت ميّالة للإسهاب في شرح رأيها، فقد هتفت قائلة: إنها الجريمة العاطفية... الغريزة البدائية للقتل! تلك الفتاة جاكلين نصفها لاتيني ولذلك فهي من أصحاب الدماء الحارة، واستجابة لغرائز الانتقام فقد تسللت والمسدس في يدها...

- لكن جاكلين دي بيلفورت لم تقتل السيدة دويل؛ نحن متأكدون من ذلك، إنها مسألة مثبتة.

قالت السيدة أوتربورن وقد استجمعت قواها بعد هذه الصفعة: زوجها إذن؟

قال الكولونيل: لقد أصيب السيد دويل برصاصة في ساقه ولم يكن قادراً على الحركة، كسر عظم ساقه، وقد أمضى الليل مع الدكتور بيسنر.

ازدادت خيبة الأمل عند السيدة أوتربورن، بحثت وفكرت على أمل أن تجد حلاً ثم قالت: بالطبع، يا لي من غبية! الآنسة باورز.

- الآنسة باورز؟

- نعم، مسألة طبيعية، الأمر واضح جداً من الناحية السيكولوجية، الكبت! عانس مكبوتة يُجَنّ جنونها لرؤيتها هذين الاثنين، زوجين شابين متحابين. إنها هي بالطبع! إنها من هذا النمط تماماً...

قاطعها الكولونيل ريس بلباقة قائلاً: لقد ساعدتنا اقتراحاتك كثيراً يا سيدة أوتربورن. نريد أن نواصل عملنا الآن، شكراً لك كثيراً.

ثم رافقها حتى الباب وعاد وهو يمسح حاجبيه ويقول: يا لها من امرأة! آه، لماذا لا يقتلها أحد؟

واساه بوارو قائلاً: قد يحدث هذا.

- لا بد أنه سيكون عملاً مبرَّراً. مَن بقي عندنا الآن؟ بيننغتون. أرى أن نبقيه حتى النهاية. ريشيتي وفيرغسون؟

كان السيد ريشيتي مهزاراً جداً ومنفعلاً جداً، وراح يثرثر قائلاً: ولكن يا له من عار! امرأة في مقتبل العمر وجميلة جداً؟ إنها جريمة غير إنسانية.

كان السيد ريشيتي يشرع ذراعيه في الهواء بطريقة معبّرة. كانت إجاباته جازمة، فقد ذهب إلى النوم مبكراً، مبكراً جداً، والواقع أنه ذهب بعد العشاء مباشرة. وقد قرأ نشرة مثيرة جداً لبعض الوقت، نشرة علمية تلقي الضوء على الخزفيات الملوَّنة التي عُثر عليها عند سفوح جبال الأناضول. وقال إنه أطفأ مصباح غرفته قبل الحادية عشرة بقليل، وإنه لم يسمع صوت أية طلقة، ولم يسمع أي صوت يشبه صوت فرقعة الفلين. الشيء الوحيد الذي سمعه كان فيما بعد، في منتصف الليل، وهو صوت خبطة الماء، وكانت قوية بالقرب من كوّة غرفته.

- كابينتك في الطابق الأسفل على ميمنة السفينة، أليس كذلك؟

- بلى، هذا صحيح، وقد سمعت صوت شيء يقع في الماء بقوة.

- هل يمكنك أن تخبرني متى كان ذلك؟

فكر السيد ريشيتي وقال: كان ذلك بعد ساعة، ربما ساعتين... بل ربما ثلاث ساعات من ذهابي إلى النوم. لا، ربما ساعتين.

- بحدود الساعة الواحدة وعشر دقائق على سبيل المثال؟

- قد يكون هذا صحيحاً. نعم، آه! ولكن أية جريمة مخيفة هذه! إنها وحشية، امرأة فاتنة كهذه...

خرج السيد ريشيتي وهو ما يزال يشير بيديه ويتعجب. نظر ريس إلى بوارو، فرفع بوارو حاجبيه ثم رفع كتفيه حيرة، وانتقل الاثنان بعدها إلى السيد فيرغسون.

كان فيرغسون صعباً، مدّد جسمه على الكرسي بوقاحة ثم قال متأففاً: هناك لغط كثير حول هذا الأمر. وماذا يهمّ؟ في هذا العالم كثير من النساء الفائضات!

قال ريس ببرود: هل يمكننا أن نعرف عن تحركاتك في الليلة الماضية يا سيد فيرغسون؟

- لا أرى سبباً لذلك ولكني لا أمانع. تجولت حول السفينة طويلاً، ثم نزلت إلى الشاطئ مع الآنسة روبسون، وعندما عادت إلى السفينة تجولت في المكان وحدي لفترة من الزمن، ثم عدت نحو منتصف الليل.

- هل كابينتك في الطابق الأسفل على الميمنة؟

- نعم، فأنا أسكن بين الشخصيات ذات المستوى الرفيع!

- هل سمعت صوت طلقة؟ ربما بدت كصوت فلينة زجاجة تُفتح؟

فكر فيرغسون ثم قال: نعم، أظن أنني سمعت شيئاً كصوت فلينة، لا أتذكر متى... قبل أن أنام. وكان يوجد في المكان الكثير من الناس... حالة من الفوضى، يجرون على ظهر السفينة فوق غرفتي.

- ربما كانت تلك هي الرصاصة التي أطلقتها الآنسة دي

بيلفورت، ألم تسمع صوت رصاصة أخرى؟

- لم أسمع.

- ولا حتى صوت شيء يقع في الماء؟

- يقع في الماء؟ نعم، أظن أنني سمعت بالفعل صوت خبطة ماء، ولكن كانت هناك ضجة عالية في نفس الوقت، ولذلك فأنا غير متأكد من ذلك الصوت.

- هل غادرت كابينتك في أثناء الليل؟

كشّر فيرغسون وقال: لا، لم أغادر، ولسوء الحظ لم أشارك في هذا العمل الجيّد.

- كفى يا سيد فيرغسون، لا تتصرف كالأطفال.

ردّ الشاب غاضباً: ولماذا لا أقول ما أعتقده؟ إنني أؤمن بالعنف.

قال بوارو: لكنك لا تمارس ما تدعو إليه؟ هذا أمر محير.

ثم مال بوارو إلى الأمام وقال: إن فليتوود هو الذي قال لك إن لينيت دويل من أغنى النساء في إنكلترا، أليس كذلك؟

- وما علاقة فليتوود بهذا؟

- إن له يا عزيزي دافعاً جيداً لقتل لينيت دويل، إنه يكنّ لها حقداً خاصاً.

قفز السيد فيرغسون عن مقعده وهدر غاضباً: إذن فهذه هي لعبتك القذرة؟ تريد أن تلصقها بشخص مسكين مثل فليتوود لا يستطيع الدفاع عن نفسه ولا يملك نقوداً لتوكيل محامين يدافعون عنه. ولكن اعلم أنك إذا حاولت تحميل فليتوود مسؤولية هذا العمل فسيترتب عليك أن تواجهني أنا أولاً.

سأله بوارو بسرور: ومن تكون أنت بالضبط؟

احمرّ وجه السيد فيرغسون وقال بفظاظة: إن بوسعي في كل الأحوال أن أقف إلى جانب أصدقائي.

قال ريس: حسناً يا سيد فيرغسون، أظن أن هذا هو كل ما نحتاجه في الوقت الراهن.

وعندما أغلق الباب وراء فيرغسون قال ريس على نحو غير متوقع: إنه شقي محبوب بعض الشيء.

سأله بوارو: هل ترى أنه الرجل الذي تبحث أنت عنه؟

- لا أظن ذلك، ولكن من أبحث عنه موجود على متن السفينة؛ كانت المعلومات دقيقة جداً. ولكن دعنا نتناول قضية فقضية، لنجرب رؤية بيننغتون.

* * *

الفصل الثامن عشر

أظهر أندرو بيننغتون كل ردود الفعل التقليدية التي يتطلبها الموقف من الحزن والصدمة، وكان -كعادته- أنيق الثياب وقد غير ربطته وارتدى ربطة عنق سوداء. كانت علامات الحيرة بادية على وجهه الطويل الحليق.

قال بحزن: يا سادة، لقد أحزنني ما وقع! لينيت الصغيرة... إنني أتذكرها كأذكى طفلة يمكنك أن تتخيلها. كم كان ميلهويش ردجوي فخوراً بها! حسناً، لا فائدة من هذا الكلام. أخبرني بما أستطيع أن أفعله، هذا كل ما أسأله.

قال ريس: أولاً، هل سمعت يا سيد بيننغتون أي شيء الليلة الماضية؟

- لا يا سيدي، لا أظن ذلك. إن كابينتي هي رقم ٤١ المجاورة لكابينة الدكتور بيسنر رقم ٤٠، وقد سمعت جلبة معيَّنة تجري هناك في منتصف الليل تقريباً، ولم أكن أعرف حقيقتها في ذلك الوقت بالطبع.

- ألم تسمع أي شيء آخر؟ لا طلقات؟

هز أندرو بيننغتون رأسه وقال: لا شيء من ذلك أبداً.

- ومتى ذهبت إلى النوم؟

- بعد الحادية عشرة بقليل كما أظن.

مال بجسده إلى الأمام ثم قال: لا أظنكما غافلَين عن وجود كثير من الإشاعات التي تدور في السفينة، تلك الفتاة نصف الفرنسية جاكلين دي بيلفورت كان لديها ما يدعو إلى الارتياب. إن لينيت لم تخبرني بأي شيء ولكنني لست بالأصم الأعمى، لقد كانت هناك علاقة عاطفية بينها وبين سيمون في وقت ما. ابحث عن المرأة... هذه قاعدة سليمة جيدة تماماً، وأظن أنكما لن تضطرا إلى البحث بعيداً.

سأله بوارو: هل تعتقد أن جاكلين دي بيلفورت قتلت السيدة دويل؟

- هذا ما يبدو لي، ولكني لا أعرف شيئاً محدداً بالطبع.

- لكننا نعرف شيئاً محدداً لسوء الحظ.

بدا السيد بيننغتون وقد فوجئ، وهتف قائلاً: إيه؟

- نعرف أنه كان من المستحيل على الآنسة دي بيلفورت قتل السيدة دويل.

ثم شرح له ظروف الحادث بكل دقة، لكن السيد بيننغتون بدا متردداً في تقبلها وقال: أتفق معك بأن الأمر يبدو سليماً ظاهرياً، لكني أراهن على أن هذه الممرضة لم تظلّ مستيقظة طوال الليل. لا بد أن النعاس قد غلبها فنامت وتسلّلت الفتاة إلى الخارج ثم عادت وهي لا تزال نائمة.

- هذا أمر بعيد الاحتمال يا سيد بيننغتون. تذكّر أنها أخذت حقنة منومة قوية، وعلى أية حال فإن من عادة أية ممرضة أن يكون نومها خفيفاً وأن تستيقظ عندما يستيقظ مريضها.

- يبدو لي الأمر مريباً بعض الشيء.

قال ريس بصوت حازم وهادئ: أظن أن عليك أن تثق بكلامي -يا سيد بيننغتون- عندما أؤكد لك بأننا دققنا في كل الاحتمالات بحذر شديد، والنتيجة محددة وواضحة تماماً: جاكلين دي بيلفورت لم تقتل السيدة دويل. ولذلك فنحن مرغمون على أن نبحث في مكان آخر، وهذا ما نأمل أن تساعدنا فيه.

جفل بيننغتون وقال: أنا؟

- نعم، لقد كنت صديقاً حميماً للقتيلة وتعرف ظروف حياتها، ويُرجَّح أن تعرف عن ذلك أكثر مما يعرفه زوجها لأنه لم يعرفها إلاّ منذ بضعة أشهر فقط. يمكنك أن تعرف -على سبيل المثال- إن كان هناك أي شخص يحقد عليها، ويمكنك أن تعرف إن كان هناك مَن له دافع في الرغبة في موتها.

مرر أندرو بيننغتون لسانه فوق شفتيه اللتين بدتا جافتين قليلاً، ثم قال: أؤكد لك بأنني لا أعرف. لقد نشأت لينيت في إنكلترا، لا أعرف عن محيطها ومعارفها إلاّ القليل جداً.

قال بوارو: ومع ذلك كان أحد ركاب السفينة مهتمّاً بقتل السيدة، وقد نجت من الموت بأعجوبة قبل ذلك كما تذكر، عندما هوت تلك الصخرة وتحطمت على الأرض. آه، لكنك ربما لم تكن موجوداً هناك؟

- نعم، كنت داخل المعبد في ذلك الوقت، وسمعت عن الحادثة بعد ذلك بالطبع. لقد نجت من الموت بأعجوبة، لكن ذلك قد يكون مجرد حادث عرضي، ألا تظن ذلك؟

رفع بوارو كتفيه حيرة وقال: هذا ما ظننّاه في ذلك الوقت، أما الآن فإننا نتساءل.

مسح بيننغتون العرق عن وجهه بمنديله الحريري وقال: نعم،

نعم، بالطبع.

أكمل الكولونيل ريس يقول: لقد تصادف أن ذكر السيد دويل وجود شخص في السفينة يحمل في نفسه حقداً وضغينة، ليس عليها شخصياً ولكن على عائلتها. هل تعرف من يمكن أن يكون هذا الشخص؟

بدا بيننغتون مدهوشاً بصدق، وقال: لا، لا أعرف.

- ألم تذكر لك تلك المسألة؟

- لم تفعل.

- كنت صديقاً حميماً لوالدها، ألا يمكنك أن تتذكر أية عمليات تجارية له ربما نتج عنها تحطيم لبعض خصومه في العمل؟

هز بيننغتون رأسه يائساً وقال: لا تحضرني قضية بارزة. كانت مثل تلك العمليات كثيرة بالطبع، ولكني لا أتذكر أن أحداً أصدر تهديدات، لا شيء من ذلك.

- باختصار يا سيد بيننغتون فأنت لا تستطيع مساعدتنا؟

- يبدو كذلك. إنني آسف على عدم استطاعتي ذلك يا سادة.

نظر ريس إلى بوارو ثم قال: وأنا آسف أيضاً، كنا نبني عليك الآمال.

ثم نهض إشارة على أن المقابلة قد انتهت، فقال أندرو بيننغتون: بما أن دويل لا يستطيع الحركة فأظن أنه يودّ لو أشرف أنا على الأمور. اسمح لي يا كولونيل أن أسألك عن الترتيبات بالضبط؟

- عندما نغادر المكان هنا سنذهب إلى الشلال دون توقف حيث نصل إلى هناك صباح الغد.

- والجثة؟

- سيتم نقلها إلى إحدى غرف التخزين المبرّدة.

أومأ أندرو بيننغتون برأسه ثم غادر الغرفة، فتبادل بوارو وريس النظرات من جديد، ثم قال ريس: لم يكن السيد بيننغتون مرتاحاً على الإطلاق.

أومأ بوارو برأسه موافقاً وقال: كما أنه كان من الارتباك بحيث كذب كذبة غبية بعض الشيء. لم يكن في معبد أبي سمبل عندما سقطت تلك الصخرة، يمكنني أن أقسم على ذلك لأنني كنت قد جئت من هناك لتوي.

- كذبة غبية جداً، وهي أيضاً ذات دلالات كبيرة.

أومأ بوارو ثانية وقال مبتسماً: ولكننا في الوقت الحالي نعامله بما يعامَل به الطفل الرضيع من لطف.

وافقه ريس وقال: هذه هي فكرتي أيضاً.

ثم سمعا صوتاً خفيفاً وضوضاء وحركة تحت أقدامهما، فقد بدأت «الكرنك» تتحرك في طريق العودة إلى الشلال. قال ريس: عقد اللؤلؤ! هذا هو الشيء الثاني الذي يجب حل لغزه.

- هل لديك خطة معينة؟

- نعم.

نظر ريس إلى ساعته وقال: سيحين موعد الغداء بعد نصف ساعة، وفي نهاية الغداء أعتزم إعلان شيء، أريد أن أعلن -ببساطة- حقيقة سرقة عقد اللؤلؤ وأن أطلب من الجميع البقاء في صالة الطعام ريثما ننتهي من التفتيش.

أومأ بوارو برأسه موافقاً وقال: إنها خطة جيدة، فكائناً من كان

الذي سرق عقد اللؤلؤ فإنه ما زال يحتفظ به، وما لم نعطه تحذيراً مسبقاً فلن تكون لديه فرصة لإلقائه في الماء في لحظة ذعر.

سحب ريس بعض الأوراق نحوه ثم قال معتذراً: أريد عمل خلاصة للوقائع التي تمر عليّ، وهذا يحرر العقل من الفوضى والتشويش.

- هذا عمل جيد، المنهجية والنظام هما كل شيء.

مضى ريس يكتب لعدة دقائق بخطه المرتب الصغير، وفي نهاية الأمر دفع بالأوراق إلى بوارو وهو يقول: هل فيها ما لا توافق عليه؟

أخذ بوارو الأوراق، كانت مُعَنونة بالعنوان التالي: «مقتل السيدة لينيت دويل». وفيها:

شوهدت السيدة دويل على قيد الحياة لآخر مرة بواسطة خادمتها لويز بورجيه. الوقت الساعة ١١,٣٠ تقريباً.

من الساعة ١١,٣٠-١٢,٢٠ التالية أسماؤهم لديهم أدلة تثبت غيابهم عن مكان الجريمة: كورنيليا روبسون، جيمس فانثورب، سيمون دويل، جاكلين دي بيلفورت، ولا أحد آخر. لكن الجريمة ارتُكبت بعد ذلك الوقت بالتأكيد، حيث إنه من المؤكد عملياً أن المسدس المستخدَم كان مسدس جاكلين دي بيلفورت الذي كان في ذلك الوقت في حقيبتها اليدوية. إن حقيقة أن مسدسها هو الذي استُخدم ليس مؤكداً قطعياً إلى أن يتم تشريح الجثة ويتم فحص الرصاصة المستخرجة، ولكن يمكن اعتبار ذلك الاحتمال وارداً بشكل شبه مؤكد.

سياق الأحداث المحتمَل: القاتل (س) كان شاهداً على المشهد الذي حدث بين جاكلين وسيمون دويل في صالة

المراقبة ولاحظ مكان المسدس تحت المقعد، وبعد خلو الصالة ممن كانوا فيها أخرج المسدس من مكانه معتقداً أن تهمة القتل ستلصق بجاكلين دي بيلفورت، وفي هذه النظرية سيتم إبعاد الشبهة عن أناس معينين بطريقة آلية: كورنيليا روبسون: حيث لم يكن لديها أية فرصة لأخذ المسدس قبل عودة جيمس فانثورب للبحث عنه. الآنسة باورز: نفس الشيء. الدكتور بيسنر: نفس الشيء.

ملاحظة: فانثورب غير مستبعَد من الشبهة على وجه اليقين، حيث كان بوسعه عملياً دسّ المسدس في جيبه والتصريح بأنه لم يتمكن من العثور عليه. كما كان يمكن لأي شخص أخذ المسدس في أثناء فترة الدقائق العشر الفاصلة تلك.

دوافع محتمَلة للقتل:

أندرو بيننغتون: على افتراض تورطه بأعمال احتيال. هناك عدد من الدلائل تصب في مصلحة هذا الافتراض لكنها غير كافية لبناء قضية ضده. لو كان هو الذي دحرج الصخرة من أعلى لكان رجلاً ممن يحسنون اغتنام الفرص عندما تلوح لهم، واضح أن الجريمة لم تكن عن سابق تصور وتصميم إلاّ بالمعنى العام، وقد كان مشهد إطلاق الرصاص الليلة الماضية فرصة مثالية.

اعتراضات على افتراض تجريم بيننغتون: لماذا يلقي المسدس في الماء مع أنه يشكل دليلاً قيِّماً ضد جاكلين دي بيلفورت؟

فليتوود: الدافع هو الانتقام؛ فهو يعتبر نفسه قد تضرر وأُوذي من قبل لينيت دويل، وربما يكون قد سمع المشهد ورآه ولاحظ مكان المسدس، وقد يكون أخذ المسدس

لأنه سلاح قريب وليس بقصد تحويل التهمة إلى جاكلين، وهذا يناسب فكرة إلقائه في الماء. ولكن إن كان ذلك ما حدث فلماذا كتب بالدم الحرف «ج» على الجدار؟

ملاحظة: المنديل ذو النوعية الرخيصة الذي وُجد مع المسدس يُرجّح أن يكون لرجل مثل فليتوود وليس لأحد آخر من ركاب السفينة الأغنياء.

روزالي أوتربورن: هل نقبل بشهادة الآنسة فان شويلر أو إنكار روزالي لها؟ لقد ألقي شيء في الماء في ذلك الوقت، ويُفترض أن هذا الشيء هو المسدس الملفوف في الشال المخملي.

نقاط يجب ملاحظتها: هل يوجد لروزالي أي دافع؟ ربما كانت تكره لينيت دويل أو تحسدها، لكن ذلك يُستبعد كثيراً أن يكون دافعاً للقتل. لن يكون الدليل ضدها مقنعاً ما لم نكتشف دافعاً مناسباً، وحسب علمنا لا توجد معرفة سابقة أو علاقة تجمع روزالي أوتربورن بلينيت دويل.

الآنسة فان شويلر: الشال المخملي الذي كان المسدس ملفوفاً فيه هو للآنسة فان شويلر، ووفقاً لأقوالها هي فإن آخر مرة شاهدته فيها كانت في الصالة، وقد أعلنت فقدانه في المساء وقامت بالبحث عنه دون نتيجة.

كيف حصل «س» على الشال؟ هل سرقه في وقت مبكر من المساء؟ ولكن إن كان كذلك فلماذا؟ فما كان أحد ليعلم مسبقاً أنه سيحدث مشهد بين جاكلين وسيمون. هل وجد «س» الشال في الصالة عندما ذهب ليأخذ المسدس من تحت المقعد؟ ولكن إن كان كذلك فلماذا لم يتم العثور عليه عندما جرى البحث عنه؟ أتراه كان موجوداً مع الآنسة فان شويلر من البداية؟ أي: هل الآنسة فان شويلر هي التي

قتلت لينيت دويل؟ هل اتهامها لروزالي أوتربورن كذبة متعمَّدة؟ وإن كانت قد قتلتها فعلاً فما هو دافعها؟

احتمالات أخرى:

دافع السرقة: ممكن، حيث إن عقد اللؤلؤ قد اختفى وكانت لينيت دويل تلبسه الليلة الماضية بالتأكيد.

شخص يحقد على عائلة ردجوي: ممكن، مرة أخرى لا يوجد دليل. نعرف أنه يوجد في السفينة رجل خطير، قاتل، وهنا لدينا قاتل وضحية مقتولة. ألا يمكن وجود صلة بين الاثنين؟ ولكن علينا أن نثبت في هذه الحالة أن لينيت دويل كانت تملك معلومة خطيرة تتعلق بذلك الرجل.

استنتاجات:

يمكننا تصنيف ركاب السفينة في فئتين: أولئك الذين لديهم دافع محتمَل أو توجد ضدهم أدلة محددة، وأولئك الذين لا تحوم حولهم شبهات حسب عملنا. الفئة الأولى: أندرو بيننغتون، فليتوود، روزالي أوتربورن، الآنسة فان شويلر، لويز بورجيه (سرقة؟)، فيرغسون (دوافع سياسية؟). الفئة الثانية: السيدة أليرتون، تيم أليرتون، كورنيليا روبسون، الآنسة باورز، الدكتور بيسنر، السيد ريشيتي، السيدة أوتربورن، جيمس فانثورب.

أعاد بوارو الورقة إليه وهو يقول: إن ما كتبته هنا مضبوط جداً.

- هل تتفق معه كله؟

- نعم.

- والآن بماذا يمكن أن تساهم زيادة على ذلك؟

اعتدل بوارو في جلسته فيما يوحي بالأهمية وقال: بالنسبة لي فإنني أطرح على نفسي سؤالاً واحداً: لماذا أُلقي المسدس في الماء؟

- أهذا كل شيء؟

- في الوقت الحالي؟ نعم. إلى أن أصل إلى إجابة مقنعة على ذلك السؤال فإنه لا معنى لكل ما جرى، فلا بد أن تكون هذه نقطة البداية. ستلاحظ -يا صديقي- أنك في الملخّص الذي قدمته الآن لم تحاول الإجابة على تلك النقطة.

رفع ريس كتفيه حيرة وقال: ربما كان إلقاؤه بسبب الذعر.

هز بوارو رأسه متحيراً، ثم أمسك بلفافة المخمل ومسَّدها. كانت مبتلة، وتتبعت أصابعه البقع والفتحات المحترقة، ثم قال فجأة: قل لي يا صديقي فأنت أكثر مني خبرة في الأسلحة: هل يمكن لشيء كهذا ملفوف حول مسدس أن يحدث فارقاً كبيراً في كتم صوت الطلقة؟

- لا، لا يمكن؛ ليس مثل كاتم الصوت مثلاً.

أومأ بوارو برأسه وأكمل يقول: من المؤكد أن رجلاً اعتاد استعمال الأسلحة النارية من شأنه أن يعرف ذلك، أما المرأة فليس من شأنها أن تعرف.

نظر ريس إليه نظرات فضولية وقال: ربما كان هذا صحيحاً.

- ربما تكون قد قرأت قصصاً بوليسية... هذه القصص لا يأبهون فيها كثيراً لدقة التفاصيل وصحتها.

تلاعب ريس بالمسدس الصغير بإصبعه ثم قال: هذا المسدس الصغير ما كان ليصدر صوتاً عالياً على أية حال، مجرد فرقعة فقط. ومع وجود ضجة في المكان يرجَّح أن لا ينتبه أحدٌ لصوت الطلقة.

- نعم، لقد فكرت في هذه النقطة.

رفع بوارو المنديل وتفحصه ثم قال: إنه منديل رجل، لكنه ليس منديل سيد ذي شأن. إنه من النوعية الرخيصة ولا يتجاوز سعره ثلاثة بنسات.

- إنه منديل من شأن رجل مثل فليتوود أن يقتنيه.

- نعم. لقد لاحظت أن أندرو بيننغتون كان يحمل معه منديلاً من الحرير الناعم جداً.

- وفيرغسون؟

- ممكن، لكي يعطي انطباعاً معيناً فقط، لكنه لا يحمل إلاّ منديلاً كبيراً مزيناً بالرسوم.

قال ريس: "ربما استخدمه بدل القفاز ليمسك به المسدس ويحجب البصمات"، ثم أضاف مازحاً: دليل المنديل الوردي!

- آه، نعم، إنه لون الفتيات المفضل، أليس كذلك؟

وضعه على الطاولة وعاد إلى الشال ليتفحص مرة أخرى آثار البارود، قال: ولكن الأمر غريب مع ذلك.

- ما هو الغريب؟

ردّ عليه بوارو بهدوء: المسكينة السيدة دويل... تضطجع هناك بهدوء تام وفي رأسها ثقب صغير. هل تذكر كيف كانت تبدو؟

نظر ريس إليه نظرات فضول وقال: اسمع، أحسّ بأنك تحاول أن تخبرني بشيء ما، رغم أني لا أعرف أبداً ما هو.

* * *

الفصل التاسع عشر

دقّ أحدهم على الباب، فصاح ريس: تفضل.

دخل أحد الخدم وقال مخاطباً بوارو: أرجو المعذرة يا سيدي، إن السيد دويل يسأل عنك.

- سوف أذهب إليه.

نهض بوارو فخرج من الغرفة وصعد إلى سطح السفينة، ثم توجه إلى كابينة الدكتور بيسنر. كان سيمون يسند رأسه إلى الوسائد ووجهه متورد محموم، وقد بدا محرجاً. استقبل بوارو قائلاً: عمل طيب أن تأتي بهذه السرعة يا سيد بوارو. اسمعني، هناك طلب أريده منك.

- وما هو؟

ازداد الاحمرار في وجه سيمون ثم قال: إنه... إنه بخصوص جاكي. أريد أن أراها، هل ترى... هل تمانع إذا ما طلبت منها المجيء إلى هنا؟ كنت مستلقياً هنا أفكر. تلك الطفلة البائسة... إنها مجرد طفلة، وقد أسأتُ أنا معاملتها كثيراً و...

ثم تلعثم ولم يعرف ماذا يقول. نظر بوارو إليه باهتمام وقال: هل ترغب في رؤية الآنسة جاكلين؟ سأحضرها إليك.

- شكراً لك، هذا لطف بالغ منك.

ذهب بوارو في بحثه، فوجد جاكلين دي بيلفورت جالسة عند إحدى زوايا صالة المراقبة، كانت تضع على ركبتيها كتاباً مفتوحاً لكنها لم تكن تقرأ فيه. قال بوارو برفق: هل تأتين معي يا آنسة؟ السيد دويل يود رؤيتك.

جفلت واقفة واحمرّ وجهها، ثم تحول إلى لون شاحب وبدا عليها الارتباك وهي تقول: سيمون؟ يريد رؤيتي، يريد رؤيتي أنا؟

وجد بوارو دهشتها وعدم تصديقها مؤثّرَين. قال: هل تأتين يا آنسة؟

- أنا، نعم، بالطبع سآتي.

ذهبت معه مذعنة كطفلة، ولكن كطفلة حائرة. دخل بوارو الكابينة وقال: ها هي الآنسة.

دخلت وراءه، ترنّحت ثم تمالكت نفسها، وقفت هناك صامتة بكماء وعيناها مركّزتان على وجه سيمون. كان هو الآخر محرجاً وقال: مرحباً يا جاكي، جميل منك أن تأتي. كنت أريد أن أقول... أقصد... ما أعنيه هو...

عندها قاطعته، جاءت كلماتها متدافعة سريعة لاهثة ويائسة: سيمون، أنا لم أقتل لينيت. أنت تعرف أنني لم أفعل ذلك. لقد كنت مجنونة في الليلة الماضية. آه، هل ستغفر لي؟

انسابت الكلمات من فمه بسهولة وهو يقول: بالطبع، لا بأس عليك، لا بأس عليك. هذا ما أردت قوله، ظننت أنك ربما كنت قلقة بعض الشيء.

- قلقة؟ بعض الشيء؟ آه، سيمون!

- هذا ما أردت رؤيتك من أجله. لا بأس عليك الآن يا عزيزتي، كنت مضطربة قليلاً في الليلة الماضية وعصبية قليلاً، إنه

أمر طبيعي جداً.

- آه، سيمون... لقد كدتُ أقتلك!

- ليس أنت، ليس بهذا المسدس الصغير اللعبة.

- وساقك! ربما لن تمشي عليها بعد اليوم أبداً.

- اسمعي يا جاكي، لا تبالغي في المشاعر السخيفة. حالما نصل إلى أسوان سيصوّرون ساقي بالأشعة ثم يستخرجون تلك الرصاصة، وبعدها سيكون كل شيء طبيعياً.

بلعت جاكلين ريقها مرتين، ثم اندفعت إلى الأمام فجثت قرب سرير سيمون وهي تدفن وجهها بين يديها وتبكي، فربّت سيمون على رأسها ورفع بصره لتلتقي عيناه بعيني بوارو الذي غادر الكابينة وهو يطلق تنهيدة مترددة، وقد سمع وهو يغادر تمتمات متقطعة: كيف استطعت أن أكون على هذه الدرجة من السوء؟ آه، سيمون، إنني آسفة بالغ الأسف...

خارج الكابينة كانت كورنيليا روبسون تستند إلى حاجز السفينة، التفتت برأسها وقالت: آه، هذا أنت يا سيد بوارو؟ من المؤسف على نحو ما أن يكون الجو جميلاً اليوم.

رفع بوارو بصره إلى السماء وقال: عندما تشرق الشمس لا يمكنك رؤية القمر، ولكن عندما تذهب الشمس... آه، عندما تذهب الشمس...

فتحت كورنيليا فمها بدهشة وقالت: عذراً، ماذا تقول؟

- كنت أقول يا آنسة إنه عندما تغرب الشمس سنرى القمر. هذا صحيح، أليس كذلك.

- آه، بلى، بالتأكيد.

ثم نظرت إليه بارتياب، فضحك بوارو ضحكة هادئة وقال: إنني أقول كلاماً تافهاً، لا تلتفتي إليه.

ثم تحرك إلى مؤخرة السفينة، وعندما مرّ من أمام الكابينة التالية توقف دقيقة حيث سمع أجزاء من حديث كان يدور في الداخل: ناكرة للجميل تماماً... رغم كل ما فعلته من أجلك... إنك لا تقيمين وزناً لأمك البائسة، لا تعرفين ما أعانيه...

تصلّبت شفتا بوارو وهو يغلق فمه، ثم رفع يده وطرق على الباب قائلاً: هل الآنسة روزالي موجودة؟

ظهرت روزالي عند الباب، وقد صُدم بوارو من مظهرها، فقد كانت حول عينيها دوائر داكنة وبدت عابسة حزينة. قالت بفظاظة: ماذا تريد؟

- متعة الحديث معك لبضع دقائق يا آنسة، هل تأتين معي؟

ظهر النكد على وجهها على الفور، نظرت إليه نظرة ارتياب وقالت: ولماذا آتي معك؟

- أرجوك يا آنسة.

- آه، أظن...

ثم خرجت إلى ظهر السفينة وأغلقت الباب وراءها وهي تقول: حسناً؟

أمسكها بوارو من ذراعها برفق وسار بها على ظهر السفينة باتجاه المؤخرة. مرّا من أمام الحمّامات ثم انعطفا عند الزاوية، وكانت مؤخرة السفينة خالية إلاّ منهما والنيل يجري وراءهما. أسند بوارو مرفقيه على حاجز السفينة، ووقفت روزالي منتصبة ومتصلبة. سألته ثانية بنبرة جافة: حسناً؟

تكلم بوارو ببطء وهو يختار كلماته: يمكنني أن أوجّه لك أسئلة معينة يا آنسة، لكني لا أظن أبداً أنك توافقين على الإجابة عليها.

- إذن يبدو من العبث أن تحضرني إلى هنا.

تحسس بوارو بإصبعه حاجز السفينة الخشبي وهو يقول: أنت معتادة على حمل أعبائك بنفسك يا آنسة، وقد تستطيعين عمل هذا لفترة طويلة، لكن التوتر والإرهاق سيزدادان كثيراً. وبالنسبة لك فإن التوتر والإجهاد يزدادان عندك بشكل كبير.

- لا أعرف عن أي شيء تتحدث.

- إنني أتحدث عن الحقائق يا آنسة، الحقائق الواضحة الصلبة المُرّة. لنضع النقاط على الحروف ونقول ما نريد بجملة واحدة قصيرة: إن أمك مدمنة على الخمر يا آنستي.

لم تردّ روزالي عليه، فتحت فمها ثم أغلقته ثانية، وبدت للحظة في حيرة من أمرها.

- لا حاجة بك لأن تتكلمي يا آنسة، سأتولى كل الحديث. لقد لفتت انتباهي في أسوان العلاقة بينكما؛ فرغم ملاحظات أمك وانتقاداتها المعلَنة لاحظت مباشرة أنك كنت تريدين حمايتها من شيء ما، وسرعان ما عرفت ما هو ذلك الشيء. كنت أعرف ذلك قبل أن ألتقي والدتك ذات صباح وهي في حالة من السكر الذي لا يخفى، وحالتها -كما أرى- واحدة من حالات الشرب السرّي، وهي أكثر الحالات صعوبة من حيث التعامل معها. كنت تتعاملين مع تلك الحالة بشجاعة وتصميم، ومع ذلك فهي تملك كل مكر المدمنين، وقد استطاعت تأمين مصدر سري يزوّدها بالشراب، وقد عملَت على المحافظة على السر ونجحت في إبقاء الأمر سراً عنك. وسوف لن تفاجئني حقيقة أنك لم تكتشفي المكان الذي

تخفي فيه الكحول إلاّ بالأمس فقط، وهكذا ففي الليلة الماضية، وحالما غطّت أمك في نوم عميق، تسللت إلى الخارج حاملة معك زجاجات الخمر، وذهبت إلى الجانب الآخر من السفينة (لأن الجانب الذي تقيمون فيه مقابل للضفة) ثم ألقيت بها في النيل.

سكت قليلاً ثم قال: هل أنا على حق أم لا؟

تكلمت روزالي بانفعال مفاجئ قائلة: نعم، أنت على حق تماماً. أظن أنني كنت غبية لأنني لم أعترف بذلك منذ البداية... لكني لم أكن أريد أن يعرف الجميع بهذا، إذ كان الخبر سينتشر بين ركاب السفينة جميعاً، وقد بدا ذلك سخيفاً، سخيفاً جداً. أقصد أنني...

أكمل بوارو الجملة نيابة عنها: سخيفاً جداً أن تحوم حولك الشكوك في ارتكاب الجريمة؟

أومأت روزالي بالموافقة ثم صرخت من جديد: لقد حاولت جاهدة أن... أن أحجب الأمر عن الجميع، والحق أن ذلك ليس خطأها. لقد شعرَت بالإحباط لأن كتبها لم تعد تَلقى رواجاً، جرحها ذلك وآذاها بشكل فظيع، ولذلك بدأت تشرب. ولم أعرف لزمن طويل سبب مزاجها وحالتها الغريبة، وعندما اكتشفت الحقيقة حاولت أن أوقفها، فكنت تراها طبيعية لفترة ثم لا تلبث أن تعود فجأة لتشرب من جديد، وقد حدثت شجارات ومعارك مع الناس. كان شيئاً مخيفاً، وقد اضطررت إلى البقاء حذرة دوماً وأراقبها لكي أمنعها. ثم بدأت تكرهني لعملي هذا... لقد انقلبت عليّ تماماً، وأحسب أنها تكاد تحقد عليّ أحياناً.

قال بوارو: يا لك من طفلة مسكينة!

التفتت إليه وقالت بحماسة: لا تأسف عليّ، لا تكن لطيفاً... من الأسهل بالنسبة لي أن لا تكون.

ثم تنهدت تنهيدة طويلة حزينة وقالت: إنني متعبة جداً، متعبة جداً جداً.

- أعرف.

- يراني الناس فظيعة نكدة ونزقة سيئة المزاج، لا أستطيع منع نفسي من ذلك. لقد نسيت كيف أكون... كيف أكون لطيفة.

- هذا ما قلته لك قبل قليل. لقد حملتِ هذا العبء بنفسك لفترة طويلة.

قال روزالي ببطء: أشعر بالراحة عندما أتحدث عن هذا، لقد... لقد كنت دائماً طيباً معي يا سيد بوارو، وأخشى أن أكون قد أسأت التصرف معك كثيراً.

- إن مراسم الأدب ليست ضرورية بين الأصدقاء.

عاد الارتياب فجأة إلى وجهها وقالت: هل ستخبر الجميع؟ أظن أنك ملزم بذلك بسبب تلك الزجاجات التي ألقيتها في الماء.

- لا، لا، ليس هذا ضرورياً. فقط أخبريني بما أريد معرفته: متى كان ذلك بالضبط؟ هل كان في الساعة الواحدة وعشر دقائق؟

- أظن أنه بحدود ذلك الوقت، لا أتذكر بالضبط.

- والآن أخبريني يا آنسة: لقد رأتك الآنسة فان شويلر، فهل رأيتها أنتِ؟

هزت روزالي رأسها وقالت: لا، لم أرها.

- قالت إنها أطلّت من باب كابينتها.

- لا أظن أنني كنت سأراها؛ لقد نظرتُ فقط إلى ظهر السفينة ثم رميت ما أحمله في النهر.

أومأ بوارو وقال: وهل رأيت أي إنسان... أي إنسان عندما نظرت أسفل السفينة؟

سكتت روزالي، سكتت فترة طويلة، وكانت عابسة وكأنها تفكر ملياً. وفي نهاية الأمر هزّت رأسها وقالت بحزم: لا، لم أرَ أي أحد.

أومأ هيركيول بوارو برأسه ببطء، لكن عينيه كانتا مثقلتين بالهموم.

* * *

الفصل العشرون

بدأ الركاب بالتوافد إلى صالة الطعام فُرادى وأزواجاً بطريقة لا عجلة فيها، فقد بدا أن الشعور السائد هو أن الإقدام على الطعام بلهفة في مثل هذا الظرف يوحي بتبلد وقسوة غير حميدة. وهكذا جاؤوا الواحد تلو الآخر ليجلسوا إلى موائدهم بأسلوب يكاد يكون اعتذارياً.

وصل تيم أليرتون بعد والدته ببضع دقائق. بدا في مزاج سيء تماماً وقال متذمراً: أتمنى لو أننا لم نأتِ في هذه الرحلة المشؤومة.

هزت السيدة أليرتون رأسها بأسف وقالت: آه، وكذلك أنا يا عزيزي. تلك الفتاة الجميلة! فظيع أن يفكر المرء أن بوسع أحد أن يقتلها بمثل هذا الدم البارد. يبدو هذا فظيعاً بالنسبة لي، وتلك الفتاة المسكينة هي الأخرى.

- نعم، إن قلبي يتألم لها؛ فهي تبدو في غاية البؤس والتعاسة.

قال تيم بقسوة وهو يأخذ قطعة من الزبدة: لعل ذلك يعلّمها أن لا تتجول عابثة بالأسلحة كأنها ألعاب.

- أظن أنها لم تنل تربية صحيحة.

- آه، بالله عليك يا أمي! لا تذهبي بعيداً في تناول الأمر بمنطق الأمهات.

- أنت في مزاج سيء جداً يا تيم.

- نعم، ومَن لا يكون كذلك؟

لا أرى سبباً يدفعك إلى النكد. إن الأمر لا يستحق إلاّ مشاعر الحزن العميق.

ردّ عليها تيم بنكد: أنت تتكلمين من وجهة نظر رومنسية! إن ما لا تدركينه -كما يبدو- هو أن ورود اسم المرء في قضية قتل أمر ليس فيه مزاح.

بدت السيدة أليرتون وقد فوجئت بعض الشيء وقالت: ولكن...

- نعم، هكذا هو الأمر. في هذه المسألة كل شخص على ظهر هذه السفينة التعيسة واقع تحت الشبهة: أنت وأنا والبقية كلهم.

اعترضت السيدة أليرتون قائلة: أظن أن هذا صحيح من الناحية الفنية، لكنه سخيف عملياً!

- لا شيء سخيف عندما يتعلق الأمر بجريمة قتل! قد تجلسين هنا يا عزيزتي وكلّك براءة وطهارة واستقامة، لكن رجال الشرطة في الشلال أو في أسوان لن يفهموك على ظاهرك.

- ربما ستظهر الحقيقة قبل أن نصل إلى هناك.

- وكيف لها أن تظهر؟

- السيد بوارو قد يكتشفها.

- ذاك العجوز الدجّال؟ لن يكتشف شيئاً، إنه مجرد توليفة عقيمة من كلام وشوارب.

- حسناً يا تيم، ربما كان ما تقوله صحيحاً، ولكن حتى في هذه الحالة فإن علينا المضي في هذه الرحلة اضطراراً، ولذلك

ربما كان الأفضل هو أن نقرر تقبّل الأمر وخوضه بقدر ما نستطيع من فرح وتقبل.

ولكن المزاج السيء لابنها لم يتلاشَ، بل قال: وأمامنا أيضاً قضية ضياع عقد اللؤلؤ.

- عقد لينيت؟

- نعم، يبدو أن أحدهم قد سرقه.

- أظن أن ذلك كان هو الدافع إلى الجريمة.

- ولماذا يكون هو الدافع؟ أظنك تخلطين بين أمرين مختلفين تماماً.

- من قال لك إن العقد مفقود؟

- فيرغسون، علم بذلك من صديقه الجلف الذي يعمل في غرفة المحركات، والذي علم بذلك من الخادمة.

قالت السيدة أليرتون: كان عقداً جميلاً.

جلس بوارو على المائدة وهو ينحني احتراماً للسيدة أليرتون، قال: لقد تأخرتُ قليلاً.

أجابته السيدة أليرتون: أظن أنك كنت مشغولاً.

- نعم، كنتُ مشغولاً جداً.

- هل إصابة السيد دويل شديدة؟

- نعم، إنها إصابة خطيرة. الدكتور بيسنر مستعجل في الوصول إلى أسوان لتصوير ساقه بالأشعة وإخراج الرصاصة منها، لكنه يأمل بأن لا تحدث إعاقة دائمة.

- مسكين سيمون! كان بالأمس فقط يبدو ولداً سعيداً ومع

كل شيء يريده في هذه الدنيا، والآن ها هي زوجته الجميلة قد قُتلت وهو نفسه مُستَلْقٍ على السرير لا حول له ولا قوة. ومع ذلك فإنني أرجو...

عندما سكتت سألها بوارو: ماذا ترجين يا سيدتي؟

- أرجو أن لا يكون قد غضب كثيراً من تلك الطفلة المسكينة.

- الآنسة جاكلين؟ على العكس تماماً، كان قلقاً جداً عليها.

ثم التفت إلى تيم وقال: هذه مشكلة سيكولوجية صغيرة كما تعلم. كان غاضباً جداً عندما كانت الآنسة جاكلين تتبعهما من مكان إلى آخر طوال الوقت، أما الآن وقد أطلقت عليه النار عملياً وأصابته إصابة قد تجعله أعرج طوال حياته فيبدو أن غضبه كله قد تبخر. هل تستطيع فهم ذلك؟

قال تيم متأملاً: نعم، أظن أن بإمكاني ذلك. الأمر الأول جعله يشعر وكأنه أحمق.

أومأ بوارو وقال: كلامك صحيح، كان تصرفها يُحرج رجولته.

- ولكن إذا نظرت إلى الأمر الآن من زاوية أخرى فإنك ترى أنها هي التي جعلت من نفسها أضحوكة، الجميع ضدها، وهكذا...

أنهت السيدة أليرتون الجملة بقولها: يمكنه أن يتسامح معها إلى أبعد حد. يا للرجال من أطفال!

قال تيم: هذه العبارة هي إحدى العبارات الخاطئة جداً التي ترددها النساء عن الرجال.

ابتسم بوارو، ثم قال مخاطباً تيم: قل لي، الآنسة جوانا ساوثْوُد هي ابنة عم السيدة دويل، هل تشبه السيدة دويل؟

- لقد أخطأت بعض الشيء يا سيد بوارو، إنها ابنة عمنا نحن وصديقة لينيت.

- آه، معذرة، لقد اختلط الأمر عليّ. إنها فتاة تظهر كثيراً في أخبار الصحف، وقد كنت مهتماً بها لبعض الوقت.

سأله تيم بحدة: لماذا؟

وقف بوارو لينحني لجاكلين دي بيلفورت التي كانت قد دخلت لتوها ومرت من جانب طاولتهم في طريقها إلى طاولتها، كانت وجنتاها محمرّتين وعيناها لامعتين وكانت أنفاسها لاهثة، وعندما عاد إلى كرسيه بدا بوارو وكأنه قد نسي سؤال تيم، قال بكلمات غامضة: لا أدري إن كانت جميع السيدات ممّن يملكن جواهر ثمينة بنفس إهمال السيدة دويل؟

سألته السيدة أليرتون: إذن فالخبر صحيح أن عقدها قد سُرق؟

- من قال لك ذلك يا سيدتي؟

تطوع تيم بالإجابة قائلاً: فيرغسون قال ذلك.

أومأ بوارو ثم قال: إنه صحيح تماماً.

قالت السيدة أليرتون بانفعال: أظن أن ذلك سيجلب المتاعب لنا جميعاً، تيم يقول ذلك.

قطب تيم حاجبيه، لكن بوارو التفت إليه وقال: آه، ربما كانت لك تجربة سابقة؟ هل سبق أن كنت في بيت وقعت فيه سرقة؟

قال تيم: أبداً.

- آه، نعم يا عزيزي؛ كنت في بيت بورتار لينغتون عندما سُرقت جواهر تلك المرأة الفظيعة.

- أنت دائماً تفهمين الأشياء بشكل خاطئ تماماً يا أمي. أنا كنت هناك عندما اكتشفت تلك المرأة أن الجواهر التي كانت تلبسها حول عنقها الغليظة كانت زائفة! وقد حدث استبدالها بالجواهر الحقيقية قبل ذلك بأشهر، والواقع أن كثيراً من الناس قالوا إنها هي التي فعلت ذلك بنفسها!

- أظن أن جوانا هي التي قالت ذلك.

- جوانا لم تكن هناك.

- لكنها كانت تعرف العائلة جيداً، كما أن من عادتها قول مثل هذا الكلام.

- أنت تتحاملين على جوانا دائماً يا أمي.

أسرع بوارو لتغيير مجرى الحديث فقال إنه عاقد العزم على شراء أشياء كثيرة من أحد محلات أسوان، ثم سأل: يقولون إنهم يستطيعون إرسالها إلى عنواني وإن الرسوم لن تكون مرتفعة جداً، هل تظنين أنهم سيوصلونها لي؟

قالت السيدة أليرتون إنها سمعت أن كثيراً من الناس قد أرسلوا مشترياتهم إلى إنكلترا مباشرة من مثل هذه المحلات وإن كل شيء قد وصل بأمان.

- جيد، إذن سأفعل ذلك. لكن المشكلة التي تصادف المرء عندما يكون مسافراً في الخارج هي وصول الطرود إليه من إنكلترا. هل لديك خبرة في ذلك؟ هل وصلك أي طرد منذ أن غادرت إنكلترا؟

- لا أظن أننا استلمنا شيئاً، أليس كذلك يا تيم؟ إنك تستلم

كتباً أحياناً، ولكن لا توجد في الكتب أية مشكلة بالطبع.

- آه، نعم، الكتب مسألة مختلفة.

تم تقديم الحلوى عقب الطعام، وبعد ذلك وقف الكولونيل ريس دون أن تحذير مسبق وألقى كلمته. عرج على ظروف الجريمة وملابساتها وأعلن عن سرقة عقد اللؤلؤ، ثم قال إنه سيشرع في عملية البحث عنه في السفينة وإنه سيكون شاكراً لو ظل جميع الركاب جالسين في الصالة لحين اكتمال التفتيش، ثم بعد ذلك إن وافق الركاب (وهو متأكد أنهم سيوافقون) فإنهم سيخضعون للتفتيش بدورهم.

تسلل بوارو بخفّة ووقف إلى جانبه، وسُمعت همهمات وتذمّرات في الصالة، كانت الأصوات مرتابة ساخطة ومنفعلة. همس بوارو ببعض كلمات في أذن ريس عندما كان الأخير على وشك مغادرة صالة الطعام، فأصغى ريس ثم أومأ موافقاً وأشار إلى أحد المضيفين، أسرّ له ببضع كلمات ثم خرج مع بوارو إلى ظهر السفينة وأغلق الباب وراءه.

وقفا قرب حاجز السفينة لبعض الوقت، حيث أشعل ريس غليونه وقال: ليست فكرة سيئة هذه التي اقترحتَها. سنرى في الحال إن كان فيها أي شيء، سأعطيهم ثلاث دقائق.

فُتح باب صالة الطعام وجاء المضيف الذي أسرّ له ريس ببعض الكلمات فقال: تماماً يا سيدي، هناك سيدة تقول إن من الضروري أن تتكلم معك على الفور ودون أي تأخير.

ظهرت علامات الرضا على وجه ريس وقال: آه، ومن هي؟

- الآنسة باورز يا سيدي، ممرضة المستشفى.

ظهرت على وجه ريس بعض علامات الدهشة وقال: أحضرها

إلى غرفة التدخين، لا تدع أحداً غيرها يغادر المكان.

- نعم يا سيدي، سيتولى المضيف الآخر هذا العمل.

ثم عاد إلى قاعة الطعام. وذهب بوارو وريس إلى غرفة التدخين. قال ريس: باورز، إيه؟

ما كادا يدخلان غرفة التدخين حتى ظهر المضيف مصطحباً الآنسة باورز، فأشار إليها بالدخول وغادر هو مغلقاً الباب وراءه. نظر الكولونيل ريس إليها متسائلاً: حسناً يا آنسة باورز؟ ما الأمر؟

بدت الآنسة باورز رابطة الجأش وهادئة كعادتها، ولم تظهر أي انفعال وهي تقول: أرجو المعذرة يا كولونيل ريس، ولكن بموجب الظروف التي حدثت رأيت أن أفضل شيء أعمله هو الحديث معك على الفور.

فتحت حقيبتها السوداء الصغيرة وقالت: وأعيد لك هذا.

ثم أخرجت عقد اللؤلؤ من حقيبتها ووضعته على الطاولة.

* * *

الفصل الحادي والعشرون

إذا كانت الآنسة باورز من اللاتي يطيب لهن اصطناع المواقف المثيرة فإنها بعملها هذا قد جوزيت جزاء وافياً. ارتسمت على وجه الكولونيل ريس علامات الدهشة والذهول وهو يأخذ العقد عن الطاولة، ثم قال: هذا غريب جداً، هل تشرحين لنا ما حدث يا آنسة باورز؟

- بالطبع، هذا ما جئت من أجله.

جلست الآنسة باورز على كرسي ثم أضافت تقول: كان من الطبيعي أن أجد صعوبة في تحديد أفضل تصرف ينبغي لي اتّباعه، إذ إن العائلة ستعارض بالطبع أيّ احتمال لحدوث فضيحة من أي نوع، وهم يثقون في كتماني للأسرار، ولكن الظروف غريبة جداً بحيث لا تترك لي أي خيار، وعندما لا تجدون في الكابينات شيئاً ستكون الخطوة التالية هي تفتيش الركاب، وإذا ما وُجد عقد اللؤلؤ بين أغراضي فسوف يكون موقفاً محرجاً جداً وستظهر الحقيقة على كل حال.

- وما هي هذه الحقيقة بالضبط؟ هل أخذت هذا العقد من غرفة السيدة دويل؟

- آه، لا يا كولونيل ريس، لم آخذه بالطبع. الآنسة فان شويلر هي التي أخذته.

- الآنسة فان شويلر؟!

- نعم، إنها لا تملك أن توقف نفسها؛ إنها تأخذ الأشياء ولا سيما الجواهر، وهذا هو السبب الحقيقي لمرافقتي لها بشكل دائم. الأمر لا يتعلق بصحتها أبداً بل بسبب هذه النزوة الغريبة. إنني أظل أراقبها مراقبة قريبة، ولحسن الحظ لم تحدث أية مشكلة منذ بدأت أرافقها، فهي دائماً تخفي الأشياء التي تأخذها في المكان نفسه حيث تلفه في أحد الجوارب مما يجعل أمر اكتشافه سهلاً، فأنا أفتّش الجوارب كل صباح، ونومي خفيف بالطبع وأنام دائماً في الغرفة المجاورة لغرفتها، وعندما نكون في فندق فإن الباب الذي يصل الغرفتين معاً يكون مفتوحاً ولذلك فإنني أسمعها إذا ما حاولت مغادرة الغرفة، فأذهب إليها وأقنعها بالعودة إلى سريرها. لقد كان الأمر أكثر صعوبة على ظهر السفينة، لكنها في العادة لا تقوم بهذا العمل في أثناء الليل. إن نزوتها أقرب إلى أخذ الأشياء التي تراها متروكة في المكان، واللؤلؤ يجذب انتباهها كثيراً بالطبع.

توقفت الآنسة باورز عن الكلام، وقال ريس: وكيف اكتشفت سرقة العقد؟

- كان مخبّأ داخل جواربها هذا الصباح، وعرفت لمَن هو العقد بالطبع لأنني رأيته على صاحبته كثيراً. ذهبت مباشرة لإعادته على أمل أن لا تكون السيدة دويل قد استيقظت من نومها بعد وقبل أن تكتشف فقدانه، لكني رأيت مضيفاً يقف خارج الباب وأخبرني بجريمة القتل وأن لا أحد يمكنه الدخول. وهكذا -كما ترى- كنت في مأزق كبير، ومع ذلك كنت آمل أن أعيده إلى الكابينة خلسة فيما بعد قبل أن يكتشفوا اختفاءه. أستطيع أن أؤكد لك بأنه مرّ عليّ صباح عصيب وأنا أتساءل عن أفضل عمل أقوم به. إن عائلة فان شويلر مغلقة جداً على نفسها وشديدة التدقيق والتحرز، وإذا ما نُشر هذا الخبر في الصحف فسوف يكون عاراً عليها. لكن هذا لن

يكون ضرورياً، أليس كذلك؟

بدت الآنسة باورز قلقة فعلاً، فقال الكولونيل ريس بحذر: هذا يعتمد على الظروف، ولكننا سنبذل جهدنا في سبيل مصلحتكم بالطبع. ماذا تقول الآنسة فان شويلر بخصوص هذا الأمر؟

- آه، ستنكره بالطبع. دائماً هكذا، تقول إن شخصاً شريراً هو الذي وضعه هناك. إنها لا تعترف أبداً بسرقتها لأي شيء، وهذا ما يجعلها تعود إلى سريرها كالحمل الوديع عندما تمسك بها في الوقت المناسب. ستقول بأنها خرجت لتنظر إلى القمر... أو شيئاً من هذا القبيل.

- هل تعرف الآنسة روبسون شيئاً عن هذا المرض؟

- لا؛ أمها تعرف أما هي فإنها فتاة بسيطة جداً، وقد رأت أمها أن من الأفضل أن لا تعرف عن ذلك شيئاً.

قال بوارو: شكراً لك يا آنسة على مجيئك لنا على الفور.

وقفت الآنسة باورز وقالت: أرجو أن أكون قد تصرفت التصرف الصحيح.

- ثقي بأنك فعلت الصحيح.

- كما ترى فإنه مع وجود جريمة قتل أيضاً...

قاطعها الكولونيل ريس قائلاً بصوت هادئ: آنسة باورز، سأسألك سؤالاً وأرجو أن تجيبني عليه بصدق وأمانة: إن الآنسة فان شويلر مضطربة التفكير إلى حد الإصابة بهوس السرقة، فهل لديها أيضاً هوس القتل؟

كانت إجابة الآنسة باورز فورية: يا إلهي! لا، لا شيء من هذا القبيل. يمكنك أن تثق بكلامي تماماً، إن السيدة العجوز لا تستطيع

إيذاء ذبابة.

كان في إجابتها من التأكيد والجزم ما نفى الحاجة إلى قول المزيد، ومع ذلك فقد أقحم بوارو سؤالاً معتدلاً: هل تعاني الآنسة فان شويلر من الصمم؟

- الواقع أنها كذلك يا سيد بوارو، ولا يعني هذا أنك تلحظه بأي حال من الأحوال وأنت تتكلم معها، لكنها في مرات كثيرة لا تسمعك عندما تدخل غرفتها مثلاً... أشياء كهذه.

- هل تعتقدين أنها تستطيع أن تسمع أي شخص يتحرك في كابينة السيدة دويل وهي الغرفة المجاورة لغرفتها؟

- آه، لا أعتقد هذا أبداً. إن السرير في الجانب الآخر من الكابينة، حتى إنه ليس قريباً من الجدار الحاجز بين الكابينتين. لا، لا أظن أنها كانت ستسمع أي شيء.

- شكراً لك يا آنسة باورز.

قال ريس: أرجو أن تعودي الآن إلى صالة الطعام وتنتظري مع الآخرين.

فتح لها الباب وراقبها وهي تنزل الدرج وتدخل الصالة، ثم أغلق الباب وعاد إلى الطاولة. كان بوارو قد أمسك بعقد اللؤلؤ، وقال ريس عابساً: حسناً، لقد جاء ردّ الفعل هذا سريعاً جداً. إنها شابة هادئة وذكية وقادرة تماماً على حجب المعلومات عنا، وهي مستعدة للتمادي في ذلك إن كان فيه مصلحتها. ماذا عن الآنسة ماري فان شويلر الآن؟ لا أظن أننا نستطيع استبعادها من دائرة المشبوهين، فلعلها هي التي قتلت الفتاة حتى تحصل على العقد. لا نستطيع الاعتماد على أقوال الممرضة بهذا الخصوص، فهي تبذل كل ما في وسعها من أجل العائلة.

أومأ بوارو موافقاً. كان مشغولاً بعقد اللؤلؤ وهو يجريه بين أصابعه ويرفعه لينظر إليه عن قرب. قال: أظن أن بإمكاننا اعتبار جزء من رواية السيدة العجوز لنا صحيحاً. لقد أطلّت فعلاً من كابينتها ورأت روزالي أوتربورن فعلاً، ولكني لا أظنها سمعت شيئاً أو شخصاً في غرفة لينيت دويل، بل أظن أنها كانت تطلّ برأسها من غرفتها لكي تنسلّ خارجها وتنشل العقد.

- إذن فقد كانت روزالي أوتربورن هناك؟

- نعم، كانت تلقي بزجاجات خمر تخص والدتها في الماء.

هز الكولونيل ريس رأسه بأسف وقال: إذن فهذه هي قصة خبطة الماء! أمر صعب على فتاة صغيرة.

- نعم، لم تكن حياتها سعيدة تلك الفتاة المسكينة روزالي.

- إنني سعيد لاتضاح هذه النقطة. ألم تشاهد أو تسمع شيئاً؟

- سألتها ذلك، وأجابتني -بعد سكوت دام أكثر من عشرين ثانية- بأنها لم ترَ أحداً.

بدا ريس منتبهاً يقظاً وقال: آه؟

- نعم، إنه أمر يوحي بشيء.

- إذا كانت لينيت دويل قد قُتلت في الساعة الواحدة وعشر دقائق تقريباً، أو في أي وقت بعد ذهاب الجميع إلى النوم فإنه يبدو لي أمراً مذهلاً أن لا يسمع أحدٌ صوت الطلقة. صحيح أن مسدساً صغيراً كهذا لا يُحدث صوتاً عالياً جداً، إلاّ أن السفينة تكون هادئة جداً في مثل ذلك الوقت مما يجعل أي صوت مسموعاً، حتى لو كان فرقعة صغيرة. لكني بدأت الآن أفهم أكثر، فالكابينة المقابلة لكابينتها لم تكن مشغولة لأن زوجها كان في كابينة الدكتور بيسنر، أما التي قبلها فكانت تشغلها الآن فان شويلر وهي صمّاء. إن هذا

يترك فقط...

سكت قليلاً ونظر إلى بوارو متوقعاً منه ردّاً، فأومأ بوارو برأسه وقال: الكابينة المقابلة لها على الجانب الآخر من السفينة، أي كابينة بيننغتون. يبدو أننا نعود إلى بيننغتون دائماً.

- سنعود إليه على الفور بعد أن نتخلى عن سياسة اللطف في التعامل معه! آه، نعم إنني أعِدُ نفسي بتلك المتعة.

- وفي غضون ذلك من الأفضل لنا أن نواصل بحثنا وتفتيشنا، فما زال عقد اللؤلؤ عذراً مناسباً للتفتيش حتى بعد إعادته لأن الآنسة باورز لن تعلن هذه الحقيقة.

رفع بوارو عقد اللؤلؤ وقرّبه إلى الضوء مرة أخرى وقال: آه، هذا اللؤلؤ!

أخرج لسانه ولعق حبات اللؤلؤ، حتى إنه حاول بكل حذر عَجْمَ إحداها بين أضراسه، ثم تنهد وألقى العقد على الطاولة وهو يقول: ها نحن أمام المزيد من التعقيدات يا صديقي. أنا لست خبيراً بالأحجار الكريمة لكنني تعاملت معها كثيراً خلال عملي، وأنا متأكد تقريباً مما أقوله: هذا العقد مجرد تزييف ذكي للعقد الحقيقي!

*** * ***

الفصل الثالث والعشرين

راح الكولونيل ريس يشتم ويسبّ، ثم رفع عقد اللؤلؤ وقال: هذه القضية تزداد تعقيداً أكثر فأكثر! أرجو أن لا تكون قد أخطأت؟ إنها تبدو لي لآلئ حقيقية.

- إنها مقلدة تقليداً جيداً، نعم.

- إلى أين يقودنا هذا؟ أظن أن لينيت دويل لم تتعمد صنع عقد مزيف لتحضره معها إلى هنا لغرض السلامة؟ كثير من النساء يفعلن ذلك.

- أظن أنه لو كان الأمر كذلك فإن زوجها سيعرف بالأمر.

- ربما لم تخبره.

هز بوارو رأسه غير مقتنع وقال: لا، لا أظن ذلك. لقد كنت معجباً بعقد اللؤلؤ الذي كانت ترتديه السيدة دويل في أول أمسية التقيتها بها في هذه السفينة؛ لمعان حبات اللؤلؤ وبريقها الرائع... أنا متأكد أنها كانت تلبس العقد الحقيقي في ذلك الوقت.

- هذا يضعنا أمام احتمالين: الأول أن الآنسة فان شويلر سرقت العقد المزيف فقط بعد أن قام شخص آخر بسرقة العقد الحقيقي، والثاني هو أن تكون قصة هوس السرقة كلها مجرد نسج خيال، فإمّا أن الآنسة باورز لصة واخترعت هذا القصة بسرعة ثم أبعدت الشبهات بتسليمها العقد المزيف، أو أن المجموعة كلها مشتركة في

هذه العملية، وهذا يعني أنهم عصابة من سارقي الجواهر الأذكياء يتنكرون تحت ستار عائلة أمريكية منغلقة.

قال بوارو: نعم، من الصعب الجزم، لكني سأوضح لك شيئاً واحداً: إن عمل نسخة مضبوطة ودقيقة من عقد اللؤلؤ من أجل انتهاز فرصة لخداع السيدة دويل واستبدال العقد الحقيقي به هو عمل فني بارع جداً ولا يمكن عمله بسرعة. أيّاً كان الذي قلّد هذه اللآلئ فلا بد أن يكون قد حصل على فرصة جيدة لتفحّص العقد ودراسته.

نهض ريس قائلاً: من غير المفيد المضي في التخمين أكثر من ذلك. دعنا نواصل عملنا، يجب أن نجد العقد الأصلي، وفي الوقت نفسه سنبقي أعيننا مفتوحة.

* * *

قاما بتفتيش الكبائن في الطابق السفلي. كانت كابينة السيد ريشيتي تحتوي على عدة كتب أثرية بلغات مختلفة وتشكيلة منوعة من الملابس ومحاليل الشعر المعطّرة ورسالتين شخصيتين، واحدة من فريق للتنقيب عن الآثار في سوريا وواحدة من إحدى أخواته في روما، وكما يبدو كانت مناديله كلها من الحرير الملون.

ثم ذهبا إلى كابينة فيرغسون. كان فيها بعض الكتب الشيوعية وكثير من الصور، ولم تكن أغراضه الشخصية كثيرة؛ كانت معظم ملابسه الخارجية ممزقة قذرة، أمّا ملابسه الداخلية فكانت من نوعية فاخرة وكانت مناديله من الكتان الغالي الثمن.

قال بوارو: هذه مفارقات مثيرة للاهتمام!

أومأ ريس موافقاً وقال: غريب أن لا توجد أوراق شخصية أو رسائل.

- نعم، وهو أمر يدعونا إلى التفكير. شاب غريب الأطوار هذا السيد فيرغسون!

كان ينظر متأملاً إلى ختم بشكل خاتم، وكان يمسكه بيده قبل أن يعيده إلى الدرج حيث وجده.

ثم ذهبا إلى الكابينة التي تشغلها لويز بورجيه، وكانت الخادمة تتناول طعامها عادة بعد الركاب الآخرين ولكن ريس أرسل مضيفاً يخبرها بأن تنضم إلى الآخرين. التقاهما المضيف وقال: أنا آسف يا سيدي، لم أستطع العثور على الفتاة في أي مكان ولا أدري إلى أين ذهبت.

نظر ريس داخل الكابينة، ولم يكن فيها أحد. بعد ذلك صعدا إلى السطح ونظرا إلى ميمنة السفينة. كانت أول كابينة هي التي يشغلها جيمس فانثورب، وكانت تلك الكابينة مرتبة ترتيباً لا يوصف، فقد كان السيد فانثورب يحب السفر خفيفاً، وكانت أمتعته كلها من نوعية جيدة.

قال بوارو متأملاً: لا رسائل! إن صاحبنا السيد فانثورب حريص على إتلاف رسائله.

ثم ذهبا إلى كابينة تيم أليرتون المجاورة. إلى جانب ملابسه الشخصية كانت توجد مخطوطة لم تكتمل كان يخربش فوقها ويكتب ملاحظات، ومسبحة ضخمة حبّاتها من الخشب المزيَّن بنقوش غريبة، كما كانت توجد مجموعة كبيرة من الكتب معظمها حديثة النشر، بالإضافة إلى كمية من الرسائل ملقاة بإهمال في أحد الأدراج. ألقى بوارو -الذي لم يكن يتورع أبداً عن قراءة رسائل الآخرين- نظرة سريعة عليها، ولاحظ أنه لم يكن بينها أية رسائل من جوانا ساوثود. التقط من الدرج علبة صمغ وتحسّسها بإصبعه وهو شارد الذهن لبعض الوقت ثم قال: هيا نخرج.

لاحظ ريس وهو يعيد محتويات أحد الأدراج إلى مكانها بسرعة قائلاً: لا توجد مناديل من النوعية الرخيصة.

كانت غرفة السيدة أليرتون هي التالية. كانت نظيفة بالغة الترتيب وتفوح منها رائحة عطر الخزامى القديم. انتهى تفتيش الرجلين للغرفة بسرعة، وقال ريس وهما يخرجان منها: إنها امرأة لطيفة.

الكابينة التالية كانت تلك التي يستخدمها سيمون دويل لتغيير ثيابه. كانت حاجاته الضرورية وملابس نومه ولوازم الحمّام قد نُقلت إلى كابينة الدكتور بيسنر، ولكن بقية أغراضه ما زالت هناك: حقيبة من الجلد كبيرة الحجم وحقيبة الأدوات الشخصية، وكان في خزانة الحائط بعض الثياب.

قال بوارو: سنبحث هنا يا صديقي ونفتش تفتيشاً دقيقاً، فربما أخفى اللص عقد اللؤلؤ هنا.

- هل ترى ذلك ممكناً؟

- نعم، بالطبع. فكر! إن اللص -أيّاً كان- لا بد أن يعرف أننا سنقوم بالتفتيش عاجلاً أو آجلاً، ولذلك فإن إخفاءه في غرفته سيكون عملاً طائشاً، والغرف العامة فيها صعوبات أخرى، لكن هذه كابينة رجل لا يمكن لصاحبها أن يدخلها، وإن وجد عقد اللؤلؤ هنا فإننا لن نعرف عن الحقيقة أي شيء أبداً.

لكن التفتيش الدقيق فشل في كشف أي أثر للعقد المفقود، وخرج بوارو من الغرفة منزعجاً إلى ظهر السفينة مرة أخرى.

كانت غرفة لينيت دويل قد أقفلت بالمفتاح بعد إخراج الجثة منها، لكن ريس كان يحمل المفتاح معه. ففتح الباب ودخل الرجلان. كانت الغرفة كما كانت عليه في الصباح تماماً باستثناء عدم

وجود الجثة، وقال ريس: بوارو، إن كان ثمة ما يمكن العثور عليه هنا فأرجوك أن تسرع وتجده، فأنت خير من يقوم بذلك.

- هذه المرة أنت لا تعني الجواهر يا صديقي؟

- نعم، فجريمة القتل هي الأهم. قد يكون فيها شيء أغفلته أنا هذا الصباح.

شرع بوارو في عملية البحث بهدوء ورشاقة، فجثا على ركبتيه وفحص الأرضية فحصاً شاملاً، ثم تفحص السرير وفتّش بسرعة خزانة الحائط وخزانة الأدراج، ثم ذهب إلى صندوق الثياب وفتشه وكذلك الحقيبتين الغاليتين، وتفحص حقيبة أدوات الزينة الثمينة المكسوة بطلاء من الذهب. وأخيراً التفت إلى المغسلة، كانت عليها عدة أنواع من المساحيق ومحاليل الوجه، لكن الشيء الوحيد الذي لفت انتباه بوارو كان زجاجتين صغيرتين لطلاء الأظافر، أمسكهما وأحضرهما إلى طاولة الزينة. كُتب على الزجاجة الأولى «وردي» وكانت فارغة إلاّ من قطرة أو اثنتين من سائل أحمر قاتم في قاعها، أما الأخرى وهي من نفس الحجم فقد كُتب عليها «قرمزي»، وكانت مليئة تقريباً. فتح بوارو الزجاجة الفارغة أولاً ثم المليئة وشمّها بحس مرهف.

فاحت في الغرفة رائحة عبقة، ثم أغلق الزجاجتين من جديد وهو يعبس. سأله ريس: هل توصلت إلى شيء؟

- لم نكن محظوظَين يا صديقي. لم يكن القاتل ميّالاً للمساعدة، فهو لم يترك وراءه زرّاً من أزرار قميصه أو... إذا كان الفاعل امرأة: منديلاً أو أحمر شفاه أو شيئاً من شعرها.

- زجاجة من طلاء الأظافر فقط؟

رفع بوارو كتفيه حيرة ثم قال: لا بد أن أسأل الخادمة. يوجد في

الأمر شيء، نعم، شيء صغير غريب.

- تُرى أين ذهبت هذه الفتاة الشيطانة؟

خرجا من الغرفة وأغلقا الباب وراءهما بالمفتاح وذهبا إلى غرفة الآنسة فان شويلر. هناك أيضاً كانت توجد كل مظاهر الثراء: أدوات الحمام من النوعية الراقية الثمينة، وأمتعة جيدة، وعدد معين من الرسائل الخاصة والأوراق وكلها كانت مرتبة.

الكابينة التالية هي الكابينة المزدوجة التي يشغلها بوارو، وبعدها غرفة ريس. قال الكولونيل: من غير المحتمل إخفاؤه في غرفتينا.

اعترض بوارو قائلاً: بل هذا ممكن. ذات مرة كنت أحقق في جريمة وقعت في قطار الشرق السريع، وكانت توجد مشكلة صغيرة تتعلق بثوب واسع قرمزي اللون حيث كان الثوب قد اختفى، ومع ذلك كان مؤكداً أنه في القطار. وقد وجدته، أين برأيك؟ في حقيبتي الخاصة التي كانت مقفلة! آه، كان ذلك عملاً وقحاً!

- إذن لنرَ إن كان هناك أحد قد تواقح معك أو معي هذه المرة.

لكن سارق عقد اللؤلؤ لم يكن وقحاً مع هيركيول بوارو ولا مع الكولونيل ريس. بعد ذلك ذهبا إلى مؤخرة السفينة ثم إلى الجهة الأخرى، وقاما بتفتيش دقيق لغرفة الآنسة باورز لكنهما لم يعثرا فيها على ما يريب، كانت مناديلها من الكتّان العادي وقد حيكت عليها الحروف الأولى من اسمها. ثم جاءت غرفة السيدة أوتربورن وابنتها، وهنا قام بوارو مرة أخرى بتفتيش دقيق للمكان ولكن دون جدوى.

كانت الغرفة التالية هي غرفة بيسنر. كان سيمون دويل مستلقياً

على السرير وإلى جانبه صينية فيها طعام لم يَذُق منه شيئاً. قال معتذراً: لا شهية لدي.

كان يبدو محموماً وفي حالة أسوأ مما كان عليها في وقت سابق من هذا اليوم، وقدّر بوارو قلق بيسنر واهتمامه بإيصاله إلى المستشفى في أسرع وقت ممكن حيث العلاج المناسب والأجهزة الطبية المتوفرة. شرح بوارو للمريض مهمّتهما فأومأ سيمون برأه مستحسناً الفعل، وعندما علم أن عقد اللؤلؤ قد أعادته الآنسة باورز لكن ثبت أنه عقد مزيف أبدى دهشة بالغة مما سمع.

- هل أنت واثق تماماً يا سيد دويل من أن زوجتك لم يكن لديها عقد مزيف أحضرته معها من الخارج بدلاً من العقد الحقيقي؟

هز سيمون رأسه بحزم وقال: آه، لا، أنا متأكد تماماً. كانت لينيت تحب هذه اللآلئ وكانت تلبسها في كل مكان، وقد كانت تؤمّن عليها ضد أي خطر محتمل، ولذلك أعتقد أن هذا ما جعلها مهملة بعض الشيء بخصوصها.

- إذن لا بد أن نواصل عملية التفتيش.

بدأ بفتح الأدراج فيما ذهب ريس إلى إحدى الحقائب. حدّق سيمون وقال: لا أظنكما تشكّان في أن العجوز بيسنر هو الذي سرق العقد؟

رفع بوارو كتفيه حيرة وقال: قد يكون. وما الذي نعرفه عن الدكتور بيسنر؟ لا نعرف عنه إلاّ ما يقوله هو عن نفسه.

- لكنه لا يستطيع إخفاءه هنا دون أن أراه.

- لم يكن بإمكانه إخفاء شيء اليوم دون أن تراه، لكننا لا نعرف متى حدث استبدال هذا العقد. ربما قام باستبدال العقد قبل بضعة أيام.

- لم أفكر في هذا.

لكن البحث لم يسفر عن شيء.

كانت غرفة بيننغتون هي التالية. قضى الرجلان وقتاً طويلاً وهما يفتشانهما، وقد تفحص بوارو وريس على وجه الخصوص حقيبة مليئة بالوثائق القانونية والعملية ومعظمها كانت تحتاج إلى توقيع لينيت. هز بوارو رأسه بأسى وقال: إنها تبدو واضحة وليست فيها أية شبهة، هل توافقني؟

- بالتأكيد. ولكن الرجل ليس مغفلاً؛ لو كانت توجد وثيقة يمكن أن تدينه بين هذه الأوراق (كورقة توكيل أو شيء من هذا القبيل) فإنه كان سيتأكد من إتلافها منذ البداية.

- هذا صحيح، نعم.

أخرج بوارو من الدرج العلوي لخزانة الأدراج مسدساً ثقيلاً من نوع كولت، فنظر إليه ثم أعاده وهو يقول: يبدو أن بعض الناس ما زالوا يسافرون ومعهم مسدساتهم!

- نعم، ربما كان لذلك معنى ما. ولكن لينيت دويل لم تُقتَل بمثل هذا المسدس.

سكت ريس قليلاً ثم قال: لقد فكرت في إجابة محتملة على النقطة التي أثرتها بخصوص إلقاء المسدس في الماء. لنفترض أن القاتل تركه في غرفة لينيت، ثم جاء شخص غيره وأخذه ثم ألقاه في النهر؟

- نعم، هذا محتمل وقد فكرت فيه، لكنه يفتح علينا سلسلة طويلة من الأسئلة: من هو هذا الشخص الآخر؟ وما هي مصلحته في محاولة التستر على جاكلين دي بيلفورت بأخذه المسدس؟ ما الذي كان يفعله الشخص الآخر هناك؟ الشخص الوحيد الذي نعرف أنه

ذهب ودخل الغرفة هو الآنسة فان شويلر. هل الآنسة فان شويلر هي التي أخذته؟ ولماذا تريد التستر على جاكلين دي بيلفورت؟ ثم ما هو السبب الآخر الذي يمكن التفكير فيه وراء إبعاد المسدس؟

قال ريس: ربما عرفت أن الشال شالها فارتاعت وألقت باللفافة وما فيها في الماء بناء على ذلك.

- قد تلقي الشال، ولكن هل تتخلص من المسدس أيضاً؟ ومع ذلك فأنا أوافقك على أنه حل ممكن، لكنه حل غير بارع، كما أنك لا تزال غير مدرك لنقطة تتعلق بالشال.

عندما خرجا من كابينة بيننغتون اقترح بوارو على ريس أن يفتش الأخير الكابينات المتبقية التي تشغلها جاكلين وكورنيليا وكابينتين فارغتين في المؤخرة بينما يذهب هو ليتحدث مع سيمون دويل، وهكذا عاد أدراجه إلى كابينة بيسنر.

قال سيمون: لقد كنت أفكر في الأمر، وأنا متأكد تماماً أنه كان العقد الحقيقي بالأمس.

- ولماذا هذه الفرضية يا سيد دويل؟

- لأن لينيت كانت تلعب به بأصابعها قبل العشاء وتتحدث عنه، وكانت تعرف بعض الأشياء عن اللؤلؤ، لذلك أنا واثق من أنها كانت ستعرف لو كان العقد مزيفاً.

- ولكنه كان مقلداً تقليداً ذكياً. قل لي: هل كانت السيدة دويل معتادة على أن يكون العقد بعيداً عنها؟ هل أعارته لصديقة لها على سبيل المثال؟

احمرّ وجه سيمون وظهر عليه بعض الارتباك وهو يقول: يصعب عليّ الجزم بذلك يا سيد بوارو. إنني... إنني لم أكن أعرف لينيت منذ فترة طويلة.

- آه، نعم؛ أعرف أن علاقتكما كانت سريعة.

أكمل سيمون يقول: ولذلك ما كان لي أن أعرف شيئاً كهذا، لكن لينيت كانت كريمة جداً بالنسبة لأغراضها وأظن أن من شأنها أن تفعل ذلك.

كان صوت بوارو هادئاً ناعماً جداً وهو يقول: ألم تعره -على سبيل المثال- للآنسة دي بيلفورت؟

احمرّ وجه سيمون وحاول أن يجلس منتصباً، لكنه سقط على ظهره وهو يتألم ويقول: ماذا تقصد؟ ما الذي تريد الوصول إليه؟ هل تريد القول إن جاكي هي التي سرقت العقد؟ إنها لم تسرقه، أقسم أنها لم تفعل. إن جاكي مستقيمة ومجرد التفكير في أنها سارقة أمر سخيف، سخيف جداً.

نظر بوارو إليه وعيناه تطرفان وقال: آه، لا.

ثم قال فجأة: إن اقتراحي هذا قد أثار مشكلة بالفعل.

كرّر سيمون الذي لم يتأثر بملاحظة بوارو الساخرة: جاكي مستقيمة.

تذكر بوارو صوت فتاة وهي تقول قرب النيل في أسوان: "أحب سيمون، وهو يحبني". كان قد تساءل في نفسه: أي الأقوال الثلاثة التي سمعها في تلك الليلة كان صحيحاً؟ وقد ظهر -كما بدا له- أن جاكلين هي التي اقتربت من الحقيقة أكثر.

فتح الباب ودخل ريس فقال بسرعة: لا شيء، لم نتوقع هذا... أرى أن المضيفين قادمون ومعهم التقرير حول تفتيش الركاب.

ظهر مضيف ومضيفة عند المدخل. تكلم المضيف أولاً: لا شيء يا سيدي.

- هل قام أي من الرجال بأية ضجة أو جلبة؟

- فقط الرجل الإيطالي يا سيدي، لقد اهتاج كثيراً وقال إنه خزي وإهانة... كما أنه يحمل مسدساً.

- وما هو نوع المسدس؟

- ماوزر آلي عيار ٢٥ يا سيدي.

قال سيمون: الإيطاليون سريعو الاهتياج والغضب. لقد اهتاج ريشيتي وغضب غضباً شديداً في وادي حلفا بسبب خطأ صغير يتعلق ببرقية، كان وقحاً وقاسياً مع لينيت بخصوصها.

التفت ريس إلى المضيفة. كانت امرأة ضخمة الجسم ذات حسن وقالت: لا شيء مع النساء يا سيدي، لقد قمن بجلبة وضجة كبيرة ما عدا السيدة أليرتون التي كانت طيبة جداً ولطيفة. لا توجد علامة تدل على عقد اللؤلؤ، وبالمناسبة فإن الآنسة روزالي أوتربورن كانت تحمل مسدساً صغيراً في حقيبتها.

- وما نوعه؟

- إنه مسدس صغير جداً يا سيدي، مقبضه مزخرف بالعاج كأنه لعبة.

حملق ريس إليها وقال: تباً لها من قضية! كنت أظن أننا برّأنا ساحتها. والآن... هل تحمل كل الفتيات في هذه السفينة مسدسات؟!

ثم رمى بسؤاله إلى المضيفة: هل ظهر عليها أي ردّ فعل عندما اكتشفت وجوده معها؟

هزت المرأة رأسها وقالت: لا أظن أنها لاحظت. كنت أدير لها ظهري عندما كنت أفتش الحقيبة.

- ومع ذلك لا بد أنها عرفت أنك رأيته. آه، إنه يحيرني. وماذا بخصوص الخادمة.

- لقد بحثنا في جميع أجزاء السفينة يا سيدي، ولم نستطع العثور عليها في أي مكان.

- ما هذا؟

- خادمة السيدة دويل، لويز بورجيه... لقد اختفت.

- اختفت؟

قال ريس بتأنّ: ربما سرقت عقد اللؤلؤ. إنها الوحيدة التي توفرت لها فرصة لعمل نسخة مزيفة منه.

قال سيمون: وعندما اكتشفت أنكم تبحثون عنه ألقت بنفسها في الماء؟

ردّ عليه ريس غاضباً: هراء، لا يمكن لامرأة أن تلقي بنفسها من فوق السفينة في وضح النهار دون أن ينتبه أحد لذلك. لا بد أنها موجودة في مكان ما في السفينة.

ثم خاطب المضيفة من جديد: متى شوهدت آخر مرة؟

- قبل نصف ساعة من قرع الجرس للغداء يا سيدي.

- على أية حال سنفتش غرفتها، فقد يدلنا هذا على شيء.

ثم انطلق ونزل إلى الطابق الأدنى وتبعه بوارو، حيث فتحا باب غرفتها ودخلا. كانت غرفة لويز بورجيه مبعثرة غير مرتبة على الرغم من أن وظيفتها ترتيب غرف الآخرين. كانت أشياء كثيرة مبعثرة وملقاة على خزانة الأدراج، وحقيبة السفر مفتوحة وتخرج منها بعض الثياب لتمنعها من الانغلاق، وكانت الملابس الداخلية ملقاة على الكراسي بإهمال. وبينما فتح بوارو بأنامله الرشيقة أدراج طاولة

التسريحة قام ريس بتفحص الحقيبة. كانت أحذية لويز مصفوفة إلى جانب السرير، كان أحدها -وهو حذاء من الجلد الأسود- ملقى في وضع غريب كأنه لا يستند إلى شيء، كان منظره غريباً بحيث لفت انتباه ريس، فأغلق الحقيبة وجثا يتفحص الأحذية، ثم صاح صيحة حادة.

سأله بوارو: ماذا هناك؟

قال ريس عابساً: إنها لم تختفِ؛ إنها هنا تحت السرير.

* * *

الفصل الثالث والعشرون

كانت جثة المرأة القتيلة (التي كانت في حياتها تُدعى لويز بورجيه) ممددة على أرضية غرفتها. انحنى الرجلان فوق الجثة، ثم انتصب ريس أولاً قائلاً: أظن أنها لم تُقتَل إلاّ منذ ساعة واحدة تقريباً. سنأتي ببيسنر لمعاينتها. لقد طُعنت في القلب، الوفاة فورية على ما أظن.

هز بوارو رأسه بأسف وارتعد قليلاً. كان الوجه الأسمر الماكر متشنّجاً كما لو كان ذلك بسبب الدهشة والغضب، فيما تقلصت الشفتان لتظهر أسنان القتيلة. انحنى بوارو مرة أخرى بهدوء وأمسك بيدها اليمنى، فظهر شيء بين أصابعها. انتزعه ورفعه أمام ريس: مزقة من ورق رقيق باهت يتخلله اللون الأحمر البنفسجي.

- هل عرفت ما هي؟

قال ريس: نقود.

- أظن أنها مزقة ورقة نقدية من فئة الألف فرنك.

- إن ما حدث واضح: كانت تعرف شيئاً وكانت تبتزّ الفاعل بمعرفتها هذه. لقد رأينا هذا الصباح أنها لم تكن صادقة تماماً فيما قالته.

صاح بوارو: لقد كنّا أغبياء حمقى! كان يجب أن نعرف وقتها، ماذا قالت؟ "وماذا يمكن أن أسمع أو أرى؟ كنت في الطابق الأسفل،

من الطبيعي أنني لو أصابني الأرق أو لو صعدت الدرج لكان ممكناً وقتها أن أرى القاتل وهو يدخل أو يخرج من غرفة سيدتي، ولكن كما قلت لك...". بالطبع، هذا ما حدث؛ لقد صعدت الدرج فعلاً، وقد رأت فعلاً شخصاً يتسلل إلى غرفة لينيت دويل أو يخرج منها، وبسبب طمعها وجشعها المجنون كذبت علينا.

أكمل ريس باشمئزاز: ولم يقربنا ذلك من معرفة قاتلها.

هز بوارو رأسه وقال: بل لقد ازدادت معرفتنا الآن؛ إننا نكاد نعرف كل شيء تقريباً، إلاّ أن ما نعرفه يبدو أمراً لا يُصدَّق، ومع ذلك لا بد أنه صحيح. إلاّ أنني لم أفهم في الوقت المناسب. يا إلهي، كم كنت مغفلاً صباح اليوم! لقد شعرنا... كلانا شعر أنها كانت تخبئ شيئاً، ومع ذلك لم ندرك ذلك السبب المنطقي: الابتزاز.

قال ريس: لا بد أنها طلبت رشوة مقابل سكوتها، طلبتها مع توجيه التهديدات، وقد أُرغم القاتل على الإذعان لذلك الطلب ودفع لها بالعملة الفرنسية. هل في هذه النقطة ما يفيدنا؟

هز بوارو رأسه وهو يتأمل ثم قال: لا أظن ذلك، فكثير من الناس يحملون معهم نقوداً احتياطية عندما يسافرون، أحياناً جنيهات وأحياناً دولارات، وفي الغالب يحملون معهم عملة فرنسية أيضاً. ربما دفع لها القاتل كل ما عنده من أوراق نقدية مختلفة. دعنا نكمل إعادة بناء ما حدث.

- جاء القاتل إلى كابينتها، فأعطاها النقود، ثم...

قال بوارو: ثم بدأت تعدّها. آه، نعم، أعرف تلك الفئة من الناس؛ إن من شأنها أن تعد النقود. وبينما كانت تعدها فقدت حذرها تماماً فقام القاتل بضربته، وبعد أن نجح في عمله هذا جمع النقود وهرب دون أن يلحظ أن طرف واحدة من هذه الأوراق النقدية قد تمزق.

قال ريس بارتياب: قد نمسك به من هذه الزاوية.

- أشك في ذلك. سوف يتفحص تلك النقود وربما يلحظ الورقة الممزقة، ولو كان شديد البخل فإنه لن يستطيع إكراه نفسه على تمزيق ورقة نقدية من فئة الألف فرنك، لكن الاحتمال الأغلب الذي أخشاه هو أنه عكس ذلك تماماً.

- وكيف استنتجت هذا؟

- إن هذه الجريمة ومقتل السيدة دويل كلاهما تتطلبان صفات معينة: الشجاعة والتهور والتنفيذ الجريء والتصرف السريع الخاطف... وهذه الصفات لا تتوافق مع صاحب نزعة بخيلة حذرة.

هز ريس رأسه بأسف وقال: من الأفضل أن نستدعي بيسنر إلى هنا.

لم يستغرق الفحص الذي قام به الطبيب البدين فترة طويلة، ثم قال: لم يمضِ على وفاتها أكثر من ساعة، حدثت الوفاة بسرعة فوراً.

- وما هو السلاح المستخدَم برأيك؟

- هذا سؤال مثير. لقد كان شيئاً حاداً جداً ورفيعاً جداً ودقيقاً جداً، ويمكنني أن أريك مثل هذا السلاح.

عاد إلى كابينته ومعه ريس وبوارو حيث فتح علبة فأخرج منها سكيناً طويلة دقيقة تُستخدم في الجراحة وقال: إنه يشبه هذا يا صديقي... لم تكن سكين مطبخ عادية.

قال ريس برفق: أظن أنك لم تفقد أية سكين من سكاكينك يا دكتور؟

حدّق بيسنر فيه ثم احمرّ وجهه ساخطاً وقال: ما هذا الذي تقوله؟ هل تعتقد أنني، أنا كارل بيسنر المعروف جيداً في جميع أنحاء النمسا، أنا الذي زبائني كلهم من الطبقة الرفيعة، يمكن أن أقتل خادمة بائسة كهذه؟ آه، إن ما تقوله سخيف! لم أفقد سكيناً واحدة، ولا واحدة، كلها هنا في مكانها وعلى ما يرام. يمكنك أن ترى بنفسك، كما أنني لن أنسى هذه الإهانة لمهنتي.

أغلق الدكتور بيسنر حقيبته بقوة وخرج غاضباً إلى ظهر السفينة.

قال سيمون: لقد أثرتم أعصاب الرجل العجوز.

رفع بوارو كتفيه باسترخاء وقال: أمر مؤسف!

- إنكما تسيران في الطريق الخاطئ؛ إن بيسنر واحد من أفضل الرجال على الرغم من أنه تسري فيه بعض الدماء الألمانية.

عاد الدكتور بيسنر فجأة وقال: أرجو منكما مغادرة كابينتي الآن؛ أريد أن أغير الضمادة على ساق مريضي.

كانت الآنسة باورز قد دخلت معه ووقفت بسرعة وكفاءة تنتظر خروج الآخرين، فخرج ريس وبوارو طائعين، وتمتم ريس ببعض كلمات ثم مضى بعيداً، واستدار بوارو إلى يساره فسمع مقتطفات من حديث نسائي وضحكة صغيرة. كانت جاكلين مع روزالي في غرفة الأخيرة.

كان الباب مفتوحاً وكانت الفتاتان تقفان قربه، وعندما أحسّتا بخيال بوارو رفعتا بصرهما. رأى روزالي أوتربورن تبتسم له لأول مرة ابتسامة ترحيب خجولة، كانت ابتسامة غير واثقة كمن يقوم بشيء جديد لم يألفه بعد. اتهمهما قائلاً: إنكما تغتابان الناس، أليس كذلك؟

قالت روزالي: لا، الواقع أننا كنا نقارن أحمر الشفاه.

ابتسم بوارو وتمتم قائلاً: يا لبنات اليوم!

ولكن كان في ابتسامته فعل آلي أدركته جاكلين، وهي الأقوى والأسرع ملاحظة من روزالي. ألقت بأحمر الشفاه وخرجت إلى ظهر السفينة قائلة: هل حدث... ما الذي حدث الآن؟

- الأمر كما ظننت يا آنسة؛ لقد وقع شيء.

خرجت روزالي هي الأخرى وقالت: ماذا؟

قال بوارو: جريمة أخرى.

حبست روزالي أنفاسها. كان بوارو يراقبها بإمعان ورأى الخوف وأكثر من الخوف، الذعر، الذي بدا في عينيها للحظات. ثم أعلن لهما الخبر دون مقدمات: لقد قُتلت خادمة السيدة دويل.

صاحت جاكلين: قُتلت؟ تقول إنها قُتلت؟

- نعم، هذا ما قلته.

وعلى الرغم من أنه كان يجيب جاكلين إلاّ أنه كان يراقب روزالي، ثم أكمل يخاطبها: لقد رأت هذه الخادمة شيئاً لم يكن لها أن تراه، وهكذا تم إسكاتها حتى لا تتكلم.

- وما الذي رأته؟

مرة أخرى كانت جاكلين هي التي سألته، ومرة أخرى كانت إجابة بوارو موجَّهة إلى روزالي... كان مشهداً غريباً ثلاثيّ الزوايا! قال بوارو: لا أحسب أن هناك الكثير من الشك حول ما رأته؛ لقد رأت شخصاً يدخل ويغادر كابينة لينيت دويل في ليلة الجريمة.

كانت أذناه سريعتَي السمع. سمع الشهيق الحاد للنفَس ورأى العينين تطرفان، كان ردّ فعل روزالي تماماً كما كان يتصور. سألته:

هل قالت من الذي رأته؟

هز بوارو رأسه برفق وأسف. ثم سُمعت أصوات أقدام قادمة؛ كانت كورنيليا روبسون قادمة والذعر في عينيها، وصاحت: آه، جاكلين، لقد حدث شيء بغيض... شيء آخر مخيف!

التفتت جاكلين إليها، وتقدمت الفتاتان بضع خطوات إلى الأمام، ثم تحرك بوارو وروزالي أوتربورن في الاتجاه الآخر بشكل لاشعوري تقريباً.

قالت روزالي بحدة: لماذا تنظر إليّ؟ ما الذي تفكر فيه؟

- لقد سألتِني سؤالين، وسوف أسألك مقابلهما سؤالاً واحداً: لماذا لا تقولين لي كل الحقيقة يا آنسة؟

- لا أعرف ماذا تقصد... لقد أخبرتك بكل شيء صباح اليوم.

- لا، هناك أشياء لم تخبريني عنها. أنت لم تقولي لي إنك تحملين في حقيبتك مسدساً من عيار صغير له مقبض مزخرف بالعاج، ولم تخبريني بكل ما رأيته الليلة الماضية.

احمرّ وجهها ثم قالت بحدة: هذا غير صحيح، ليس معي مسدس.

- بل كنت تحملين مسدساً صغيراً في حقيبتك.

استدارت فأسرعت إلى كابينتها، ثم خرجت ثانية ودفعت بحقيبتها الجلدية الرمادية إليه وهي تقول: كلامك لا معنى له، انظر بنفسك إن أردت.

فتح بوارو الحقيبة، ولم يكن فيها مسدس. أعاد الحقيبة إليها وهو يلحظ نظرات الانتصار والازدراء في عينيها، قال بمرح: نعم،

ليس موجوداً.

- أرأيت؟ لستَ على صواب دائماً يا سيد بوارو، كما أنك مخطئ بخصوص ذلك الشيء السخيف الآخر الذي قلتَه.

- لا، لا أظن ذلك.

ضربت الأرض بقدمها غضباً وقالت: إنك تثير الحنق! لقد وضعتَ في رأسك فكرة معينة وأنت ماضٍ في تبنّيها إلى النهاية.

- لأنني أريدك أن تخبريني بالحقيقة.

- ما هي الحقيقة؟ يبدو أنك تعرفها أكثر مني.

- هل تريدين مني أن أقول لك ما الذي شاهدتِه؟ إن كنتُ مصيباً فهل ستعترفين بأنني مصيب؟ سأخبرك بفكرتي الصغيرة. أظن أنك عندما استدرت نحو مؤخرة السفينة توقفت فجأة لأنك رأيت رجلاً يخرج من كابينة في منتصف السفينة، وكانت تلك كابينة لينيت دويل كما أدركتِ في اليوم التالي. رأيته يخرج ويغلق الباب وراءه ثم يسير بعيداً عنك إلى الاتجاه الآخر من السفينة، وربما دخل واحدة من آخر كابينتين. والآن، هل أنا على حق يا آنسة؟

لم تجبه. قال بوارو: ربما تظنين أن من الحكمة أن لا تتكلمي، ربما كنت خائفة من أنك إن فعلت ذلك فإنك ستُقتلين أيضاً.

رأى للحظة خاطفة أنها قد تحفزت لالتقاط الطعم الذي ألقاه لها وأن اتهامه الذي استهان بشجاعتها من شأنه أن ينجح حيث يمكن أن تفشل حوارات أكثر دهاء. انفرجت شفتاها، وارتعشتا، ثم قالت: لم أرَ أحداً.

* * *

الفصل الرابع والعشرون

خرجت الآنسة باورز من كابينة الدكتور بيسنر وهي تسدل أكمام قميصها على معصميها، ولما رأتها جاكلين بادرت إلى ترك كورنيليا فجأة وتعرضت للممرضة بالسؤال: كيف حاله؟

وصل بوارو في الوقت المناسب ليسمع الإجابة، كانت الآنسة باورز تبدو قلقة وقالت: الأمور لا تسير بشكل سيء كثيراً.

صاحت جاكلين: تقصدين أن حالته سيئة؟

- أعتقد أنني سأرتاح عندما نصل ونقوم بتصوير الإصابة ثم ننظف الجرح ونخرج الرصاصة تحت التخدير. متى تعتقد أننا سنصل إلى الشلال يا سيد بوارو؟

- غداً صباحاً.

زمّت الآنسة باورز شفتيها وهزت رأسها وهي تقول: نحن محظوظون جداً. إننا نبذل كل ما بوسعنا ولكن يوجد دائماً خطر تسمم الدم.

أمسكت جاكلين الآنسة باورز من ذراعها وهزته: هل سيموت؟ هل سيموت؟

- يا إلهي! لا يا آنسة دي بيلفورت، أرجو أن لا يحدث ذلك. الإصابة نفسها ليست خطيرة، ولكن يجب تصوير مكان الإصابة في

أسرع وقت ممكن، ثم لا بد من الإبقاء على السيد دويل المسكين هادئاً اليوم. لقد ناله الكثير من القلق والانفعال ولذلك لا عجب أن حرارته ترتفع.

أرخت جاكلين قبضتها عن ذراع الممرضة ثم ذهبت فوقفت تستند إلى حاجز السفينة وظهرها نحو الآخرين. قالت الآنسة باورز: ما أريد قوله هو أننا يجب أن نتفاءل دائماً. إن بنية السيد دويل الجسمية قوية جداً، هذه مسألة واضحة، وربما لم يمرض يوماً واحداً طوال حياته وهذا في صالحه، ولكن لا أحد ينكر بأن ارتفاع درجة حرارته علامة سيئة و...

هزت رأسها وهي تعدّل كُمّها مرة أخرى، ثم ذهبت مسرعة. واستدارت جاكلين ثم سارت إلى كابينتها تتلمس طريقها بعد أن أعمتها الدموع، فجاءتها يد لتثبتها وتقودها إلى وجهتها. رفعت بصرها فرأت بوارو إلى جانبها، فاستندت عليه قليلاً، ثم أخذها حتى وصلت إلى باب غرفتها ودخلت. ألقت بنفسها على السرير وأطلقت العنان لدموعها التي كان النشيج يتخللها: سوف يموت، سوف يموت! أعرف أنه سيموت، وسأكون أنا التي قتلته... نعم، سأكون أنا التي قتلته!

رفع بوارو كتفيه حيرة، ثم هز رأسه قليلاً وقال بحزن: يا آنسة، ما حدث قد حدث. لا يمكنك تغيير ما قد حدث، لقد فات وقت الندم الآن.

أخذت تبكي بصوت أعلى وتقول: سأكون أنا التي قتلته! إنني أحبه كثيراً، أحبه كثيراً.

تنهد بوارو وقال: كثيراً جداً.

كانت تلك هي فكرته منذ وقت طويل، منذ أن رآها في ذلك المطعم، وهي نفس فكرته الآن. قال وهو يتردد قليلاً: لا تلقي بالاً

لما تقوله الآنسة باورز مهما حدث، إنني أعتبر الممرضات دائماً متشائمات، تجدين الممرضة الليلية تذهل دائماً عندما تأتي مساء فترى مريضها على قيد الحياة، وممرضة النهار تشعر دائماً بالدهشة عندما تأتي في الصباح فتجده على قيد الحياة! إنهن يعرفن كثيراً عن الاحتمالات التي قد تنشأ. عندما يقود المرء سيارته فإنه قد يقول في نفسه: "لو أن سيارة خرجت من ذلك التقاطع، أو إذا رجعت تلك الشاحنة إلى الوراء فجأة، أو إذا أفلت إطار السيارة التي تقترب مني من مكانه، أو إذا قفز كلب من فوق السياج على مقود سيارتي، فقد أُقتل"! لكن المرء يفترض، وعادة ما يكون افتراضه صحيحاً، بأن أياً من تلك الأشياء لن يحدث وأنه سيصل إلى وجهته سليماً معافى، ولكن لو حدثت له حادثة ذات يوم أو شاهد حادثة فإنه يميل إلى أخذ وجهة النظر المعاكسة.

سألته جاكلين وهي تبتسم نصف ابتسامة من خلال دموعها: هل تحاول مواساتي يا سيد بوارو؟

- الله وحده يعلم ما أحاول أن أفعله! ما كان يجب أن تأتي في هذه الرحلة.

- صحيح، ليتني لم أفعل. ما حدث كان شنيعاً، ولكن عمّا قريب سينتهي كل شيء.

- أجل، أجل.

- وسيذهب سيمون إلى المستشفى وسيعطونه العلاج المناسب وكل شيء سيسير على ما يرام.

- إنك تتكلمين كالطفلة: وعاشوا بسعادة ووئام بعد ذلك. هل هذا صحيح؟

احمرّ وجهها فجأة وقالت: يا سيد بوارو، إنني لم أقصد...

- ما زال الوقت مبكراً جداً على التفكير بمثل هذا الأمر! ستقولين إن هذا من باب النفاق المطلوب، أليس كذلك؟ لكن يجب أن تكوني قادرة على الاعتراف بالحقائق حتى لو لم تَبدُ مبهرجة: غابت الشمس وطلع القمر، أليست تلك هي القضية؟

- أنت لا تفهم، إنه آسف من أجلي، يأسف كثيراً على حالي لأنه يعرف كم هو الألم الذي أعاني منه لأنني آذيته.

- آه، الشفقة المجردة؟ إنه شعور متغطرس جداً.

نظر إليها نظرة نصفها هازئ ونصفها الآخر فيها شعور مختلف، ثم خرج إلى ظهر السفينة مرة ثانية. كان الكولونيل ريس يسير هناك فأوقفه على الفور: بوارو، أيها الرجل الطيب! أريدك، عندي فكرة.

وضع ذراعه في ذراع بوارو وسارا على ظهر السفينة معاً وهو يقول: الأمر يتعلق بملاحظة قالها دويل مصادفة ولم ألحظها في وقتها... شيء بخصوص برقية.

- نعم، هذا صحيح.

- ربما ليس فيها شيء، لكننا لا نستطيع ترك أي كلمة دون التحقق منها. تباً، لقد وقعت جريمتا قتل وما زلنا في الظلام.

هز بوارو رأسه نفياً وقال: لا، لسنا في الظلام بل في النور.

نظر ريس إليه باستغراب وقال: هل لديك فكرة؟

- إنها الآن أكثر من مجرد فكرة، أنا واثق الآن.

- منذ متى؟

- منذ وفاة الخادمة.

- إنني لا أفهم شيئاً!

- الأمر واضح جداً يا صديقي، واضح جداً، إلاّ أن هناك صعوبات وإحراجات وموانع! هناك الكثير من الأحقاد المتضاربة والحسد والغيرة والخبث تجدها حول واحدة مثل لينيت دويل، إنها مثل سحابة من ذباب تصدر طنيناً وطنيناً.

نظر ريس إليه بفضول وقال: لكنك تظن أنك تعرف؟ ما كنت ستقول هذا لولا أنك واثق تماماً، لا أظن أنني شخصياً أرى أي بصيص ضوء. لديّ شبهات وشكوك بالطبع...

توقف بوارو فشدّ على ذراع ريس وقال: أنت رجل عظيم أيها الكولونيل، أنت لا تسألني صراحة عن رأيي الذي أعتقده لأنك تعرف أنني لو استطعت الكلام الآن لفعلت، ولكن لا بد من توضيح كثير من الأشياء أولاً. ولكن فكّر، فكّر قليلاً فيما سأقوله: أمامنا نقاط معينة؛ أقوال الآنسة دي بيلفورت بأن شخصاً قد سمع الحديث الذي دار بيننا في تلك الليلة في الحديقة في أسوان، وأقوال السيد تيم أليرتون حول ما سمعه وما فعله ليلة الجريمة، وإجابات لويز بورجيه على أسئلتنا صباح هذا اليوم وهي إجابات لها دلالات معينة، وحقيقة زجاجتَي طلاء الأظافر، وأخيراً نأتي إلى عقدة هذا العمل وهي حقيقة أن المسدس كان ملفوفاً بمنديل من نوع رخيص وشال من المخمل ثم أُلقي في الماء.

بقي ريس صامتاً لبعض الوقت، ثم هز رأسه وقال: لا أفهم. لديّ فكرة غامضة عمّا ترمي إليه، ولكن حسب ما أراه فإنها فكرة غير مجدية.

- نعم، نعم، إنك لا تنظر إلاّ إلى نصف الحقيقة، يجب أن نبدأ من جديد لأن مفهومنا الأول كان خاطئاً تماماً.

عبس ريس وقال: إنني معتاد على هذا، يبدو لي أن كل أعمال التحري تقتضي إلغاء البدايات الخاطئة والبدء من جديد.

- نعم، هذا صحيح، وهو تماماً ما لا يريد البعض أن يفعله. إنهم يتصورون نظرية معينة ويفترضون بأن كل شيء لا بد أن يتطابق مع تلك النظرية، وإذا لم تتطابق حقيقة صغيرة معها فإنهم يلقونها جانباً. ولكن الحقائق التي لا تنطبق هي دائماً الحقائق المهمة ذات الدلالات الكبيرة. كنت أدرك منذ البداية مدلول اختفاء ذلك المسدس من مسرح الجريمة، كنت أعرف أنه يعني شيئاً ما،.ولكني لم أدرك ما هو هذا الشيء إلاّ قبل نصف ساعة فقط.

- أنا ما زلت لا أفهم معناه!

- لكنك ستفهم، فكّر فقط في المسائل التي أشرتُ إليها. والآن دعنا نوضح مسألة البرقية هذه... هذا إن سمح لنا الدكتور بيسنر بالدخول.

كان الدكتور بيسنر في مزاج سيء، وعندما دقّا على الباب فتحه لهما بوجه عابس وقال: ماذا هناك؟ تريدان رؤية مريضي مرة أخرى؟ لكني أقول لكما بأن ذلك ليس من الحكمة، إنه يعاني من الحمى. لقد عانى من كثير من الانفعالات والإثارة اليوم.

قال ريس: مجرد سؤال واحد، أؤكد لك بأنه سؤال واحد فقط.

ابتعد الطبيب جانباً وهو يتذمر فدخل الرجلان الكابينة، خرج الدكتور بيسنر وهو يقول: سأعود بعد ثلاث دقائق ثم تخرجان بالتأكيد!

ثم سمعاه وهو يسير على ظهر السفينة مبتعداً.

نظر سيمون دويل إليهما نظرات تساؤل وقال: نعم، ماذا هناك؟

ردّ عليه ريس: شيء صغير جداً. قبل قليل وعندما كان

المضيف يقدم تقريره ذكر لي بأن السيد ريشيتي كان مزعجاً بشكل خاص، وقد قلت إن ذلك لا يدهشك لأنك تعرف أن مزاجه سيء وأنه كان قاسياً مع زوجتك بخصوص مسألة تتعلق ببرقية. هل تخبرني عن هذا الحادث الآن؟

- بسهولة؛ كان ذلك في وادي حلفا، كنا عائدين لتونا من منطقة الشلال الثاني وظنت لينيت أنها رأت برقية لها معلّقة على لوحة الإعلانات، وقد نسيت أنها لم تعد تحمل اسم ردجوي، واسم ريشيتي وردجوي متشابهان عندما يُكتبان بخط سيء، ولذلك ظنتها لها وفتحتها ولم تستطع أن تفهم شيئاً منها. وكانت تفكر فيها وتنظر إليها محتارة عندما جاء هذا الرجل ريشيتي فانتزعها من يدها بقوة وقال بضع كلمات وهو يشتعل ناراً، ولما ذهبت وراءه لتعتذر أسمعها كلمات قاسية.

سحب ريس نفساً عميقاً، ثم قال: هل تعرف ما الذي كان مكتوباً في البرقية يا سيد دويل؟

- نعم، قرأت لينيت جزءاً منها بصوت مرتفع، كانت تقول...

سكت، كانت هناك فوضى وجلبة في الخارج، وكان صوت عال يقترب مسرعاً: أين السيد بوارو والكولونيل ريس؟ لا بد أن أراهما فوراً! الأمر مهم جداً، عندي معلومات حيوية. هل هما مع السيد دويل؟

لم يكن بيسنر قد أغلق الباب عندما خرج ولم تكن هناك إلاّ ستارة تغطي مدخل الباب، فأزاحتها السيدة أوتربورن جانباً ودخلت كالإعصار الهادر. كان وجهها محمرّاً ومشيتها مضطربة ولم تكن تضبط كلماتها، قالت بأسلوب مثير: يا سيد دويل، أعرف الذي قتل زوجتك!

- ماذا؟

حدّق سيمون إليها، وكذلك فعل الآخران. نظرت السيدة أوتربورن إليهم جميعاً نظرة فيها نشوة النصر. كانت سعيدة، سعيدة جداً، وقالت: نعم، نظرياتي مثبتة تماماً، قد تكون مستحيلة أو غريبة، لكنها الحقيقة!

قال ريس بحدة: هل أفهم أن لديك دليلاً يثبت من الذي قتل السيدة دويل؟

جلست السيدة أوتربورن على كرسي ومالت إلى الأمام وهي تومئ برأسها بقوة: لديّ ذلك بالتأكيد. هل توافقونني على أن الذي قتل لويز بورجيه هو نفسه الذي قتل لينيت دويل، أي أن الجريمتين قام بهما المجرم نفسه؟

قال سيمون بنفاد صبر: نعم، نعم، بالطبع؛ هذا منطقي. استمري.

- إذن فإن توكيدي صحيح. أعرف من الذي قتل لويز بورجيه ولذلك فإنني أعرف قاتل لينيت دويل.

قال ريس بارتياب: هل تقصدين أن لديك نظرية بشأن الذي قتل لويز بورجيه؟

التفتت السيدة أوتربورن إليه كالنمر وقالت: بل لديّ معرفة كبيرة... لقد شاهدت القاتل بأم عيني.

صاح سيمون المحموم عالياً: بالله عليك ابدئي من البداية. تقولين إنك تعرفين قاتل لويز بورجيه.

أومأت السيدة أوتربورن برأسها وقالت: سأحكي لكم ما حدث بالضبط.

نعم، لقد كانت سعيدة، لا شك في ذلك! كانت تلك هي لحظتها، انتصارها، وماذا في ذلك إن كانت كتبها ورواياتها لا تلقى رواجاً أو أن الجمهور الغبي الذي كان ذات يوم يشتريها ويلتهمها بنهم قد تحول عنها الآن إلى كتّاب آخرين؟ ستصبح السيدة أوتربورن مشهورة مرة أخرى وسيكون اسمها في جميع الصحف، ستكون شاهداً رئيسياً للادعاء في المحاكمة.

سحبت نفساً عميقاً ثم فتحت فمها قائلة: كان ذلك عندما نزلت لتناول الغداء. لم أكن أشعر بالرغبة في الأكل بسبب الرعب الذي لاقيته من الحادث المأساوي الأخير، لا حاجة لأن أخوض في هذا، وعندما كنت في الطريق إلى الأسفل تذكرت أنني نسيت شيئاً في غرفتي، فطلبت من روزالي أن تسبقني إلى صالة الطعام وذهبت.

سكتت السيدة أوتربورن قليلاً، وتحركت الستائر التي تغطي الباب قليلاً وكأن الريح هي التي حركتها، ولكن أحداً من الرجال الثلاثة لم يلحظ ذلك. وعادت السيدة أوتربورن تقول: لقد، لقد...

كان الموقف عنق زجاجة أضيق من أن يعبره المرء، ولكن لا بد مما ليس منه بد. مضت قائلة بتردد: لقد... لقد قمت باتفاق معين مع أحد موظفي السفينة. كان مطلوباً منه أن يحضر لي شيئاً كنت أحتاجه، لكني لم أرد أن تعرف ابنتي عنه، إنها مضجرة إلى حد ما.

لم تكن تلك حجة حسنة السبك، ولكنها تستطيع التفكير بشيء أفضل قبل أن تصل القضية إلى المحكمة.

رفع ريس حاجبيه وكأنه يسأل بوارو سؤالاً بالعينين، فأومأ بوارو إيماءة صغيرة. كانت شفتاه تريدان أن تقولا: خمور!

تحركت الستائر التي تغطي الباب مرة أخرى، وظهر بينها وبين

الباب نفسه جسم ذو لمعة فولاذية. أكملت السيدة أوتربورن تقول: كان الاتفاق بيننا أن أذهب إلى مؤخرة السفينة في الطابق الذي يقع تحت طابقنا هذا، وهناك أجد الرجل في انتظاري. وفيما كنت أسير في ذلك الاتجاه فُتح باب إحدى الكابينات وأطل شخص منه، وكانت تلك هي الفتاة، لويز بورجيه، وبدا وكأنها تنتظر شخصاً، وعندما رأتني خاب أملها ودخلت ثانية بسرعة. لم أرَ في ذلك شيئاً غير طبيعي بالطبع، وذهبت إلى المكان المتفق عليه كما قلت وحصلت من الرجل على ذلك الشيء، دفعت له الثمن وتحدثت معه قليلاً ثم انطلقت عائدة، وعندما كنت عند الزاوية رأيت شخصاً يطرق باب الخادمة ويدخل الكابينة.

قال ريس: ومن هو ذلك الشخص؟

بوم!

ملأ صوت الانفجار الغرفة وانتشرت رائحة دخان وبارود. التفتت السيدة أوتربورن جانباً ببطء وكأنها تتساءل، ثم تراخى جسدها إلى الأمام وسقطت على الأرض بقوّة وقد تدفق الدم من فتحة صغيرة وراء أذنها.

خيّم للحظة صمت الذهول، ثم قفز الرجلان السليمان واقفين. أعاقت جثة المرأة حركتهما قليلاً، وانحنى ريس فوقها لبعض الوقت بينما قفز بوارو كالقطة نحو الباب ثم إلى خارج الكابينة. كان سطح السفينة خالياً، وعلى الأرض وأمام عتبة الباب مباشرة كان مسدس كولت كبير ملقى على الأرض.

نظر بوارو يميناً وشمالاً فرأى سطح السفينة خالياً، ثم ركض باتجاه المؤخرة، وعندما كان ينعطف عند الزاوية اصطدم بتيم أليرتون الذي كان قادماً من الاتجاه الآخر بأقصى سرعته. صاح تيم لاهثاً: ما هذا الذي سمعته؟

قال بوارو بحدّة: هل قابلت أحداً وأنت في طريقك إلى هنا؟

- قابلت أحداً؟ لا؟

- إذن تعال معي.

أمسك بالشاب من ذراعه وعاد أدراجه، وقد تجمع في هذه اللحظة جمع صغير من الركاب: روزالي وجاكلين وكورنيليا خرجن جميعاً من غرفهن، وكان مزيد من الركاب يأتون إلى سطح السفينة من الصالة: فيرغسون وجيم فانثورب والسيدة أليرتون...

وقف ريس قرب المسدس، والتفت بوارو برأسه فقال مخاطباً تيم أليرتون بحدة: هل معك قفازات في جيبك؟

تحسس تيم جيوبه ثم قال: نعم، معي.

أخذها بوارو منه ولبسها وجثا على الأرض ليتفحص المسدس، وقام ريس بالعمل نفسه، أما الآخرون فكانوا يراقبون الموقف بأنفاس محبوسة. قال ريس: لم يذهب من الطريق الآخر، كان فانثورب وفيرغسون يجلسان على كرسي الاستراحة هناك ولذلك كانا سيشاهدانه.

أجابه بوارو: والسيد أليرتون كان سيقابله لو أنه ذهب إلى مؤخرة السفينة.

قال ريس وهو يشير إلى المسدس: أظن أننا رأينا هذا المسدس قبل مدة قصيرة، ومع ذلك يجب أن نتأكد.

طرق باب غرفة بيننغتون. لم يجبه أحد إذ كانت الغرفة خالية، فذهب ريس إلى دُرج الخزانة على الجهة اليمنى وفتحه، ولم يكن المسدس فيه. قال ريس: هذا يحسم المسألة. والآن أين بيننغتون نفسه؟

ثم خرجا إلى سطح السفينة مرة أخرى. كانت السيدة أليرتون قد انضمت إلى المجموعة، وأسرع بوارو نحوها: يا سيدتي، خذي الآنسة أوتربورن معك واهتمي بها، إن أمها قد...

نظر إلى ريس وكأنه يستشيره فأومأ ريس موافقاً، فأكمل بوارو: قُتلت.

جاء الدكتور بيسنر مسرعاً مهتاجاً: ما الذي يجري الآن؟

أفسحوا له الطريق، وأشار ريس إلى الكابينة فدخل بيسنر، قال ريس: سوف أبحث عن بيننغتون. هل توجد بصمات على المسدس؟

قال بوارو: لا.

وجدا بيننغتون في الطابق الأسفل. كان يجلس في غرفة الاستقبال الصغيرة يكتب رسائل، وقد رفع وجهه الوسيم الحليق وسأل: هل من جديد؟

أجابه ريس: ألم تسمع صوت طلقة؟

- ها أنت تؤكد ذلك. أظنني سمعت صوتاً من هذا القبيل لكني لم أفكر فيه. على مَن أُطلقت النار؟

- السيدة أوتربورن.

بدا بيننغتون مصعوقاً تماماً وقال: السيدة أوتربورن؟ لقد فاجأتني! السيدة أوتربورن؟

هز رأسه ثم قال: "لا أفهم شيئاً مما يجري"... ثم خفض صوته وقال: يبدو لي أن معنا في هذه السفينة شخصاً مهووساً بالقتل أيها السادة، ينبغي أن ننظم خطة دفاعية.

قال ريس: منذ متى وأنت جالس هنا في هذه الغرفة يا سيد

بيننغتون؟

تحسس السيد بيننغتون ذقنه وهو يقول: أظن أنني هنا منذ عشرين دقيقة أو نحو ذلك.

- ألم تغادرها قط؟

- لم أفعل بالتأكيد.

نظر إلى الرجلين متسائلاً، فقال ريس: لقد قُتلت السيدة أوتربورن بمسدسك يا سيد بيننغتون.

* * *

الفصل الخامس والعشرون

صُدم السيد بيننغتون ولم يكد يصدق الأمر، قال: إنها مسألة خطيرة جداً أيها السادة، خطيرة جداً بالفعل.

- إنها خطيرة إلى أبعد حد بالنسبة لك.

جفل بيننغتون من هذه المفاجأة وهتف: بالنسبة لي؟! لكني -يا سيدي العزيز- كنت جالساً هنا بهدوء أكتب عندما أُطلقت تلك الرصاصة.

- هل لديك شاهد على ذلك؟

هز بيننغتون رأسه وقال: لا، لن أزعم ذلك، لكن من المستحيل أن أذهب إلى الطابق الأعلى وأقتل هذه المرأة المسكينة... ولماذا أقتلها على أية حال؟ ثم أنزل مرة أخرى دون أن يراني أحد. كثير من الركاب يجلسون على سطح السفينة في هذا الوقت من النهار.

- وما هو تبريرك لاستخدام مسدسك؟

- أخشى أن أكون أنا الملام من هذه الناحية. بعد أن بدأت رحلتنا هذه بوقت قصير دار حديث في الصالة ذات مساء حول الأسلحة النارية، وقد ذكرت وقتها أنني أحمل معي دائماً مسدساً عندما أسافر.

- من كان موجوداً وقتها؟

- لا أتذكر بالضبط، معظم الركاب تقريباً... كان حشداً كبيراً من الركاب.

ثم هز رأسه برفق وقال: نعم، إن اللوم يقع عليّ في هذه النقطة. آه، أولاً لينيت ثم خادمة لينيت، والآن السيدة أوتربورن؟ لا يبدو أي رابط منطقي في هذا كله.

قال ريس: بل يوجد رابط.

- حقاً؟

- نعم، كانت السيدة أوتربورن على وشك أن تخبرنا بأنها شاهدت شخصاً بعينه وهو يدخل إلى غرفة لويز، وقبل أن تتلفظ باسمه قُتلت.

مسح أندرو بيننغتون حاجبيه بمنديل حريري رقيق وقال: هذا عمل رهيب!

قال بوارو: يا سيد بيننغتون، أحب مناقشة جوانب معينة من القضية معك، فهل لك أن تأتي إلى كابينتي بعد نصف ساعة؟

- سأكون سعيداً بذلك.

لم يكن في صوت بيننغتون ولا في هيئته ما يدل حقاً على السعادة. تبادل ريس النظرات مع بوارو ثم غادرا الغرفة على الفور. قال ريس: عجوز ماكر، لكنه خائف، أليس كذلك؟

قال بوارو: بلى، السيد بيننغتون ليس سعيداً.

وعندما وصلا إلى السطح مرة أخرى خرجت السيدة أليرتون من كابينتها، وعندما رأت بوارو أشارت إليه بالحضور.

- نعم يا سيدتي.

- تلك الطفلة المسكينة! هل توجد كابينة بسرير مزدوج حتى

أجلس معها فيها يا سيد بوارو؟ يجب أن لا تعود إلى الكابينة التي كانت تقيم فيها مع والدتها، كما أن غرفتي ذات سرير مفرد.

- يمكن ترتيب ذلك يا سيدتي، إنه موقف جميل منك.

- هذا واجبي، كما أنني أحب الفتاة. لقد أحببتها منذ البداية.

- هل هي متأثرة كثيراً؟

- جداً. يبدو أنها كانت تحب أمها البغيضة كثيراً، وهذا أمر يدعو إلى الشفقة. تيم يعتقد أنها كانت مدمنة على الخمر، هل هذا صحيح؟

أومأ بوارو برأسه، فقالت السيدة أليرتون: امرأة مسكينة! لا أحسب أن من حقنا أن نحكم عليها الآن، ولكن لا بد أن تلك الفتاة قد عاشت حياة قاسية.

- نعم يا سيدتي، إنها ذات كبرياء وقد كانت مخلصة جداً لأمها.

- نعم، أحب هذا... أقصد الإخلاص. لقد أصبحت هذه صفة رجعية في الوقت الحاضر. إن هذه الفتاة إنسانة غريبة الأطوار، فهي معتدّة بنفسها ومتحفظة وعنيدة، وأظن أنها عاطفية جداً في قرارة نفسها.

- إذن فقد وضعت هذه الفتاة بين أيد أمينة يا سيدتي؟

- نعم، لا تقلق؛ سأعتني بها. إنها تميل إلى التعلق بي بطريقة مثيرة للشفقة.

عادت السيدة أليرتون إلى الكابينة فيما عاد بوارو إلى مسرح الجريمة. كانت كورنيليا تقف على سطح السفينة وعيناها متسعتان من الدهشة، قالت: لا أفهم يا سيد بوارو، كيف هرب المجرم الذي

قتلها دون أن نراه؟

كررت جاكلين كلامها: نعم، كيف؟

قال بوارو: آه، لم يكن الأمر حيلة اختفاء بالضبط كما تعتقدين يا آنسة، فهناك ثلاثة طرق مميزة قد يكون المجرم سلك واحدة منها.

ظهرت الحيرة على وجه جاكلين وقالت: ثلاثة؟

قالت كورنيليا محتارة: ربما ذهب في اتجاه اليمين وربما ذهب إلى اليسار، لكنني لا أرى طريقاً آخر.

قطبت جاكلين حاجبيها هي الأخرى، ثم سرعان مع زال العبوس عن وجهها وهي تقول: بالطبع، صحيح أنه لا يستطيع التحرك إلاّ في اتجاهين في نفس الطابق، ولم يكن يستطيع أن يصعد إلى أعلى، ولكنه كان بوسعه النزول إلى الطابق السفلي.

ابتسم بوارو وقال: أنت ذكية يا آنسة.

قالت كورنيليا: أعرف أنني مغفلة، لكنني ما زلت لا أفهم.

قالت جاكلين: السيد بوارو يعني -يا عزيزتي- أنه كان يستطيع القفز عن الحاجز لينزل إلى الطابق الأسفل.

قالت كورنيليا لاهثة: آه! لم أفكر في هذا، لا بد أن يكون سريعاً جداً. أتظن ذلك ممكناً؟

قال تيم أليرتون: كان يستطيع فعل ذلك بسهولة. تذكّري أن هناك دائماً دقيقة من الصدمة تعقب عملاً كهذا؛ يسمع الشخص صوت طلقة فيتسمّر مكانه مشلولاً لبضع ثوان لا يستطيع خلالها الحركة.

- هل حدث هذا معك يا سيد أليرتون؟

- نعم، حدث. لقد وقفت كالصنم لخمس ثوانٍ، ثم قفزت مسرعاً إلى ظهر السفينة.

خرج ريس من غرفة بيسنر وقال بلغة الأمر: أرجو أن تخلو جميعاً المنطقة، نريد إخراج الجثة.

ابتعد الجميع طائعين، وذهب بوارو معهم. قالت له كورنيليا بحزن: لن أنسى هذه الرحلة ما حييت... ثلاث جرائم قتل؟ إنها أشبه بالكابوس!

سمعها فيرغسون فقال هازئاً: هذا لأنك بالغة التمدّن. كان يجب أن تنظري إلى الموت كما تنظر إليه الشعوب البدائية؛ مجرد حادث لا يكاد يُلاحَظ.

قالت كورنيليا: هذا جيد، وسببه أنهم غير متعلمين. إنهم مساكين.

- صحيح، وهو أمر جيد بدوره. لقد سلب التعليم حيوية الأمم المتقدمة. انظري إلى أمريكا، لقد جعلت الثقافة وبهارجها جُلَّ همها، وهو ما يثير الاشمئزاز.

قالت كورنيليا وقد احمرّ وجهها: أظن أن كلامك لا معنى له؛ إنني أحضر محاضرات كل شتاء عن الفن الإغريقي وعصر النهضة، كما ذهبت إلى محاضرات عن نساء مشهورات في التاريخ.

صاح السيد فيرغسون متأففاً: الفن الإغريقي، عصر النهضة، نساء مشهورات في التاريخ! هذا يشعرني بالغثيان عندما أسمعه. إن ما يهم هو المستقبل يا امرأة، وليس الماضي. لقد ماتت ثلاث نساء على ظهر هذا المركب. حسناً، وماذا في الأمر؟ موتهن ليس خسارة! لينيت دويل وأموالها؟ الخادمة الفرنسية؟ طفيلية عالة على غيرها. السيدة أوتربورن؟ امرأة حمقاء لا فائدة منها! هل تظنين حقاً

أن هناك من يهتم إن عشن أو متن؟ أنا لا أظن ذلك.

انفجرت كورنيليا فيه وهي تقول: إذن فأنت مخطئ! كما أنني أشعر بالغثيان عندما أسمعك تتكلم وتثرثر وكأن أحداً لا يستحق أن يهتم الناس به سواك. لم أكن أحب السيدة أوتربورن كثيراً لكن ابنتها كانت تحبها كثيراً وقد تحطم فؤادها بسبب وفاة أمها. لا أعرف عن الخادمة الفرنسية الكثير لكنني أظن أن لديها أناساً في مكان ما يحبونها، وبالنسبة للينيت دويل فقد كانت رائعة الجمال بعيداً عن أي شيء آخر! كانت من الجمال بحيث تثير جواً مميزاً أينما حلّت. أنا شخصياً دميمة الشكل، وهو ما يجعلني أقدّر الجمال كثيراً. كانت جميلة كجمال أية تحفة فنية إغريقية، وعندما يموت أي شيء جميل فإنه خسارة.

تراجع السيد فيرغسون خطوة إلى الوراء وهو يقول: لقد سلّمت وألقيت سلاحي! إنك فظيعة لا تُصدَّقين، ليست لديك ذرة من مشاكسة النساء وكيدهن الطبيعي.

ثم التفت إلى بوارو وقال: هل تعرف يا سيدي؟ إن والد كورنيليا قد تحطم عملياً بسبب والد لينيت، ولكن هل تشعر هذه الفتاة بالغيرة والحقد عندما ترى الوريثة تبحر معها وهي تلبس اللؤلؤ وأزياء باريس؟ لا، إنها تقول بحماقة: أليست جميلة؟ كالفتاة الساذجة المسكينة. لا أظن أنها تحمل حتى مشاعر المرارة تجاهها.

احمرّ وجه كورنيليا وقالت: بل لقد شعرت بذلك للحظة... لقد مات أبي بسبب الإحباط لأنه لم ينجح في عمله.

- ومع ذلك شعرت بالمرارة للحظة؟

نظرت كورنيليا إليه غاضبة وقالت: حسناً، ألم تقل قبل قليل إن المستقبل هو الذي يهمّ وليس الماضي؟ ألم يحدث ذلك كله في الماضي؟ لقد انتهى.

قال فيرغسون: لقد غلبتِني في هذه يا كورنيليا روبسون. أنت المرأة اللطيفة الوحيدة التي صادفتها في حياتي، هل تتزوجينني؟

- لا تكن سخيفاً.

- إنه طلب زواج حقيقي، حتى لو لم يحضره إلاّ شرطي عجوز. أنت شاهد يا سيد بوارو، لقد عرضت على هذه الأنثى الزواج وأنا في كامل قواي العقلية رغم معارضتي لمبدأ الزواج. هيا يا كورنيليا، قولي نعم.

قالت كورنيليا وقد احمرّ وجهها خجلاً: أظن أنك سخيف إلى أبعد حد.

- لماذا لا تريدين الزواج بي؟

- لأنك غير جاد.

- هل تقصدين أنني غير جادّ في عرض الزواج أم تقصدين أنني غير جاد من حيث الشخصية.

- كلاهما، لكنني كنت أقصد الشخصية؛ إنك تضحك وتهزأ من كل شيء جاد، التعليم والثقافة والموت... لن تكون ممن يُعتمَد عليهم.

سكتت واحمرّ وجهها مرة أخرى، ثم أسرعت إلى داخل كابينتها. حدّق فيرغسون إليها وهي تنسحب وقال: تبّاً لها من فتاة! أظن أنها تعني حقاً ما تقول... تريد رجلاً يُعتمَد عليه. يُعتمد عليه؟ يا إلهي!

سكت قليلاً ثم قال بفضول: ماذا دهاك يا سيد بوارو؟ تبدو مستغرقاً في التفكير.

جفل بوارو وقال: إنني أفكر، هذا كل ما في الأمر؛ أفكّر.

- «التفكير في الموت» بقلم هيركيول بوارو... أحد موضوعاته الشهيرة.

قال بوارو: أنت شاب وقح جداً يا سيد فيرغسون.

- ينبغي أن تعذرني، إنني أحب مهاجمة المؤسسات الحاكمة.

- وهل أنا مؤسسة حاكمة؟

- تماماً. ما رأيك بتلك الفتاة؟

- الآنسة روبسون؟

- نعم.

- أظن أنها تملك شخصية قوية جداً.

- هذا صحيح، إنها تملك شخصية قوية. تبدو خنوعة لكنها ليست كذلك. إنها ذكية، إنها... آه، تباً لها! أريد تلك الفتاة، لو تكلمت مع السيدة العجوز فلن يكون ذلك تصرفاً سيئاً، لو أنها أخذت موقفاً عدائياً مني فأظن أن ذلك سيؤثر في كورنيليا.

ثم استدار وذهب إلى صالة المراقبة. كانت الآنسة فان شويلر جالسة في زاويتها المعتادة، كانت تبدو أكثر تكبراً وغطرسة من عادتها وقد انشغلت بحياكتها. ذهب فيرغسون إليها، ودخل هيركيول بوارو دون تطفل فجلس على بعد معين وبدا مستغرقاً في قراءة مجلة.

- مساء الخير آنسة فان شويلر.

رفعت الآنسة فان شويلر بصرها لبضع ثوان ثم خفضته ثانية وتمتمت كارهة: إيه، مساء الخير.

- اسمعيني يا آنسة فان شويلر، أريد أن أتحدث معك

بخصوص شيء بالغ الأهمية. الأمر باختصار أنني أريد الزواج بابنة عمك.

سقطت كرة الصوف من يد الآنسة فان شويلر وتدحرجت على أرض الصالة، ثم قالت بنبرة تقطر سُمّاً: لا بد أنك فقدت عقلك أيها الشاب!

- أبداً، لقد طلبت يدها للزواج.

استعرضته الآنسة فان شويلر بنظرات باردة كما لو كانت تتأمل حشرة من نوع غريب، ثم قالت: حقاً؟ وأظن أنها هي التي أرسلتك إليّ؟

- لقد رفضتني.

- هذا أمر طبيعي.

- ليس أمراً طبيعياً أبداً، سأستمر في الطلب إلى أن توافق.

أجابته بنبرة شرسة: أؤكد لك أنني سأتخذ الاحتياطات اللازمة حتى أتأكد من عدم خضوع ابنة عمي الصغيرة لأية مضايقات من هذا النوع.

- ماذا لديك ضدي؟

لم تزد الآنسة فان شويلر على أن رفعت حاجبيها وسحبت خيط الصوف الممتد على الأرض بقوة في محاولة لاستعادته وإنهاء المقابلة. ألحّ عليها السيد فيرغسون: هيا قولي، ماذا عندك ضدي؟

- أظن أن هذا واضح جداً يا سيد... لا أدري ما اسمك؟

- فيرغسون.

- سيد فيرغسون.

تلفظت الآنسة فان شويلر بالاسم باستياء واضح ثم قالت: إن مثل هذه الفكرة مستحيلة.

- تقصدين أنني لا أصلح لها؟

- أظن أن هذا واضح بالنسبة لك.

- ولماذا لا أصلح؟

لم تردّ عليه الآنسة فان شويلر للمرة الثانية، قال فيرغسون: لديّ ساقان ويدان، وصحتي جيدة وعقلي معقول، ما العيب في هذا؟

- يوجد شيء اسمه المركز الاجتماعي يا سيد فيرغسون.

- المركز الاجتماعي مجرد دجل!

فُتح الباب بقوة ودخلت كورنيليا، لكنها وقفت جامدة عندما رأت ابنة عمها المهيبة تتحدث مع طالب يدها المستقبلي. التفت السيد فيرغسون الغاضب برأسه وابتسم ابتسامة عريضة وصاح: تعالي يا كورنيليا، إنني أطلب يدك للزواج حسب أفضل الطرق المتبعة.

صاحت الآنسة فان شويلر بصوت كان فظيعاً حقاً: كورنيليا، هل شجّعتِ هذا الشاب؟

- أنا، لا، لا بالطبع، على الأقل ليس بالضبط. أقصد...

- ماذا تقصدين؟

تدخل فيرغسون لمساعدتها: لم تشجّعني، بل لقد قمت بذلك بدافع من نفسي. إنها لم تدفعني إلى الواجهة لأن لديها قلباً طيباً عطوفاً. كورنيليا... إن ابنة عمك تقول بأنني لا أصلح لك، وهذا صحيح بالطبع ولكن ليس بالمعنى الذي تقصده. إن تكويني

الأخلاقي لا يوازي بالتأكيد تكوينك، ولكن قصدها هو أنني أدنى منك منزلة اجتماعية.

قالت الآنسة فان شويلر: أظن أن هذا واضح تماماً لكورنيليا.

نظر السيد فيرغسون إليها متفحصاً: هل هذا صحيح؟ أهذا سبب رفضك لي؟

احمرّ وجه كورنيليا وقالت: لا، ليس هذا. إذا... إذا أحببتك فسوف أتزوجك بغض النظر عمّن تكون.

- ولكنك لا تحبينني؟

- أظن... أظن أنك فاضح؛ الطريقة التي تقول بها الأشياء والأشياء التي تقولها... لم أرَ رجلاً مثلك من قبل. إنني...

بدت وكأن الدموع على وشك أن تغلبها، ثم خرجت من الصالة مسرعة. قال السيد فيرغسون: هذه ليست بداية سيئة إجمالاً.

أسند ظهره إلى كرسيه وحملق إلى السقف وأخذ يصفر وهو يضع ساقاً على ساق، ثم قال: سأناديك عمتي إذن؟

ارتجفت الآنسة فان شويلر غضباً وقالت: اخرج من هنا فوراً وإلاّ سأنادي المضيف.

قال السيد فيرغسون: لقد دفعتُ ثمن تذكرتي ولا يمكنهم إخراجي من قاعة عامة، ولكني سأنزل عند طلبك.

ثم خرج وهو يدندن. وحاولت الآنسة فان شويلر أن تكافح لتقف على قدميها وهي تشتعل غضباً، فقام بوارو بهدوء وأعاد كرة الصوف إلى صاحبتها. قالت: شكراً لك يا سيد بوارو، أرجو أن ترسل لي الآنسة باورز. أشعر بالانزعاج... ذلك الشاب الوقح!

- أظن أنه غريب الأطوار. معظم أفراد عائلته هكذا، لقد أفسدهم الدلال بالطبع وهم ميّالون دوماً لمحاربة طواحين الهواء.

ثم أضاف بشيء من عدم الاهتمام: أظن أنك عرفتِه؟

- عرفته؟

- إنه يسمّي نفسه فيرغسون ولا يستخدم لقبه أبداً بسبب أفكاره التقدمية.

كانت نبرة الآنسة فان شويلر حادة وهي تسأل: لقبه؟

- نعم، إنه اللورد داوليش الصغير. إنه يتقلب في الثراء بالطبع، لكنه مال إلى الشيوعية عندما درس في جامعة أكسفورد.

ظهرت مجموعة من الانفعالات المتضاربة على وجه الآنسة فان شويلر وقالت: منذ متى وأنت تعرف هذا يا سيد بوارو؟

رفع بوارو كتفيه بلامبالاة وهو يقول: كانت توجد صورة في إحدى الصحف، وقد لاحظت الشبه، ثم وجدت خاتماً منقوشاً عليه الشعار الرسمي لعائلته. آه، ليس هناك شك في ذلك، أؤكد لك.

استمتع بوارو هو يقرأ التعابير المتضاربة التي ظهرت بالتعاقب على وجه الآنسة فان شويلر، ثم قالت وهي تميل برأسها: أنا شاكرة لك كثيراً يا سيد بوارو.

نظر بوارو إليها وهي خارجة وابتسم، ثم جلس وقد ظهر الهمّ على وجهه من جديد. كان يفكر في أمر ما. وكان يومئ برأسه من وقت لآخر، ثم قال أخيراً: أجل، كل الحقائق أصبحت متطابقة.

* * *

الفصل السادس والعشرون

كان ما يزال جالساً هناك عندما وجده ريس، فسأله قائلاً: حسناً يا بوارو، ماذا سنعمل؟ سيحضر بيننغتون خلال عشر دقائق، سأترك هذه المسألة بين يديك.

نهض بوارو بسرعة وقال: قبل كل شيء نريد الشاب فانثورب.

بدا ريس دَهِشاً وقال: فانثورب؟

- نعم، أحضره إلى غرفتي.

أومأ ريس ثم انطلق، وذهب بوارو إلى غرفته، ثم وصل ريس مع الشاب فانثورب بعده بدقيقة أو دقيقتين. أشار بوارو إليهما بالجلوس ثم قال: والآن يا سيد فانثورب، إلى العمل! أرى أنك ترتدي ربطة عنق مشابهة لتلك التي يرتديها صديقي هيستنغز.

نظر جيم فانثورب إلى ربطة عنقه وعلامات الحيرة على وجهه ثم قال: إنها ربطة إنكليزية قديمة.

- بالضبط. يجب أن تفهم أنه على الرغم من أنني أجنبي إلاّ أنني أعرف بعض الأشياء عن الذوق الإنكليزي ووجهات النظر الإنكليزية. إن العرف يبقى موجوداً؛ المدرسة القديمة لربطة العنق هي المدرسة القديمة لربطة العنق، وهناك أشياء معينة -وقد عرفت ذلك من خلال التجربة- لا تنسجم معها المدرسة القديمة لربطة

العنق، وأحد تلك الأشياء يا سيد فانثورب هو تدخل المرء دون طلب في حديث خاص لأناس لا يعرفهم.

حدّق فانثورب إليه، فيما أكمل بوارو يقول: وقبل أيام -يا سيد فانثورب- كان هذا ما فعلته أنت بالضبط؛ أشخاص معينون كانوا يناقشون في الصالة مواضيع عمل خاصة فيما بينهم، وقد اقتربت منهم لتسمع ما كان يدور من حديث ثم التفَتّ إليهم وهنأت السيدة دويل على تصرفها السليم العاقل.

احمرّ وجه جيم فانثورب كثيراً، وأكمل بوارو بسرعة دون انتظار تعليقه: لكن هذا -يا سيد فانثورب- لم يكن أبداً سلوك شخص يرتدي ربطة عنق مشابهة لتلك التي يرتديها صديقي هيستنغز؛ فهيستنغز كله كياسة، وقد كان من شأنه أن يموت خجلاً قبل أن يقوم بمثل هذا العمل. فإذا ما ربطنا تصرفك هذا بحقيقة أنك شاب صغير لا يستطيع تحمل النفقات الباهظة لرحلة كهذه، وكونك محامياً في شركة للمحاماة وبالتالي لا يمكن أن تكون من الأغنياء، كما لا تظهر عليك علامات مرض وهو أمر قد يستدعي قيامك بسفر طويل خارج البلاد، فإنني أسأل نفسي وأسألك الآن: ما هو سبب وجودك على متن هذه السفينة؟

قذف جيم فانثورب رأسه إلى الوراء بقوة وقال: أرفض أن أعطيك أية معلومات مهما كانت يا سيد بوارو، وأظن حقاً أنك مجنون دون شك.

- لست مجنوناً، بل أنا عاقل جداً جداً. أين شركتك؟ في نورثهامبتُن؟ هذا ليس بعيداً جداً عن «وُدهول». ما هو الحديث الذي حاولتَ سماعه؟ حديث يتعلق بمستندات قانونية. ماذا كان الغرض من ملاحظتك، الملاحظة التي قلتها بارتباك وقلق واضحَين؟ كان هدفك هو منع السيدة دويل من توقيع أية ورقة دون قراءتها.

سكت بوارو قليلاً ثم قال: لقد وقعت في هذه السفينة جريمة قتل وتبع تلك الجريمة جريمتان غيرها في تتابع سريع، وإذا قلت لك بأن السلاح الذي قُتلت به السيدة أوتربورن هو مسدس يملكه السيد أندرو بيننغتون فربما ستدرك أن من واجبك أن تخبرنا بكل ما تعرفه.

صمت جيم فانثورب لبضع دقائق، ثم قال أخيراً: إن طريقتك غريبة يا سيد بوارو في تناول الأمور، ولكني أقدّر النقاط التي أشرت إليها. المشكلة أنني لا أملك معلومات مضبوطة يمكنني وضعها بين يديك.

- تقصد أنها مسألة اشتباه فقط.

- نعم.

- ولذلك فأنت تعتقد أنه ليس من العدل الحديث؟ قد يكون هذا صحيحاً من الناحية القانونية، لكن هذا الحديث ليس محكمة. الكولونيل ريس وأنا نسعى للإمساك بقاتل، وأي شيء يمكن أن يساعدنا في عملنا هذا قد يكون ذا قيمة كبيرة.

فكر جيم فانثورب من جديد ثم قال: حسناً، ما الذي تريد معرفته؟

- لماذا جئت في هذه الرحلة؟

- لقد أرسلني خالي السيد كارمايكل، المحامي الإنكليزي للسيدة دويل الذي تولى أكثر شؤونها القانونية، وبهذا كانت تدور بينه وبين السيد أندرو بيننغتون (وهو الوصي الأمريكي على أموال السيدة دويل) الكثير من المراسلات. وقد وقعت حوادث صغيرة كثيرة لا يمكنني تعدادها جميعاً فدفعت خالي إلى الاشتباه بأن الأمور لا تجري كما ينبغي لها تماماً.

قال ريس: أي أن خالك -بصريح القول- قد شكّ في أن بيننغتون محتال، أليس كذلك؟

أومأ جيم فانثورب وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة باهتة ثم قال: لقد عبّرتَ عن الأمر بفظاظة ما كنت لأستخدمها، ولكن الفكرة الرئيسية صحيحة؛ إن الذي أثار شكوك خالي كان الأعذار المتنوعة التي كان يقدمها بيننغتون وتبريرات معينة بشأن صرف الأموال. وبينما كانت شكوكه هذه عائمة لم تتخذ بعد شكلاً واضحاً تزوجت الآنسة ردجوي بطريقة غير متوقعة وذهبت إلى مصر لقضاء شهر العسل، وقد أراح زواجها تفكير خالي لأنه كان يعلم أنها عند عودتها إلى إنكلترا سيكون الإرث قد تمت تسويته رسمياً وسُلِّم لها. ثم كتبت له رسالة من القاهرة وذكرت عرَضاً بأنها التقت مصادفة وعلى نحو غير متوقع بأندرو بيننغتون، فازدادت شكوك خالي وأحس بأن بيننغتون ربما أصبح في وضع يائس ولذلك سيحاول الحصول منها على تواقيع تغطي اختلاساته. وحيث إن خالي لا يملك دليلاً واضحاً محدداً يضعه أمامها فقد بات في وضع صعب للغاية، ولم يكن أمامه إلاّ أن يرسلني إلى هنا جواً مع تعليمات باستكشاف ما يجري. كان عليّ إبقاء عينَي مفتوحتين وأن أعمل بشكل عاجل إن لزم الأمر. وأؤكد لك أنها مهمة بغيضة جداً، والواقع أنه كان عليّ أن أتصرف كإنسان بلا تربية في ذلك الحادث الذي أشرتَ إليه! كان تصرفاً غير لائق، ولكني كنت راضياً عن النتيجة إجمالاً.

سأله ريس: تقصد أنك جعلت السيدة دويل تحذر؟

- ليس ذلك بالضبط بل أعتقد أنني أخفت بيننغتون، أحسست بالاقتناع بأنه لن يحاول الإقدام على تصرف مشبوه لفترة من الوقت، وخلال تلك الفترة كنت آمل أن أحسّن من علاقتي بالسيد دويل وزوجته حتى أوصل لهما بعض التحذيرات. والواقع أنني كنت أرجو أن أفعل ذلك من خلال السيد دويل، فقد كانت السيدة متعلقة

كثيراً بالسيد بيننغتون ولذلك كان مستحيلاً أن أقترح عليها شيئاً معيناً بشأنه، كان أسهل عليّ أن أتقرب من الزوج.

أومأ ريس، وسأله بوارو: هل يمكنك إعطائي رأياً صريحاً بشأن نقطة معينة يا سيد فانثورب؟ إذا أوكل إليك شخص القيام بعملية احتيال أو خداع فهل كنت ستختار السيدة دويل أم زوجها ضحية لك؟

ابتسم فانثورب ابتسامة باهتة وقال: السيد دويل قطعاً. كانت لينيت دويل ذكية جداً في أمور العمل، أما زوجها فأظن أنه ممن ينزعون إلى الثقة بالآخرين ومن الذين لا يعرفون شيئاً عن أمور العمل، وهؤلاء مستعدون دائماً للتوقيع على بياض كما قال هو عن نفسه.

قال بوارو: أتفق معك في هذا.

نظر إلى ريس ثم أكمل يقول: وهناك أيضاً الدافع الذي ذكرته.

قال جيم فانثورب: لكن هذا مجرد حدس، إنه ليس دليلاً.

أجابه بوارو بسرعة: آه، لا عليك، سنحصل على الدليل!

- كيف؟

- ربما من السيد بيننغتون نفسه.

بدا فانثورب مرتاباً، وقال: أشك، أشك كثيراً.

نظر ريس إلى ساعته وقال: إنه على وشك الوصول الآن.

فهم جيم فانثورب الإشارة سريعاً فتركهما، وبعد ذلك بدقيقتين وصل أندرو بيننغتون. كان يبتسم ويتصرف بلطف وكياسة، إلاّ أن فكّه المشدود والاحتراس البادي في عينيه عكسا حقيقة أن

هذا المقاتل المتمرس متيقظ حذر. قال: حسناً أيها السادة، ها قد جئت.

ثم جلس ونظر إليهما نظرات تساؤل. بدأ بوارو الحديث: لقد طلبنا منك -يا سيد بيننغتون- المجيء إلى هنا لأن من الواضح تماماً أن لك اهتماماً خاصاً جداً وعلاقة مباشرة بالقضية.

رفع بيننغتون حاجبيه قليلاً وقال: حقاً؟

- بالتأكيد، فقد كنت تعرف لينيت ردجوي منذ أن كانت طفلة كما علمت.

- آه! ذلك ما تعنيه.

تغيّر وجهه وبدا أقل احتراساً وقال: أرجو المعذرة، لم أفهمك جيداً. نعم، كما قلت لك هذا الصباح، لقد عرفت لينيت منذ طفولتها.

- هل كنت على صلة قوية وحميمة مع والدها؟

- نعم، كنت وميلهويش ردجوي صديقين مقربين جداً جداً.

- كانت الصلة بينكما من القوة بحيث عيّنك عند وفاته راعياً لأملاكه وقيّماً على ابنته والثروة الواسعة التي ورثتها؟

- هذا صحيح عموماً.

عاد الاحتراس إلى عينيه مرة أخرى. كانت نبرته أكثر حذراً وقال: لم أكن الوصي الوحيد بالطبع فهناك آخرون معي.

- آخرون ماتوا تباعاً؟

- مات اثنان منهم، أما الآخر، وهو السيد سترنديل روكفورد، فما زال حياً.

- هل هو شريكك؟

- نعم.

- فهمتُ أن الآنسة ردجوي لم تكن قد بلغت السن القانونية عندما تزوجت؟

- كانت ستبلغ الحادية والعشرين من عمرها في شهر تموز المقبل.

- وحسب الوضع الطبيعي فإنها كانت ستصبح حرة التصرف بثروتها في ذلك التاريخ؟

- نعم.

- لكن زواجها عجّل بالأمر، أليس كذلك؟

تصلب فك بيننغتون وبدت نظرته عدوانية وقال: أرجو المعذرة أيها السادة، ولكن هل هذا العمل من شأنكما؟

- إذا كنت تكره الإجابة على السؤال...

- ليس في الأمر كراهية، لا يهمني ما تسألني عنه، لكني لا أرى أن لهذا صلة بالأمر.

مال بوارو إلى الأمام وعيناه الخضراوان تشعان وقال: آه، ولكن هناك بالتأكيد -يا سيد بيننغتون- موضوع الدافع، وعند التفكير فيه ينبغي دوماً أخذ الاعتبارات المالية في الحسبان.

ردّ بيننغتون عابساً: بموجب وصية ردجوي فإن لينيت تحصل على ثروتها عندما تصبح في سن الحادية والعشرين أو عندما تتزوج.

- ألا توجد أية شروط لذلك؟

- لا توجد شروط.

- وأظن أن هذه الثروة تقدَّر بالملايين؟

- نعم.

- لقد كانت مسؤوليتك أنت وشريكك مسؤولية خطيرة جداً يا سيد بيننغتون.

أجابه بيننغتون بهدوء: نحن معتادون على المسؤولية وهي لا تقلقنا أبداً.

- ربما.

أثار شيء في نبرته غضب المحامي، فسأله غاضباً: وما الذي تقصده بقولك «ربما»؟

أجابه بوارو بصراحة: كنت أتساءل -يا سيد بيننغتون- إن كان زواج لينيت ردجوي المفاجئ قد سبّب أي ذعر في مكتبكم؟

- ذعر؟

- هذا ما قلته.

- ما الذي ترمي إليه بربّك؟

- أرمي إلى شيء بسيط للغاية: هل أمور لينيت دويل المالية في وضعها الصحيح كما ينبغي لها أن تكون؟

نهض بيننغتون وقال: هذا يكفي، أنا خارج.

ثم اتجه إلى الباب.

- ولكن ألن تجيب على سؤالي أولاً؟

- إنها في أفضل وضع.

- ألم تنزعج عندما علمت بخبر زواج لينيت ردجوي مما دفعك إلى السفر إلى أوروبا في أول باخرة ثم قمت بتمثيلية لقاء المصادفة بلينيت في مصر؟

عاد بيننغتون إليهما، كان قد ضبط أعصابه من جديد وقال: إن ما تقوله هراء مطلق! لم أكن أعرف أن لينيت كانت متزوجة إلى أن التقيت بها في القاهرة. لقد ذُهلت تماماً، لا بد أن رسالتها قد وصلت بعد سفري من نيويورك بيوم، وقد أعيد إرسالها من هناك واستلمتها بعد أسبوع من ذلك.

- أظن أنك قلت بأنك جئت إلى هنا على الباخرة كارمانيك؟

- هذا صحيح.

- وهل وصلت الرسالة إلى نيويورك بعد إبحار كارمانيك؟

- كم مرة ينبغي عليّ تكرار هذا الكلام؟

- هذا غريب.

- وما هو الغريب.

- لا توجد أي ملصقات على أمتعتك تشير إلى أنك رحلت على السفينة كارمانيك، الملصقات الوحيدة الحديثة المتعلقة بالشحن البحري الموجودة على أمتعتك هي ملصقات الباخرة نورماندي، وأذكر أن النورماندي قد أبحرت بعد كارمانيك بيومين.

ارتبك المحامي لبعض الوقت ودارت عيناه من مكان لآخر. ثم تدخل الكولونيل ريس لحسم الموضوع فقال: هيا يا سيد بيننغتون، فلدينا أسباب عديدة تدعونا إلى الاعتقاد بأنك جئت بالباخرة نورماندي وليس كارمانيك كما تقول، وفي هذه الحالة فإنك تكون قد تلقيت رسالة السيدة دويل قبل مغادرة نيويورك. من غير المفيد إنكار هذه الحقيقة لأن أسهل شيء في هذه الدنيا هو التدقيق مع

شركات الملاحة البحرية لمعرفة الحقيقة.

تحسس أندرو بيننغتون الكرسي وهو شارد الذهن ثم جلس عليه. كان وجهها جامداً خالياً من أي تعبير، وخلف هذا القناع كان دماغه النشيط ينظر بعيداً إلى الخطوة التالية، وأخيراً قال: لا بد من التسليم لكما يا سادة، لقد كنتما ذكيين جداً بالنسبة لي، ولكن كانت لي أسبابي التي دعتني إلى التصرف كما فعلت.

ردّ ريس عليه بنبرة مهذبة: لا شك.

- ويجب أن تفهما أن ما سأصرح به يجب أن يبقى سراً.

- أظن أن باستطاعتك أن تثق في أننا نتصرف تصرفاً مناسباً، ومن الطبيعي أن لا نستطيع إعطاء توكيدات دون أن نعرف الحقيقة.

قال بيننغتون: حسناً، سأصارحكما. كانت تجري في إنكلترا بعض الأعمال الخبيثة مما أزعجني، لم أستطع أن أحلّ المشكلة بالرسائل، وكان العمل الوحيد الممكن هو الذهاب إلى هناك لأرى نفسي.

- ما الذي تقصده بالأعمال الخبيثة؟

- كان لديّ أسباب للاعتقاد بأن لينت تتعرض للاحتيال.

- ممّن؟

- من قِبَل محاميها البريطاني. وهذا بالطبع ليس اتهاماً يمكن للمرء أن يلقيه جزافاً، فقررت الذهاب مباشرة لأرى الأمور بنفسي.

- أنا واثق أن هذا بسبب فرط حذرك واحتراسك، ولكن لماذا حاولت خداعنا بقولك إنك لم تتلقَّ الرسالة؟

رفع بيننغتون يديه عالياً وقال: حسناً، لا يمكنك التطفل

على زوجين يقضيان شهر العسل دون أن تضطر إلى الدخول في التفصيلات العملية وإعطاء سبب وجيه لذلك، ولذلك رأيت أن أفضل طريقة هي جعل اللقاء يبدو وكأنه مصادفة، كما أنني لم أكن أعرف أي شيء عن الزوج، فقد يكون متورطاً في عملية الاحتيال.

قال الكولونيل ريس بجفاف: الواقع أن كل تصرفاتك كانت مدفوعة باللامبالاة.

- لقد قلتَها أيها الكولونيل.

سكت الجميع قليلاً، ونظر ريس إلى بوارو فمال بوارو إلى الأمام وقال: يا سيد بيننغتون، إننا لا نصدق كلمة واحدة من أقوالك.

- إلى الجحيم، صدقت أم لم تصدق! وما هو الذي تصدقه؟

- إننا نعتقد أن زواج لينيت ردجوي الغير المتوقَّع قد وضعك في مأزق مالي وأنك قد جئت إلى هنا بأقصى سرعة في محاولة للعثور على مخرج من الورطة التي كنت فيها، أي لتجد طريقة ما لكسب الوقت. إن هذا الهدف جعلك تسعى للحصول على توقيع السيدة دويل على بعض المستندات لكنك فشلت. كما نعتقد أنك في رحلة النيل، عندما كنت تسير فوق المنحدر الصخري فوق معبد أبي سمبل، دحرجت صخرة كبيرة فوقعت على الأرض، لكنها أخطأت هدفها على مسافة قريبة جداً.

- أنت مجنون.

- إننا نعتقد أن نفس الظروف حدثت في رحلة العودة، أي أن فرصة أتيحت لك للتخلص من السيدة دويل في لحظة كانت وفاتها فيها ستُنسَب إلى شخص آخر غيرك بالتأكيد. إننا لا نعتقد ذلك فقط، بل نعرف معرفة اليقين أن مسدسك هو الذي قتل امرأة كانت

على وشك أن تكشف لنا اسم الشخص الذي كانت تعتقد جازمة بأنه هو الذي قتل لينيت دويل والخادمة لويز.

- تباً!

علت صيحة الرجل وقاطعت وصف بوارو للأحداث، وأكمل الرجل يقول غاضباً: ما الذي تريد الوصول إليه؟ هل أنت مجنون؟ ما هو الدافع الذي أملكه لقتل لينيت؟ ما كنت لأحصل على مالها لأن المال يؤول إلى زوجها. لماذا لا تذهب إليه؟ إنه الشخص المستفيد ولست أنا.

قال ريس ببرود: السيد دويل لم يبرح الصالة ليلة الجريمة إلى أن أصيب برصاصة في ساقه. إن استحالة سيره خطوة واحدة بعد ذلك يشهد عليها طبيب وممرضة، وكلاهما شاهدان مستقلان وموثوقان. لم يكن سيمون دويل يستطيع قتل زوجته ولم يكن يستطيع قتل لويز بورجيه، ومن المؤكد قطعاً أنه لم يقتل السيدة أوتربورن... أنت تعرف هذا كما نعرفه.

بدا بيننغتون أكثر هدوءاً وقال: أعرف أنه لم يقتلها، كل ما أريد قوله هو: لماذا تختارونني أنا وأنا لا أستفيد من وفاتها؟

قال بوارو: ولكن يا سيدي العزيز، هذه مسألة رأي فقط. كانت السيدة دويل امرأة ذكية وبارعة في أمور العمل وواعية تماماً لشؤونها الخاصة وسريعة جداً في كشف أي احتيال، فحالما تضع يدها على ثروتها وأملاكها (وهو ما كان سيحدث عند عودتها إلى إنكلترا) فإن شكوكها ستثور، ولكن بما أنها الآن قد ماتت وبما أن زوجها -كما قلت قبل قليل- سيرثها، فإن كل شيء يختلف. فسيمون دويل لا يعرف أي شيء عن أمور زوجته المالية ما عدا أنها امرأة غنية، إنه رجل بسيط يثق بالآخرين، وسوف تجد أنه من السهل جداً وضع بيانات معقدة أمامه وتغليف القضية الأساسية

بسيل من الأرقام وتأخير عملية التسوية المالية متعذراً بالشكليات القانونية وحالة الكساد الاقتصادي... أظن أن التعامل مع الرجل مختلف جداً عن التعامل مع زوجته بالنسبة لك.

رفع بيننغتون كتفيه بلامبالاة وقال: أفكارك غريبة!

- سترينا الأيام.

- ماذا قلت؟

- قلت: سترينا الأيام! إنها مسألة ثلاث وفيات، ثلاث جرائم قتل. ستطلب الجهات القانونية إجراء تحقيق بالغ الشمولية والدقة في وضع أملاك السيدة دويل.

رأى الارتخاء المفاجئ في كتفي الرجل فعرف أنه قد فاز؛ لقد كانت شكوك جيم فانثورب قائمة على أساس صحيح. وأكمل بوارو يقول: لقد لعبتَ وخسرت، ومن غير المجدي الاستمرار في الكذب.

قال بيننغتون: أنت لا تفهم. الحق أن كل شيء واضح تماماً؛ إنه بسبب هذا الانهيار المشؤوم في بورصة وول ستريت. لكني وضعت خطة لاستعادة المركز المالي السابق، ومع وجود الحظ سيكون كل شيء على ما يرام بحلول منتصف حزيران القادم.

قال بوارو: أظن أن تلك الصخرة كانت إغراء خطر لك فجأة، ظننتَ أن أحداً لم يشاهدك؟

- كانت تلك حادثة، أقسم أنها كانت حادثة!

مال الرجل بجسده إلى الأمام وعيناه مرعوبتان ووجهه يضطرب وقال: لقد تعثرت ووقعت على الصخرة، أقسم أنها كانت غير مقصودة.

لم يقل الرجلان شيئاً. وفجأة استجمع بيننغتون شتات نفسه، كان ما يزال محطماً ولكن روحه القتالية قد عادت إليه إلى حدّ ما، قال وهو يتّجه صوب الباب: لا يمكنكم إثبات هذا عليّ يا سادة، كان مجرد حادث عرَضي، ولم أكن أنا من أطلق عليها النار. هل تسمعان؟ لا يمكنكم إثبات هذا عليّ أيضاً، ولن تستطيعوا أبداً.

ثم خرج.

* * *

الفصل السابع والعشرون

بعد أن أغلق بيننغتون الباب وراءه تنهد ريس تنهيدة عميقة وقال: لقد حصلنا على أكثر مما توقعنا؛ اعتراف بالاحتيال واعتراف بمحاولة القتل. من المستحيل الحصول على أكثر من هذا، قد يعترف المرء بمحاولة القتل بشكل أو بآخر ولكنك لا تستطيع إرغامه على الاعتراف بالجريمة نفسها.

قال بوارو بعينين حالمتين: أحياناً يمكن القيام بذلك.

نظر ريس إليه بفضول وقال: هل لديك خطة؟

أومأ بوارو ثم قال وهو يعدّد باستخدام أصابعه: الحديقة في أسوان، أقوال السيد أليرتون، زجاجتا طلاء الأظافر، الشال المخملي، المنديل الملطخ بالدم، المسدس الذي تُرك في مسرح الجريمة، وفاة لويز، وفاة السيدة أوتربورن... نعم، كل هذا مفسَّر لدي، إن بيننغتون لم يفعل ذلك يا ريس.

جفل ريس وهو يقول: ماذا؟

- بيننغتون لم يفعلها. لديه الدافع؟ نعم. لديه الإرادة لأن يفعلها؟ نعم. كما أنه ذهب إلى محاولة قتلها، ولكن هذا كل شيء بالنسبة له لأن هذه الجريمة كانت تتطلب شيئاً لا يملكه بيننغتون! هذه جريمة تطلبت جرأة وسرعة ودقة في التنفيذ وشجاعة لا تبالي بالخطر وعقلاً واسع الحيلة، وبيننغتون لا يملك هذه الصفات. لم

يكن بوسعه تنفيذ جريمة ما لم يتأكد من أنها ستكون آمنة مضمونة، وهذه الجريمة لم تكن آمنة! كانت كمن يقف على حدّ السكين، وقد تطلبت جرأة. بيننغتون ليس جريئاً، إنه رجل ذكي فقط.

نظر ريس إليه باحترام وقال: يبدو أنك تعرف كل شيء عن هذه المعضلة.

- أظن ذلك، نعم. لكن يبقى شيء واحد أو شيئان؛ على سبيل المثال تلك البرقية التي قرأتها لينيت دويل، أريد توضيح هذه المسألة.

- لقد نسينا سؤال دويل عنها. كان يتكلم معنا عندما جاءت المسكينة السيدة أوتربورن، سنسأله ثانية.

- في الحال، ولكن هناك شخصاً آخر أريد الحديث معه أولاً.

- ومن هو؟

- تيم أليرتون؟

رفع ريس حاجبيه دهشة وقال: أليرتون؟ حسناً، سنحضره إلى هنا.

ضغط على زر الجرس فجاء المضيف، فأرسله في طلب تيم أليرتون. بعد دقائق دخل تيم أليرتون وعلامات التساؤل على وجهه: أخبرني المضيف أنكم تريدون رؤيتي؟

قال السيد بوارو: هذا صحيح يا سيد أليرتون، اجلس.

جلس تيم، كان وجهه مصغياً ولكن بدت عليه مسحة من الضجر، قال: هل يمكنني المساعدة بشيء؟

قالها بنبرة مهذبة ولكنها غير حماسية. قال بوارو: ربما،

بطريقة ما. إن ما أطلبه منك في الحقيقة هو أن تصغي.

رفع تيم حاجبيه وقد علته بعض الدهشة، وقال: بالتأكيد، أنا أفضل مستمع في العالم.

- هذا جميل، لنبدأ. عندما التقيت بك وأمك في أسوان -يا سيد أليرتون- لفت انتباهي كثيراً رفقتكما لبعضكما، ورأيتُ والدتك واحدة من أكثر الناس الذين رأيتهم جاذبية.

ارتعد الوجه الضجِر للحظة وعلاه تعبير باهت ما، ثم قال: نعم، إنها فريدة.

- لكن الشيء الثاني الذي أثار اهتمامي هو ذكرك لسيدة معينة.

- حقاً؟

- نعم، الآنسة جوانا ساوثْوُد. لقد كنت أسمع بهذا الاسم مؤخراً.

سكت قليلاً ثم قال: لقد وقعت في السنوات الثلاث الماضية حوادث سرقة جواهر أزعجت شرطة سكتلنديارد كثيراً، وهي سرقات يمكن وصفها بأنها سرقات في أوساط المجتمع الراقي. الأسلوب هو نفسه دائماً، إبدال جواهر زائفة بجواهر حقيقية. وقد توصل صديقي رئيس المفتشين جاب إلى نتيجة بأن أعمال السطو هذه لم تكن من فعل شخص واحد ولكن اثنين يعملان معاً بذكاء شديد، وكان مقتنعاً من خلال المعلومات الكثيرة المقدَّمة له بأن هذه السرقات من عمل أشخاص لهم وضع اجتماعي مرموق، وفي نهاية الأمر تركز اهتمامه على الآنسة جوانا ساوثْوُد هذه. لقد كان ضحايا السرقة جميعاً إما من معارفها أو من أصدقائها، وفي كل قضية كانت قد أمسكت بقطعة الحليّ المسروقة أو استعارتها، كما

أن أسلوب حياتها الباذخ أعلى من معدل دخلها. ومن ناحية أخرى كان واضحاً تماماً أن السرقة الفعلية، أي الاستبدال، لم يحدث على يدها هي، فقد كانت في بعض القضايا خارج إنكلترا في الفترة التي كان يُفترَض فيها أن الجواهر قد استُبدلت. وهكذا نشأت في ذهن المفتش جاب صورة صغيرة ظلت تكبر تدريجياً: اشتبه في أن الآنسة جوانا ساوثود حصلت على الجواهر موضوع الحديث بطريقة ما وعملت مخططات دقيقة لها ثم حصلت على نسخة طبق الأصل منها بواسطة صائغ غير شريف، وكان الجزء الأخير من العملية هو قيام شخص آخر باستبدالها، وهو شخص كان يسهل إثبات أنه لم يمسّ الجواهر من قبل ولم يرَها ولم تكن له أية علاقة بالنسخة المقلَّدة للأحجار الكريمة، لكن جاب كان يجهل هوية ذلك الشخص.

سكت بوارو ونظر إليه ثم قال: وقد لفت انتباهي بعض الأمور التي جرى الحديث عنها؛ خاتم اختفى عندما كنتَ في جزيرة مايوركا، وحقيقة وجودك في إحدى الحفلات المنزلية حيث وقعت واحدة من عمليات استبدال الجواهر المزيفة هذه، وارتباطك الوثيق بالآنسة ساوثُود... كما كانت هناك حقيقة كراهيتك لوجودي ومحاولة حمل والدتك على تخفيف علاقات الصداقة بيني وبينها. قد يكون هذا مجرد كراهية شخصية بالطبع، لكني لم أرَ هذا الرأي. لقد كنت حريصاً جداً على محاولة إخفاء كراهيتك لي وراء ستار من المرح. حسناً، بعد مقتل لينيت دويل اكتشفنا اختفاء عقد اللؤلؤ، وعلى الفور فكرت فيك! لكني لم أكن مقتنعاً تماماً لأنك إن كنت تعمل -كما أشكّ- مع الآنسة ساوثود التي كانت صديقة حميمة للسيدة دويل، فإن استبدال العقد هو الأسلوب المستخدَم في هذه العملية وليس السرقة السافرة، ولكن العقد أُعيد على نحو غير متوقَّع. وماذا اكتشفت؟ لقد اكتشفت أن العقد غير حقيقي بل هو عقد مزيف. عرفت عندها مَن هو اللص الحقيقي. كان العقد

المزيف هو الذي سُرق ثم أعيد، وهو العقد المزيف الذي كنتَ قد استبدلته أنت في السابق وأخذت العقد الحقيقي بدلاً منه.

نظر بوارو إلى الشاب الجالس أمامه. كان وجه تيم قد انقلب إلى لون شاحب، لكنه لم يكن مقاتلاً جيداً مثل بيننغتون بل كانت قدرته على الصمود ضعيفة. قال في محاولة للحفاظ على أسلوبه الساخر: حقاً؟ إذا كان هذا صحيحاً فماذا فعلت به؟

- هذا ما أعرفه أيضاً.

تغير وجه الرجل؛ لقد فقد معنوياته وانهار. وأكمل بوارو حديثه ببطء: ثمة مكان واحد يمكن أن يكون موجوداً فيه. لقد فكرت ملياً، وعقلي يقول لي بأن هذا صحيح. إن العقد -يا سيد أليرتون- مخبّأ في مسبحة معلقة في كابينتك. خرزات مسبحتك هذه مجوَّفة بطريقة محكمة، وأظن أنك عملتها لهذا الغرض خصيصاً. خرزات المسبحة هذه تفتح على الرغم من أنك لن تدرك ذلك إذا ما نظرت إليها، وفي داخل كل واحدة منها حبة لؤلؤ ملصَقة بالصمغ. إن معظم مفتشي الشرطة يحترمون الرموز الدينية ما لم يكن شيء مريب واضح فيها، وقد عمدت أنت إلى استغلال هذا الاحترام. لقد سعيتُ حتى أكتشف كيف أرسلت الآنسة ساوثود العقد المزيف إليك من الخارج. لا بد أنها فعلت ذلك، فأنت قد جئت إلى هنا من مايوركا عند سماعك بأن السيدة دويل ستكون هنا لقضاء شهر العسل. إن نظريتي تقول بأنه أُرسل في كتاب حيث يتم فتح ثغرة مربَّعة داخل صفحات الكتاب لوضع العقد، والكتاب لا يُفتَح أبداً عند إرساله بالبريد.

ختيم الصمت على الجميع، صمت طويل، ثم قال تيم بهدوء: أنت الفائز! كانت لعبة جيدة لكنها انتهت أخيراً، لا أحسب أن أمامي الآن غير الاعتراف بالهزيمة.

أومأ بوارو برفق وقال: هل تعرف أنك شوهدت في تلك الليلة؟

بدا تيم مرعوباً وهتف: شوهدت؟!

- نعم، في ليلة مقتل لينيت دويل شاهدك شخص وأنت تغادر كابينتها بعد الساعة الواحدة صباحاً بقليل.

قال تيم: لا أظنك ترى أنني... لست أنا الذي قتلتها؛ أقسم على هذا! لقد كنت أعيش حالة فظيعة منذ مقتلها، بعد أن قُدِّر لي أن أختار تلك الليلة للقيام بذلك العمل من بين كل الليالي! يا إلهي! لقد مررت بفترة عصيبة.

قال بوارو: نعم، لا بد أنك عشت لحظات خوف وقلق، ولكن بما أن الحقيقة قد ظهرت الآن فقد تستطيع مساعدتنا. هل كانت السيدة دويل ميتة أم كانت على قيد الحياة عندما سرقتَ عقد اللؤلؤ؟

قال تيم بصوت أجشّ: لا أدري، صدقاً لا أدري يا سيد بوارو. كنت قد عرفت أين تضعه في الليل على الطاولة الصغيرة بجانب السرير، فتسللت إلى الكابينة وتحسست الطاولة بهدوء شديد وخطفته ووضعت الآخر مكانه ثم خرجت ثانية، وقد افترضت طبعاً أنها كانت نائمة.

- ألم تسمع صوت أنفاسها؟ لا بد أنك كنت تصغي للتأكد من نومها؟

فكّر تيم بعمق: كانت ساكنة تماماً. لا، لا أذكر أنني سمعت فعلاً صوت أنفاسها.

- هل كنت تشم أية رائحة دخان في الغرفة تشبه رائحة الدخان الذي يخرج عند إطلاق رصاصة من سلاح ناري؟

- لا أظن ذلك، لا أتذكر.

تنهد بوارو وقال: إذن لم نتقدم.

سأله تيم بفضول: من الذي رآني؟

- روزالي أوتربورن. كانت قد جاءت من الجانب الآخر للسفينة ورأتك وأنت تخرج من كابينة لينيت دويل وتذهب إلى كابينتك.

- إذن هي التي أخبرتك؟

قال بوارو بهدوء: أرجو المعذرة، فهي لم تخبرني.

- إذن كيف عرفت؟

- لأن هيركيول بوارو لا يحتاج أحداً ليخبره. عندما واجهتها بالأمر... أتعرف ماذا قالت؟ لقد قالت: "لم أر أحداً"، وقد كذبت.

- ولكن لماذا؟

قال بوارو بصوت متحيّز: ربما لأنها ظنّت أن الرجل الذي رأته هو القاتل، كان الأمر يبدو كذلك.

- يبدو لي أن في ذلك سبباً أقوى يدفعها لأن تخبرك.

رفع بوارو كتفيه وقال: يبدو أن ذلك لم يكن رأيها.

قال تيم بنبرة غريبة: إنها فتاة غريبة تماماً، لا بد أنها عاشت حياة صعبة وقاسية مع والدتها.

- نعم، لم تكن الحياة سهلة بالنسبة لها.

- مسكينة!

ثم نظر تيم إلى ريس وقال: حسناً يا سيدي، إلى أين سنذهب من هنا؟ أعترف بأنني أخذت العقد من غرفة لينيت وستجدونه

في نفس المكان الذي حددتموه، أنا مذنب دون شك، ولكنني لن أعترف بعلاقة الآنسة ساوثود بالأمر. ليس لديكم أي دليل ضدها، أما كيف حصلت على العقد المزيف فهذا من شأني وحدي.

قال بوارو: موقف صحيح جداً.

قال تيم بنبرة ساخرة: أنت دائماً الرجل المحترم!

ثم أضاف: ربما تتصور كم كان مزعجاً بالنسبة لي أن أرى والدتي منسجمة معك! لست بالمجرم المحترف حتى أستمتع بالحديث مع رجل تحرّ ناجح قبل قيامي بضربة خطيرة غير متوقَّعة، بعض الناس يبتهجون لمثل هذه الإثارة ولكني لست منهم، بصراحة لقد أفقدني حضورك أعصابي.

- لكن ذلك لم يردعك عن القيام بالمحاولة؟

رفع تيم كتفيه بلامبالاة وقال: لم أكن لأجبن إلى هذا الحد؛ كان يجب استبدال العقد في وقت من الأوقات، وقد حصلت على فرصة فريدة لأن كابينتي قريبة منها، ولينيت نفسها كانت مشغولة الذهن بمشكلاتها بحيث لم يكن من المحتمل أن تكتشف تغير العقد.

- لا أدري إن كان الأمر كذلك.

رفع تيم بصره بحدة وقال: ماذا تقصد؟

ضرب بوارو الجرس ثم قال: سأطلب من الآنسة أوتربورن أن تأتي إلى هنا قليلاً.

قطب تيم جبينه لكنه لم يقل شيئاً، وجاء أحد المضيفين فأخذ الأمر ثم ذهب. جاءت روزالي بعد بضع دقائق، كانت عيناها محمرّتين من البكاء واتسعتا من الدهشة قليلاً لدى رؤيتها تيم، ولكن موقفها القديم المتّسم بالشك والتحدي بدا غائباً تماماً.

جلست طائعة وصارت تنقل بصرها بين بوارو وريس.

قال ريس برفق: نحن نأسف كثيراً على إزعاجك يا آنسة أوتربورن.

وقد كان ريس منزعجاً قليلاً بالفعل من بوارو، أما روزالي فقالت بصوت خفيض: لا بأس بذلك.

قال بوارو: من الضروري توضيح بعض النقاط. عندما سألتك إن كنت قد رأيت أحداً في الجهة اليمنى من السفينة في الساعة الواحدة وعشر دقائق صباحاً كانت إجابتك أنك لم تشاهدي أحداً، ولحسن الحظ استطعتُ الوصول إلى الحقيقة بغير مساعدة منك، فقد اعترف السيد أليرتون بأنه كان في غرفة لينيت دويل الليلة الماضية.

نظرت إلى تيم نظرة سريعة، فأومأ تيم برأسه بهدوء وقد ظهر العبوس على وجهه.

- هل الوقت صحيح يا سيد أليرتون؟

أجابه تيم: صحيح تماماً.

كانت روزالي تحملق إليه وقد ارتعشت شفتاها، ثم فتحتهما قائلة: لكنك لم... أنت لم...

أسرع يقول: لا، لم أقتلها؛ أنا لص ولست قاتلاً. سيظهر الأمر كله على الملأ ولذلك لا بأس أن تعرفي... كنت أريد عقدها.

قال بوارو: إن رواية السيد أليرتون هي أنه ذهب إلى كابينتها في الليلة الماضية واستبدل بالعقد الحقيقي عقداً آخرَ مزيَّفاً.

سألته روزالي بعينين مهمومتين حزينتين كعيني طفل: أحقاً؟

قال تيم: نعم.

صمت الجميع، وتململ الكولونيل ريس في جلسته، ثم قال بوارو بصوت ذي نبرة غريبة: هذه -كما قلت- هي رواية السيد أليرتون وأقوالك تؤكدها جزئياً، وهذا يعني أن هناك دليلاً على أنه دخل كابينة لينيت دويل الليلة الماضية، ولكن لا يوجد دليل على السبب الذي دخل من أجله.

حملق تيم إليه وقال: لكنك تعلم!

- ما الذي أعلمه؟

- تعلم أنني أخذت العقد.

- أجل، أجل؛ أعرف أن العقد موجود لديك لكنني لا أعرف متى حصلت عليه. ربما كان ذلك قبل الليلة الماضية. لقد قلت قبل قليل إن لينيت دويل ما كانت لتلحظ الفرق بين العقد المزيف والعقد الحقيقي، وأنا لست متأكداً تماماً من هذا. لنفترض أنها لاحظت الفرق فعلاً، ولنفترض أنها هددت في الليلة الماضية بكشف الأمر كله، ولنقل إنك عرفت أنها تنوي ذلك فعلاً. ولنفترض أنك سمعت المشهد الذي جرى في الصالة بين جاكلين دي بيلفورت وسيمون دويل، وحالما أصبحت الصالة خالية تسللت إليها وأخذت المسدس، ثم بعد ساعة عندما نام جميع ركاب السفينة تسللت إلى كابينة لينيت دويل وتأكدت تماماً من قتل من يهدد بكشفك.

هتف تيم: يا إلهي!

ومن وجهه الرمادي حدّقت بذهول عينان معذبتان متألمتان.

أكمل بوارو قائلاً: لكن شخصاً آخر رآك، الفتاة لويز، فجاءت إليك في اليوم التالي وحاولت ابتزازك. كان يجب أن تدفع لها مبلغاً كبيراً وإلاّ فإنها ستقول ما تعرفه، وقد أدركت أن الخضوع للابتزاز هو بداية النهاية، فتظاهرت بالموافقة وحدّدت معها موعداً

لتأتي إلى كابينتها قبل الغداء بقليل ومعك النقود، ثم طعنتها عندما كانت تعدّ النقود. ولكن للمرة الثانية لم يكن الحظ حليفاً لك، فقد رآك شخص وأنت تدخل كابينتها.

التفت بوارو إلى روزالي وقال لها: أمك! وقد توجّب عليك التصرف مرة أخرى يا سيد تيم. كان تصرفاً خطيراً متهوراً لكنها كانت الفرصة الوحيدة التي تملكها، وكنت قد سمعت بيننغتون يتحدث عن مسدس فذهبت إلى كابينته وأخذت المسدس وأصغيت إلى ما كان يدور داخل كابينة بيسنر، ثم أطلقت رصاصة على السيدة أوتربورن قبل أن تتمكن من كشف اسمك.

صاحت روزالي: لا، لا... إنه لم يفعل، لم يفعل!

- بعد ذلك فعلت الشيء الوحيد الذي كنت تستطيعه؛ أسرعت إلى مؤخرة السفينة، وعندما اندفعتُ وراءك كنتَ قد استدرت وتظاهرت بأنك قادم من الاتجاه المعاكس. كنت قد استخدمت المسدس مرتدياً القفازين، وكان هذان القفازان في جيبك عندما طلبتهما منك.

قال تيم: أقسم بالله إن هذا غير صحيح، لا شيء منه أبداً.

لكن صوته المتردد المرتعش فشل في إقناع الآخرين، وعندها فاجأتهم روزالي أوتربورن قائلة: غير صحيح بالطبع، والسيد بوارو يعلم أنه غير صحيح... إنه يقول هذا لغرض في نفسه فقط.

نظر بوارو إليها وارتسمت على شفتيه ابتسامة باهتة، ثم فتح ذراعيه كالمستسلم وقال: الآنسة ذكية جداً، ولكن ألا تتفقين معي على أنني قد بَنَيت قضية مقنعة ضده؟

قال تيم وقد اشتاط غضباً: ما هذا؟

لكن بوارو رفع يده معترضاً وقال: ثمة قضية مقنعة تماماً

ضدك يا سيد أليرتون، كنت أريدك أن تدرك هذا. سأقول لك الآن شيئاً مريحاً بعض الشيء: أنا لم أتفحص مسبحتك هذه الموجودة في كابينتك بعد، وعندما أتفحصها قد لا أجد فيها شيئاً، وعندها وبما أن الآنسة أوتربورن تصرّ على أنها لم ترَ أحداً على ظهر السفينة في الليلة الماضية فلن توجد قضية ضدك بعد ذلك. إن الذي أخذ عقد اللؤلؤ شخص مصاب بهوس السرقة، وقد أعاده، وهو الآن في علبة صغيرة على الطاولة قرب الباب إن كنت تريد أن تراه مع الآنسة.

نهض تيم فوقف لحظة وهو غير قادر على الكلام، وعندما تكلم كانت كلماته غير مناسبة لكنها ربما أرضت مستمعيه. قال: شكراً لك؛ أعدك أن لا تضطر إلى منحي فرصة أخرى.

فتح الباب للفتاة، فخرجت ثم تبعها بعد أن أخذ معه علبة الكرتون الصغيرة. ذهبا وهما يسيران جنباً إلى جنب، فتح تيم العلبة وأخرج منها عقد اللؤلؤ المزيف ثم ألقاه في النيل وهو يقول: ها هو، لقد ذهب! عندما أعيد العلبة لبوارو سيكون فيها العقد الحقيقي. كم كنت أحمق مغفلاً!

قالت روزالي بصوت منخفض: لماذا فعلت ذلك ابتداء؟

- تقصدين كيف بدأت بذلك؟ آه، لا أدري؛ لعله الملل أو الكسل، ربما الإثارة في العمل... هذه طريقة أكثر جاذبية في كسب الرزق من العمل في وظيفة عادية. أظن أنك تعتبرينها طريقة قذرة، لكنك تعلمين وجود نوع من الإثارة والجاذبية فيها، أحسبها جاذبية المجازفة.

- أظن أنني أفهم.

- نعم، لكنك لا يمكن أن تقومي بذلك أبداً.

فكرت روزالي لبعض الوقت وهي تميل برأسها جانباً ثم قالت: نعم، ما كنت لأفعل ذلك.

- آه يا عزيزتي، إنك رائعة، رائعة جداً. لماذا لم تقولي إنك رأيتني في الليلة الماضية؟

- ظننت أنهم قد يشتبهون بك.

- وهل اشتبهت أنت بي؟

- لا؛ لم أصدق أن بوسعك أن تقتل أحداً.

- نعم؛ لست من النوع القاسي الذي جُبل منه القَتَلة. أنا مجرد لص بائس.

وضعت يدها على ذراعه وقالت: لا تقل هذا؟

أمسك يدها وقال: روزالي، هل... هل تعرفين ما أقصده أم أنك ستظلين تحتقرينني وترفضينني؟

ابتسمت ابتسامة باهتة وقالت: ثمة أشياء يمكنك أن ترفضني من أجلها أيضاً.

- روزالي... عزيزتي!

لكنها توقفت قليلاً وقالت: وجوانا هذه؟

صاح تيم فجأة: جوانا؟ أنت سيئة الظن مثل أمي. إنني لا أعبأ بجوانا أبداً؛ إن لها وجهاً كالحصان وعينين كعيون الوحش... فتاة غير جميلة أبداً.

قالت روزالي على الفور: لا ضرورة لأن تعرف والدتك عنك أبداً.

- لست متأكداً، أظن أنني سأخبرها؛ إنها من معدن صلب

ويمكنها أن تصمد في وجه الصعوبات. نعم، أحسب أنني سأبدد أوهامها الأمومية بخصوصي، سترتاح كثيراً عندما تعرف أن علاقاتي بجوانا كانت مجرد علاقة عمل بحيث تغفر لي كل شيء آخر.

كانا قد وصلا إلى كابينة السيدة أليرتون، دقّ تيم الباب بقوة ففتحت السيدة أليرتون الباب ووقفت خارجه. قال تيم: أنا وروزالي...

ثم سكت، فقالت السيدة أليرتون: آه، أيها الغاليان!

احتضنت روزالي بذراعيها وقالت: يا ابنتي الغالية العزيزة، كنت آمل دائماً، لكن تيم كان مزعجاً جداً وكان يتظاهر بأنه لا يحبك، لكنني فهمت الحقيقة بالطبع!

قالت روزالي بصوت متقطع: لقد كنت لطيفة معي دائماً، وكنت أتمنى، أتمنى...

ثم سكتت وألقت برأسها على كتف السيدة أليرتون وهي تذرف دموع السعادة.

* * *

الفصل الثامن والعشرون

عندما أغلق تيم الباب وراءه ووراء روزالي نظر بوارو إلى الكولونيل وكأنه يعتذر له. بدا الكولونيل عابساً فقال بوارو متوسلاً: ستوافق على خطتي الصغيرة تلك، أليس كذلك؟ إنها شاذة، أعرف أنها شاذة، نعم، لكني أكنّ اعتباراً كبيراً للسعادة الإنسانية.

قال ريس: ولكنك لم تُظهر مثل هذا الاعتبار لسعادتي أنا.

- إنها فتاة صغيرة وأنا أكنّ لها العطف والمودّة، وهي تحب ذلك الشاب. سيشكلان زوجين رائعين، فهي تملك الصلابة التي يحتاجها وأمه تحبها، وكل شيء مناسب تماماً.

- الواقع أن كل شيء قد تم تدبيره بالمشيئة الإلهية ثم بجهد هيركيول بوارو، كل ما عليّ فعله هو غض النظر عن إقامة دعوى جنائية عليه.

- لكني قلت لك يا صديقي إن كل شيء كان مجرد حدس من جانبي.

ابتسم ريس فجأة وقال: حسناً، لست شرطياً عدوانياً والحمد لله! أعتقد أن الشاب سيكون مستقيماً بعد الآن والفتاة لا غبار عليها، إن ما أشكوه هو معاملتك لي. أنا رجل صبور ولكن للصبر حدوداً، هل تعرف من قام بالجرائم الثلاث في هذه السفينة أم لا تعرف؟

- أعرف.

- إذن لماذا هذا اللف والدوران؟

- هل تعتقد أنني أسلّي نفسي بهذه المسائل الجانبية؟ وهل هذا ما يقلقك؟ لكن الحقيقة غير ذلك. ذات يوم ذهبت في مهمة مع إحدى حملات التنقيب عن الآثار، وهناك تعلمت شيئاً؛ ففي أثناء البحث والتنقيب عندما يظهر شيء من تحت الأرض يتم تنظيف كل شيء حوله بحرص وحذر شديدين، تخرج الرمال والأتربة بعيداً وتكشط بالسكين هنا وهناك إلى أن يظهر الشيء الذي تبحث عنه مفرداً ظاهراً وجاهزاً لرسمه أو تصويره دون وجود ما يعوق المهمة. هذا ما كنت أحاول عمله؛ كنت أحاول إبعاد العوائق عن الطريق حتى نستطيع أن نرى الحقيقة، الحقيقة المجردة الواضحة.

- جيد، إذن لنسمع منك هذه الحقيقة المجردة الواضحة. لم يكن الفاعل هو بيننغتون ولم يكن الشاب أليرتون، وأظن أنه ليس فليتوود، إذن لنسمع من يكون هذا الشخص من باب التغيير.

- إنني على وشك أن أخبرك عنه يا صديقي.

سُمعت دقات على الباب فشتم ريس بصوت مسموع. كان الطارق هو الدكتور بيسنر وكورنيليا، وقد بدت كورنيليا مصدومة وصاحت: آه، كولونيل ريس، لقد أخبرتني الآنسة باورز بخصوص ابنة عمي ماري... كان صدمة عنيفة بالنسبة لي. قالت إنها لا تستطيع أن تتحمل وحدها المسؤولية بعد الآن وإن من الواجب أن أعرف لأنني واحدة من العائلة... لم أصدق ما قالته لي في البداية، لكن الدكتور بيسنر كان رائعاً.

عارضها الطبيب بتواضع: أبداً، على الإطلاق.

- كان طيباً جداً وشرح لي كل شيء وكيف أن مثل هؤلاء الناس لا يملكون كبح جماح أنفسهم، وكيف أنه عالج بعض المرضى المصابين بهوس السرقة في عيادته، كما شرح لي أن ذلك

يكون في الغالب نتيجة لاضطرابات عصبية وظيفية.

كانت كورنيليا تحاول تكرار الكلمات جاهدة: إنه مرض كامن في العقل الباطن، وأحياناً يرجع إلى شيء صغير حدث في أثناء الطفولة. وقد قال إنه نجح في علاج المرضى بحملهم على التفكير الاسترجاعي وتذكر ما هي تلك الأشياء الصغيرة.

سكتت كورنيليا وسحبت نفساً عميقاً ثم بدأت من جديد: لكن ما يزعجني هو احتمال انتشار الأمر كله، ستحدث مشكلة كبير في نيويورك... كل الصحف ستتناقل الخبر، وعندها لن تستطيع ماري ولا أمي ولا أي شخص من العائلة رفع رأسه أبداً بسبب الفضيحة.

تنهد ريس ثم قال: لا بأس، هذا «بيت اللَفْلَفَة».

- عفواً، ماذا قلت يا كولونيل ريس؟

- أعني أن كل ما لا يرقى إلى مستوى القتل تتم «لَفْلَفته» هنا.

أطبقت كورنيليا يديها معاً وقالت: آه، لقد ارتحت كثيراً؛ كنت في غاية القلق.

قال الدكتور بيسنر وهو يربت على كتفها: أنت رقيقة الفؤاد.

ثم خاطب الآخرين قائلاً: إنها فتاة ذات طبيعة حساسة وجميلة.

- آه، ليس إلى هذا الحد؛ إنه مجرد إطراء منك.

قال بوارو: هل رأيتِ السيد فيرغسون؟

احمرّ وجه كورنيليا وقالت: لا، لكن ابنة عمي ماري كانت تتكلم عنه.

قال الدكتور بيسنر: يبدو أن الشاب شريف النسب، لكني

أعترف بأنه لا يبدو كذلك فملابسه لا تدل على هذا، بل هو لا يبدو أبداً رجلاً كريم الأصل.

- وما هو رأيك يا آنسة؟

قالت كورنيليا: أحسبه مجرد مجنون.

التفت بوارو إلى الطبيب وقال: وكيف حال مريضك؟

- آه، إنه يتقدم بشكل رائع، وقد طمأنت الآنسة دي بيلفورت قبل قليل. هل تصدق أنني وجدتها في حالة يأس لأن الرجل ارتفعت درجة حرارته بعض الشيء بعد ظهر اليوم؟ ولكن هذا أمر طبيعي جداً. مدهش جداً أن لا تكون حرارته الآن قد ارتفعت كثيراً. إنه مثل بعض الفلاحين عندنا؛ إن بنية جسمه قوية ورائعة، إنه كجسم الثور الذي يصاب بجروح عميقة ولا ينتبه أو يتأثر من ذلك... الشيء نفسه حصل مع السيد دويل؛ نبضه ثابت ومستقر ودرجة حرارة جسمه لا تزيد عن المعدل الطبيعي إلاّ قليلاً. كنت قادراً على إزالة مخاوف السيدة، ومع ذلك كان تصرفها سخيفاً... تطلق النار على رجل وبعد دقيقة تصاب بالهستيريا لأن صحته لم تتحسن!

قالت كورنيليا: إنها تحبه كثيراً.

- آه! لكن هذا غير مفهوم. إذا أحببتِ رجلاً فهل تحاولين قتله؟ لا، أنت عاقلة.

قالت كورنيليا: لا أحب الأمور التي تنتهي باستخدام العنف.

- أمر طبيعي أن لا تحبي ذلك؛ فأنت أنثى.

قاطع ريس هذا المشهد المليء بعبارات الاستحسان والمديح قائلاً: بما أن دويل بخير فلا يوجد سبب يمنعني من الذهاب إليه لاستئناف الحديث الذي دار بيننا بعد ظهر اليوم، كان على وشك أن يخبرني بأمر البرقية.

تمايل الدكتور بيسنر يميناً وشمالاً من شدة الإعجاب وقال: آه، ذلك أمر غريب؛ لقد حدثني دويل عنها: كانت برقية كلها عن الخضروات... البطاطا والخرشوف والكرّاث...

انتصب ريس في جلسته وهو يصيح: يا إلهي، إنه هو إذن... ريشيتي!

نظر إلى الوجوه الثلاثة التي لم تكن تدرك الحقيقة وقال: شيفرة جديدة؛ لقد تم استخدامها في ثورة جنوب أفريقيا: البطاطا تعني الرشاشات، والخرشوف هو المتفجرات شديدة الانفجار، وهكذا... إن ريشيتي لا يعرف عن علم الآثار أكثر مما أعرفه أنا! إنه محرِّض خطير جداً، رجل قتل أكثر من واحد، وأنا واثق أنه سيقتل من جديد. لقد فتحت السيدة دويل تلك البرقية بالخطأ، ولو أخبرتني بمحتوى تلك البرقية فإنه سيعرف أن أمره قد كُشف!

التفت إلى بوارو وسأله: هل كلامي صحيح؟ هل ريشيتي هو الرجل؟

قال بوارو: إنه رجلك أنت، نعم. لقد رأيت منذ البداية شيئاً مريباً فيه؛ كان يمارس دوره بكمال يلفت النظر، كان عالم آثار بما لم يدع مجالاً لإظهار الجانب الإنساني فيه.

سكت قليلاً ثم قال: لكن ريشيتي ليس هو الذي قتل لينيت دويل. لقد مضى عليّ بعض الوقت وأنا أرى ما يمكن تسميته النصف الأول من القاتل، أما الآن فإنني أرى النصف الثاني أيضاً. لقد اكتملت الصورة، ولكن رغم معرفتي بما لا بد أنه قد حدث إلاّ أنني لا أملك أي دليل على ذلك، إن القضية من الناحية النظرية مقنعة، أما من حيث الواقع فهي غير مقنعة أبداً. هناك أمل واحد فقط: اعتراف من القاتل.

رفع الدكتور بيسنر كتفيه مرتاباً وقال: لكن هذا سيكون معجزة.

- لا أظن ذلك، لن تكون معجزة في ظل الظروف الراهنة.

صاحت كورنيليا: ولكن من يكون؟ ألن تخبرنا عنه؟

نظر بوارو إلى الوجوه الثلاثة التي التفّت حوله: ريس وهو يبتسم ابتسامة ساخرة، وبيسنر الذي ما زال يبدو متشككاً، وكورنيليا وقد فتحت فمها من الدهشة وهي تنظر إليه بشغف، ثم قال: أجل، لا بد أن أعترف بأنني أحب وجود جمهور! أنا مغرور بنفسي كما ترون، وأحب أن أقول: أترون كم هو ذكي هيركيول بوارو؟

تحرك ريس على كرسيه قليلاً ثم سأله برفق: حسناً، كم هو ذكي هيركيول بوارو بالضبط؟

قال بوارو وهو يهز رأسه يميناً وشمالاً بحزن وأسف: أولاً أعترف بأنني كنت غبياً، غبياً إلى حد لا يُصدَّق. بالنسبة لي كانت العقبة الأولى هي المسدس، مسدس جاكلين دي بيلفورت: لماذا لم يُترَك ذلك المسدس في مسرح الجريمة؟ كان واضحاً أن القاتل يريد إلقاء التهمة عليها، إذن لماذا أخذه المجرم معه؟ كنت غبياً جداً لأنني فكرت في كل الأسباب الغريبة، لكن السبب الحقيقي كان بسيطاً للغاية؛ لقد أخذه القاتل لأنه اضطر إلى أخذه لأنه لم يكن أمامه خيار في الموضوع.

* * *

الفصل التاسع والعشرون

مال بوارو إلى ريس وقال: كنّا أنا وأنت -يا صديقي- قد بدأنا التحقيق بفكرة مسبقة وهي أن الجريمة قد وقعت ارتجالاً بوحي اللحظة دون أي تخطيط مسبق. شخص ما كان يرغب في التخلص من لينيت دويل، وقد انتهز فرصة لذلك في اللحظة التي كانت ستعزى فيها الجريمة بشكل مؤكد تقريباً إلى جاكلين دي بيلفورت. وقد ترتب على ذلك استنتاجنا بأن ذلك الشخص قد سمع ما دار بين جاكلين وسيمون دويل وحصل على الحصول على المسدس بعد أن غادر الآخرون الصالة.

ولكن يا أصدقائي، إن كانت تلك الفكرة المسبقة خاطئة فإن من شأن القضية كلها أن تتغير، وقد كانت تلك الفكرة خاطئة بالفعل! لم تكن هذه جريمة ارتُكبت عفوياً وفي لحظة ارتجال، بل على العكس كان مخطَّطاً لها تخطيطاً جيداً وحذراً، وكان مؤقَّتاً لها توقيتاً دقيقاً مع وضع تصور مسبق لكل التفاصيل الصغيرة، بما في ذلك وضع مادة منوِّمة في شراب الكاكاو الذي كان هيركيول بوارو يشربه في تلك الليلة!

نعم، هذا ما حدث؛ لقد تم تنويمي حتى لا يبقى أي احتمال لمشاركتي في أحداث تلك الليلة. والواقع أنني رأيت أن ذلك قد يكون مجرد احتمال، شربت فقط الكاكاو وشرب رفيقاي على الطاولة الشاي، ولم يكن أسهل من وضع جرعة مخدّرة لا تؤذي

في شرابي. لكني استبعدتُ تلك الفكرة، فقد كان يوماً حاراً وكنت أشعر بالتعب والإرهاق الشديد، ولم يكن غريباً أن أنام لأول مرة نوماً ثقيلاً مع أن نومي خفيف في العادة.

كانت تلك الفكرة المتصوَّرة سلفاً ما زالت تستحوذ على تفكيري، فلو كنت قد خُدِّرت فإن ذلك يدل على سبق الإصرار والتخطيط، وهو سيعني بأن الفاعل قرر ارتكاب جريمته قبل الساعة السابعة والنصف موعد تقديم العشاء، وكنت أرى ذلك سخيفاً من منظور تلك الفكرة المسبقة. ثم كانت أول ضربة تصيب تلك الفكرة المسبقة عندما تم استخراج المسدس من مياه النيل، فلو كانت افتراضاتنا صحيحة لما كان ينبغي أن يُلقى المسدس في النهر أبداً، وهناك أشياء أخرى تتبع ذلك.

التفت بوارو إلى الدكتور بيسنر وقال: أنت يا دكتور بيسنر فحصت جثة لينيت دويل، وسوف تتذكر أن الجرح أظهر علامات على وجود حروق حول فتحة الرصاصة، وهذا يعني أن المسدس قد وُضع قريباً جداً من الرأس قبل إطلاق النار.

أومأ بيسنر برأسه وقال: صحيح، هذا كلام مضبوط.

- ولكن عندما عُثر على المسدس كان ملفوفاً في شال من المخمل، وقد ظهرت في ذلك الشال علامات واضحة على أن الرصاصة أطلقت من المسدس والشال ملفوف حوله. وربما كان الظن أن ذلك سيكتم صوت الطلقة، ولكن إذا كانت الرصاصة قد خرجت من المسدس ومن خلال الشال فلن تظهر علامات حروق على جلد الضحية، ولذلك: هل تكون هي الطلقة التي أطلقتها جاكلين دي بيلفورت على سيمون دويل؟ مرة أخرى: لا؛ لأنه كانه يوجد شاهدان على حادث إطلاق النار ذاك ونعرف عنه كل شيء. وهكذا يظهر أن طلقة ثالثة قد أُطلقت، طلقة لا نعرف عنها

أي شيء! ولكن رصاصتين هما اللتان أطلقتا من المسدس ولم تكن هناك أية إشارة إلى وجود طلقة ثالثة.

وهنا نقف وجهاً لوجه مع حالة غريبة يصعب تفسيرها، النقطة الثالثة المثيرة هي حقيقة أنني وجدت في غرفة لينيت دويل زجاجتين من طلاء الأظافر. إن السيدات يغيرن لون طلاء أظافرهن باستمرار، لكن لينيت دويل كانت تطلي أظافرها دائماً باللون القرمزي، وهو لون أحمر قاتم، أما الزجاجة الأخرى فكان مكتوباً عليها «وردي»، وهو لون أحمر فاتح. لكن القطرات الباقية في الزجاجة لم تكن حمراء فاتحة بل حمراء لامعة قوية، وكنت حريصاً على فتحها وشمها، فبدلاً من رائحة طلاء الأظافر القوية المعتادة شممتُ رائحة الخلّ... أي أن القطرة أو القطرتين المتبقيتين في الزجاجة كانتا مجرد حبر أحمر! وربما كان من الطبيعي وجود زجاجة حبر أحمر عند السيدة دويل، ولكن الأكثر طبيعية هو أن يكون هذا الحبر الأحمر في زجاجة حبر عادية وليس في زجاجة طلاء الأظافر. وقد أوحى هذا بوجود صلة بين هذا الحبر وبين البقع الوردية الباهتة على المنديل الذي تم لف المسدس فيه. الحبر الأحمر يمكن إزالته بالغسيل ولكنه يترك دائماً بقعة وردية باهتة.

ربما كان يجب أن أتوصل إلى الحقيقة عن طريق المؤشرات البسيطة، لكن حدثاً وقع فأبطل كل الشكوك، فقد قُتلت لويز بورجيه في ظروف تشير -بما لا يدع مجالاً للشك- إلى أنها كانت تبتزّ القاتل، ليس ذلك بسبب وجود ورقة ممزقة من فئة الألف فرنك في يدها فقط، بل تذكرت بعض الكلمات التي قالتها ذلك الصباح وكان لها مغزى بالغ الدلالة. اسمعوني باهتمام، فهنا تكمن عقدة المسألة كلها: عندما سألتُها إن كانت قد رأت أي شيء في الليلة السابقة أجابتني هذه الإجابة الغريبة جداً: "من الطبيعي أنني لو أصابني الأرق أو لو صعدت الدرج لكان ممكناً وقتها أن أرى

المجرم وهو يدخل أو يخرج من غرفة سيدتي". ماذا نفهم من هذا بالضبط؟

ردّ عليه بيسنر على الفور وقد امتلأ إثارة واهتماماً: نفهم منه أنها صعدت الدرج بالفعل.

- لا، لا، إنك لم تفهم القصد. لماذا عساها تقول ذلك لنا نحن؟

- لتوصل تلميحاً ما.

- ولكن لماذا تلمّح لنا؟ إذا كانت تعرف من هو القاتل فأمامها طريقان: أن تخبرنا بالحقيقة، أو أن تصمت وتطلب نقوداً مقابل صمتها من الشخص المعني. لكنها لم تسلك أياً من الطريقين، فلا هي قالت مباشرة: "لم أرَ أحداً، كنت نائمة"، ولا هي قالت: "نعم، رأيت شخصاً وهو كذا وكذا"... لماذا استخدمت تلك العبارة المطوَّلة التي لا تقول شيئاً رغم أهمية ما توحي به؟ لا يمكن إلا أن يكون هناك سبب واحد بالطبع... إنها تلمّح بكلامها إلى القاتل، ولذلك فلا بد أن القاتل كان موجوداً معنا في ذلك الوقت. إضافة إلى وجودي ووجود الكولونيل ريس ثمة شخصان فقط كانا حاضرَين: سيمون دويل والدكتور بيسنر.

قفز الطبيب من مقعده وهو يزأر: آه، ما هذا الذي تقوله؟ هل تتهمني مرة ثانية؟ إن هذا سخيف!

ردّ عليه بوارو بحدّة: اهدأ، إنني أقول لكم ما اعتقدته في ذلك الوقت، دعنا نبتعد عن الذاتية.

قالت كورنيليا تهدئه: إنه لا يعني أنك أنت القاتل.

أكمل بوارو بسرعة: وهكذا فهو واحد منهما، إمّا سيمون دويل أو الدكتور بيسنر. ولكن ما هو الدافع عند الدكتور بيسنر لقتل

لينيت دويل؟ لا يوجد دافع حسب علمي. هل هو سيمون دويل إذن؟ لكن هذا كان مستحيلاً! هناك الكثير من الشهود يقسمون على أن دويل لم يغادر الصالة في ذلك المساء إلى حين وقوع الشجار، وبعده كان مجروحاً ويستحيل من الناحية الجسدية أن يفعل ذلك. هل كان لديّ إثبات جيد على هاتين النقطتين؟ نعم، كانت لديّ أقوال الآنسة روبسون وأقوال جيم فانثورب وجاكلين دي بيلفورت تأييداً للنقطة الأولى، كما كانت عندي الشهادة الفنية المتمرسة للدكتور بيسنر والآنسة باورز فيما يخص النقطة الثانية؛ لم يكن من الممكن الشك في ذلك.

إذن لا بد أن الدكتور بيسنر هو المذنب، ودعماً لهذه النظرية كانت هناك حقيقة أن الخادمة قد طُعنت بسكين جراحي. ولكن -من ناحية أخرى- فقد تعمّد بيسنر لفت الانتباه إلى هذه الحقيقة. ثم يا أصدقائي ظهرت لي حقيقة ثانية واضحة لا جدال فيها: لا يمكن أن يكون الدكتور بيسنر هو المقصود بتلميحات لويز بورجيه لأنها كانت تستطيع الحديث معه على انفراد في أي وقت تشاء. لم يكن هناك إلاّ شخص واحد، شخص واحد فقط، وقد استجاب لطلبها... سيمون دويل! كان سيمون دويل مصاباً والطبيب يلازمه باستمرار وكان في كابينة ذلك الطبيب، إذن فقد جازفت وقالت تلك الكلمات الغامضة لتُسمعه هو، لأنها قد لا تحصل على فرصة أخرى. وأذكر كيف واصلت كلامها وهي تلتفت إليه وتقول: "أتوسل إليك يا سيدي، أنت ترى الحال؟ ماذا يمكنني قوله؟"، ثم كانت إجابته: "لا تكوني حمقاء، لا أحد يظن أنك رأيت أو سمعت شيئاً، ستكونين على ما يرام، سأعتني بك، لا أحد يتهمك بشيء". وكان ذلك هو التطمين الذي كانت تريده، وقد حصلت عليه!

قال بيسنر ساخراً: آه، هذا سخيف! هل تعتقد أن رجلاً مكسّر العظام وفي ساقه رصاصة يستطيع التنقل في السفينة وطعن الناس؟

كان يستحيل على سيمون دويل أن يغادر كابينته.

ردّ عليه بوارو برفق: أعرف، هذا صحيح؛ كان يستحيل ذلك، كان مستحيلاً لكنه صحيح أيضاً! لا يمكن أن يكون وراء كلمات لويز بورجيه غير معنى منطقي واحد. وهكذا عدت إلى البداية واستعرضت الجريمة على ضوء هذه المعرفة الجديدة: هل كان من الممكن أن يكون سيمون دويل قد غادر الصالة في الفترة التي سبقت الشجار ونسي الآخرون ذلك أو لم يلحظوه؟ لم أتصور ذلك ممكناً. هل يمكن تجاهل الشهادة المتمرّسة للدكتور بيسنر والآنسة باورز؟ مرة أخرى أحسست أن ذلك غير ممكن. لكني تذكرت وجود فجوة بين الشهادتين؛ كان سيمون دويل وحيداً في الصالة لمدة خمس دقائق، وشهادة الدكتور بيسنر لا تنطبق إلاّ على الفترة التي تبعت ذلك، وبالنسبة لفترة الدقائق الخمس تلك فإننا لا نملك إلاّ دليل الرؤية البصرية. ورغم أن ذلك كان سليماً تماماً من الناحية الظاهرية إلاّ أنه لم يعد مؤكداً ما هو الذي شوهد في الواقع إذا ما تركنا الافتراضات جانباً.

لقد رأت الآنسة روبسون الآنسة جاكلين دي بيلفورت تطلق النار من مسدسها ورأت سيمون دويل ينهار على كرسي ورأته يضغط بمنديل على ساقه، ورأت ذلك المنديل وهو يبتل تدريجياً باللون الأحمر. ما الذي سمعه السيد فانثورب ورآه؟ سمع طلقة ورأى دويل وهو يضع على ساقه منديلاً ملطخاً باللون الأحمر. ما الذي حدث وقتها؟ لقد أصرّ دويل كثيراً على إخراج الآنسة جاكلين دي بيلفورت وعلى عدم تركها وحيدة، وبعد ذلك اقترح على فانثورب أن يذهب لإحضار الطبيب.

ووفقاً لذلك خرجت الآنسة روبسون والسيد فانثورب مع الآنسة دي بيلفورت وكانوا مشغولين لمدة خمس دقائق في الجانب الأيسر من السفينة، فغرف الدكتور بيسنر والآنسة باورز والآنسة

دي بيلفورت كلها في الجانب الأيسر. دقيقتان فقط هما كل ما كان سيمون دويل يحتاجه؛ أخذ المسدس من تحت المقعد وخلع حذاءه، ثم ركض بخفة الأرنب دون أي صوت إلى ميمنة السفينة ودخل كابينة زوجته وزحف نحوها وهي نائمة فأطلق عليها رصاصة في رأسها، ووضع الزجاجة التي كانت تحتوي على الحبر الأحمر على المغسلة في غرفتها (إذ لا ينبغي العثور عليها معه)، ثم عاد ركضاً وأخذ شال الآنسة فان شويلر المخملي الذي كان قد حشره في جانب أحد الكراسي استعداداً لما سيحدث، ثم لفَّه على المسدس وأطلق رصاصة على ساقه. كان كرسيه الذي وقع عليه متألماً (ألماً حقيقياً هذه المرة) قريباً من النافذة، وهناك فتح النافذة وألقى بالمسدس في مياه النيل ملفوفاً بالمنديل داخل الشال المخملي.

قال ريس: مستحيل!

- لا يا صديقي، ليس مستحيلاً. تذكَّرْ شهادة تيم أليرتون؛ لقد سمع صوتاً كفرقعة فلّينة تبعها صوت خبطة في الماء، كما أنه سمع شيئاً آخر: وقع خطوات رجل يجري، رجل يجري من أمام بابه. ولكن لم يكن ممكناً وجود رجل يركض على ميمنة السفينة. إن ما سمعه هو وقع أقدام سيمون دويل وهو يعبر من أمام غرفته.

قال ريس: ما زلت أرى ذلك مستحيلاً... لا يمكن لرجل أن يفكر بكل هذه المعمعة ويخوضها في لمحة بصر هكذا، ولا سيما إن كان مثل دويل بطيء التفكير والحساب.

- لكنه سريع ورشيق في حركته الجسدية.

- من هذه الناحية صحيح، لكنه لا يستطيع التفكير والتخطيط لهذا كله.

- لكنه لم يخطط ذلك بنفسه يا صديقي، هذا ما أخطأنا جميعاً فيه. كانت تبدو جريمة ابنة ساعتها، ولكنها لم تكن كذلك، فقد

كانت -كما قلتُ- عملاً مخطَّطاً له تخطيطاً جيداً وبارعاً. لا يمكن أن يكون مجرد مصادفة وجود زجاجة حبر أحمر في جيب سيمون دويل. نعم، لا بد أنها خطة، لم تكن مصادفة عندما ضربت جاكلين المسدس بقدمها فاستقرّ تحت المقعد حيث يكون بعيداً عن النظر ولا يتذكره أحد إلاّ فيما بعد.

- جاكلين؟

- بالتأكيد؛ إنهما الشريكان في الجريمة. ما الذي أعطى سيمون دليل غيابه عن مكان الجريمة؟ الرصاصة التي أطلقتها جاكلين عليه. ما الذي أعطى جاكلين دليل غيابها أيضاً؟ إصرار سيمون الذي أدّى إلى بقاء ممرضة معها طوال الليل. وبين الاثنين بوسعك أن تجد كل الصفات المطلوبة: العقل البارد المخطِّط الواسع الحيلة، عقل جاكلين دي بيلفورت، ورجل الإقدام والتصرف الذي يقوم بالتنفيذ بما لا يكاد يصدَّق من سرعة وخفة ودقة في التوقيت، سيمون دويل.

إذا نظرتم إلى المسألة من زاوية صحيحة فسترون أنها تجيب على كل سؤال. كان سيمون وجاكلين عاشقين، وإذا أدركتم أنهما ما زالا عاشقين سيتضح كل شيء، فسيمون سوف يتخلص من زوجته الثرية ويرث أموالها في الوقت المناسب ثم يتزوج بمحبوبته القديمة. كان عملاً عبقرياً... مضايقة جاكلين للسيدة دويل كانت جزءاً من الخطة، وكذلك تظاهر سيمون بالغضب. ومع ذلك فقد وقعت زلاّت وهفوات. لقد أبدى لي رأياً ذات مرة عن النساء اللائي يستحوذن على الرجال، أبدى لي ذلك الرأي بشيء من المرارة الحقيقية. كان يجب أن أدرك أنه كان يقصد زوجته وليس جاكلين. ثم سلوكه مع زوجته أمام العامة... إن الرجل الإنكليزي العادي كسيمون دويل يحسّ بإحراج كبير من إظهار حبه وعواطفه، والحق أن سيمون لم يكن ممثلاً بارعاً فقد بالغ في تمثيل دور المحب. ثم

هنالك ذلك الحديث الذي دار بيني وبين جاكلين عندما تظاهرت بأن شخصاً ما كان يسمع ما تقول، لكني لم أرَ أحداً ولم يكن هناك أحد، إلا أن ذلك الادعاء كان طُعماً ألقته ليكون مفيداً فيما بعد. ثم إنني، في إحدى الليالي في هذه السفينة، ظننت أنني سمعت سيمون ولينيت خارج كابينتي، كان يقول: "يجب أن ننتهي من هذا الآن..."، كان دويل هو الذي يتكلم، نعم، ولكنه كان يتكلم مع جاكلين لا مع زوجته!

لقد تم التخطيط والتوقيت للدراما النهائية بشكل تام ودقيق، تم وضع جرعة منوِّمة في شرابي الساخن حتى لا أفسد الخطة بتدخلي، ثم كان هناك اختيار الآنسة روبسون لتكون شاهداً، وتصعيد المشهد وندم الآنسة دي بيلفورت المبالَغ فيه وحالتها الهستيرية، وقد قامت بإحداث ضجة عالية وصراخ حتى لا يُسمَع صوت الطلقة الثانية. كانت فكرة ذكية ذكاء لا يُوصَف، تقول جاكلين إنها أطلقت رصاصة على دويل والآنسة روبسون تقول هذا وفانثورب يقول هذا، ولدى فحص ساق سيمون يتبين أنه أصيب برصاصة فعلاً... رواية محبوكة لا يمكن دحضها! وبذلك يتوفر لكل منهما دليل غياب من مكان الجريمة، وكان ثمن ذلك قَدْراً معيناً من الألم والمجازفة من جانب سيمون دويل، ولكن كان من الضروري أن يُقعده جرحه تماماً. ثم تنحو الخطة منحى خاطئاً؛ كانت لويز بورجيه سهرانة وكانت قد خرجت من غرفتها وصعدت الدرج وشاهدت سيمون دويل وهو يركض إلى كابينة زوجته ثم يعود، وكان سهلاً عليها أن تخمّن في اليوم التالي سبب ركضه ذاك. وهكذا أقدمت بجشع على المطالبة بأموال مقابل سكوتها، وبعملها هذا وقّعت على شهادة وفاتها.

عارضته كورنيليا: لكن السيد دويل لم يكن باستطاعته قتلها؟

- نعم، لذلك فإن شريكته هي التي قتلتها. طلب سيمون رؤية جاكلين بأسرع ما يمكنه، حتى إنه طلب مني تركهما وحدهما،

وعندها أخبرها عن الخطر الجديد وأفهمها أنهما لا بد أن يتصرفا بسرعة. كان يعرف أين يحتفظ بيسنر بأدواته الجراحية، وبعد تنفيذ الجريمة مُسح الدم عن المشرط وأعيد مكانه، ثم عادت جاكلين لتناول الغداء في وقت متأخر جداً وكانت لاهثة الأنفاس. مع ذلك لم يكن كل شيء يسير بشكل جيد لأن السيدة أوتربورن رأت جاكلين وهي تدخل غرفة لويز بورجيه، وقد جاءت متحمّسة لتخبر سيمون بأن جاكلين هي القاتلة. هل تذكرون كيف صرخ سيمون بالمرأة المسكينة؟ كنّا نظن أن ذلك بسبب اهتياج أعصابه، لكن الباب كان مفتوحاً وكان يحاول إبلاغ شريكته بالخطر، وقد سمعت وتصرفت على الفور وبسرعة البرق. تذكرت بأن بيننغتون تكلم عن وجود مسدس معه، فذهبت وأخرجت المسدس وجاءت إلى الباب فأصغت، ثم في اللحظة الحرجة أطلقت النار. لقد تباهت ذات مرة بأنها رامية ماهرة وكانت محقة في تباهيها. وقد لاحظت بعد تلك الجريمة الثالثة أن القاتل يمكن أن يكون قد ذهب من إحدى ثلاث طرق، كنت أقصد أنه ربما ذهب إلى مؤخرة السفينة، وفي هذه الحالة يكون تيم أليرتون هو القاتل، وقد يكون قفز من فوق الحاجز، وهو أمر بعيد الاحتمال، أو أن يكون قد دخل في إحدى الكبائن. بين كابينة جاكلين وكابينة الدكتور بيسنر توجد كابينتان فقط، لم يكن عليها إلاّ أن تلقي المسدس على الأرض وتدخل في كابينتها وتنفش شعرها وتلقي بنفسها على السرير... كانت مجازفة منها لكنها الفرصة الوحيدة الممكنة أمامها.

سكت الجميع ثم سأله ريس: ماذا حدث للرصاصة الأولى التي أطلقتها الفتاة على سيمون دويل؟

- أظنها دخلت في الطاولة، ففيها ثقب حديث، وأظن أن دويل كان لديه الوقت لكي يحفر مكانها بالسكين ليستخرجها ثم يلقي بها من النافذة. كان معه بالطبع بعض الرصاص الاحتياطي

حتى يبدو أن رصاصتين فقط هما اللتان أطلقتا.

تنهدت كورنيليا وقالت: لقد فكرا في كل شيء... يا له من أمر مرعب!

كان بوارو صامتاً، لكنه لم يكن صمت تواضع؛ كان يبدو وكأن عينيه تقولان: أنت مخطئة، إنهما لم يحسبا حساب هيركيول بوارو!

- والآن يا دكتور، سنذهب لنتكلم مع مريضك.

* * *

الفصل الثلاثون

في وقت متأخر من ذلك المساء جاء بوارو وطرق باب إحدى الكابينات، أجابه صوت نسائي: تفضل!

دخل، وكانت جاكلين تجلس على كرسي وعلى كرسي آخر قريب من الجدار جلست مضيفة ضخمة الجسم. نظرت جاكلين إلى بوارو بعينين متفحصتين، ثم أشارت إلى المضيفة وقالت: هل يمكنها الذهاب؟

أشار بوارو إلى المرأة فخرجت، وسحب بوارو كرسيها وجلس قريباً من جاكلين. لم يتكلم أي منهما، كان الحزن بادياً على وجه بوارو، وفي نهاية الأمر تكلمت الفتاة أولاً، قالت: حسناً، لقد انتهى كل شيء! كنت أذكى منا بكثير يا سيد بوارو.

تنهد بوارو ورفع ذراعيه في الهواء. كان يبدو كالأبكم، وقالت جاكلين وهي تتأمل: ومع ذلك لا أرى أنك تملك دليلاً دافعاً، كنت محقاً فيما توصلت إليه بالطبع ولكن إذا ما استطعنا خداعك...

- لا يمكن وقوع الأمر بأية طريقة أخرى يا آنسة.

- في ذلك دليل كاف للعقل المنطقي، لكني لا أظنه سيقنع هيئة المحلفين. آه، لم يكن بالإمكان تفادي الأمر، لقد فاجأتَ سيمون باكتشافك فانهار بسرعة، لا بد أنه فقد عقله تماماً هذا المسكين واعترف بكل شيء.

هزت رأسها بأسف وهي تقول: إنه خاسر سيء.

- أما أنت فخاسرة جيدة يا آنسة.

ضحكت فجأة ضحكة غريبة فرحة متحدية وقالت: آه، نعم، إنني خاسرة جيدة دون شك.

نظرت إليه وقالت فجأة: لا تهتم كثيراً يا سيد بوارو... أقصد بخصوصي. أنت مهتم فعلاً، أليس كذلك؟

- بلى يا آنسة.

- ولكن ما كان ليخطر لك أن تتركني أنجو، أليس كذلك؟

ردّ عليها بوارو بهدوء: نعم.

أومأت برأسها بهدوء وقالت: لا فائدة من العواطف. قد أفعلها ثانية... لم أعد امرأة آمنة، أنا شخصياً أشعر بذلك.

ثم أكملت تقول عابسة: إن قتل الناس عمل سهل للغاية، وهو يجعلك تشعر بأنه عمل عادي لا يهم وأن ما يهمّ فعلاً هو أنت وحدك. إن هذا خطير.

سكتت قليلاً ثم قالت بابتسامة صغيرة: لقد بذلت جهدك من أجلي، في تلك الليلة في أسوان قلت لي بأن لا أفتح قلبي للشر... هل كنت تدرك وقتها ما كان يجول في خاطري؟

هز بوارو رأسه بالنفي وقال: كنت أعرف فقط أن ما قلته كان صحيحاً.

- كان صحيحاً، كان يمكن أن أتوقف عن المضي في هذا العمل في ذلك الوقت، بل كدت أتوقف. كنت أستطيع إخبار سيمون بأنني لن أكمل المخطط، ولكن إذا ما فعلت ذلك فربما...

ثم سكتت قليلاً وقالت: هل تريد سماع ذلك من البداية؟

- إن كنت تريدين إخباري فلا بأس يا آنسة.

- أظن أن لديّ رغبة في إخبارك. كان كل شيء بسيطاً للغاية، فقد كنت وسيمون يحب بعضنا بعضاً.

كان كلاماً واقعياً، ومع ذلك كان يوجد صدى حزين تحت نبرة المرح التي كانت تتكلم بها. قال بوارو: كنت ترين أن الحب بالنسبة لك يكفي، ولكنه لم يكن يكفيه هو.

- يمكنك التعبير عن ذلك بهذه الطريقة، لكنك لا تفهم سيمون جيداً. لقد أراد دوماً وبقوة أن يكون لديه مال؛ كان يحب كل ما يمكن للمال أن يشتريه، الخيل واليخوت... وكل الأشياء الجميلة، الأشياء التي يريدها الرجل كثيراً، ولم يكن قادراً على الحصول على أي شيء منها. إن سيمون بسيط للغاية، إنه يريد أشياء بالطريقة التي يريدها الأطفال وبنفس إلحاحهم، ومع ذلك لم يحاول الزواج بأية فتاة غنية وبغيضة في نفس الوقت، لم يكن من ذلك النوع. ثم التقينا، لكننا لم نكن نعرف متى سنتمكن من الزواج. كانت لديه وظيفة لا بأس بها ثم فقدها، كان ذلك خطأ منه إلى حد ما، حاول أن يتذاكى ليكسب بعض المال فكشفوه فوراً. لا أظن أنه كان يعتزم حقاً الاختلاس أو السرقة بل كان يظن أن ذلك ما يفعله الناس في المدينة.

عبرت ومضة سريعة على وجه المستمع، لكنه أمسك لسانه.

- وهكذا واجهتنا مشكلة. ثم فكرت في لينيت وبيتها الريفي الجديد فذهبت إليها مسرعة، كنت أحب لينيت كثيراً يا سيد بوارو، أحبها حقيقة، كانت أفضل صديقاتي ولم أفكر قط أن شيئاً سيظهر ويحول بيننا. كنت فقط أفكّر كم أنا محظوظة لأن صديقتي غنية، فلو أعطته وظيفة فإن حالنا أنا وسيمون ستتغير كثيراً. وكانت طيبة جداً في هذا الموضوع وطلبت مني إحضار سيمون لتراه، في ذلك

الوقت رأيتنا في تلك الليلة في مطعم تشيزماتانت، كنّا نحتفل بالمناسبة رغم أننا لم نكن نملك حقاً ثمن ما نحتفل به في مثل ذلك المطعم.

سكتت وتنهدت ثم أكملت تقول: إن ما سأقوله الآن صحيح تماماً يا سيد بوارو، ومع أن لينيت قد ماتت فإن ذلك لن يبدل الحقيقة، وهذا ما يجعلني حقاً غير آسفة عليها حتى الآن. لقد عملت كل جهدها لتنتزع سيمون مني... هذه هي الحقيقة المطلقة! لا أظن أنها ترددت في ذلك إلاّ لدقيقة واحدة تقريباً. كنت صديقتها لكنها لم تأبه؛ لقد تهورت واندفعت نحو سيمون، ولم يكن سيمون يهتم بها أبداً. لقد تحدثت معك كثيراً بخصوص الفتنة والألق لكن ذلك لم يكن صحيحاً بالطبع، لم يكن يريد لينيت، كان يرى أنها جميلة المظهر لكنها تحب السيطرة، وهو كان يكره النساء الميّالات إلى السيطرة! لقد أحرجه ذلك كثيراً لكنه أحب فكرة الحصول على ثروتها. وقد فهمت أنا ذلك بالطبع، واقترحت عليه أخيراً أنه من المستحسَن أن يتخلص مني ويتزوج لينيت، لكنه رفض تلك الفكرة وقال إنه من المستحيل بالنسبة له الزواج بها مهما كانت ثروتها. قال إن فكرته في الحصول على الثروة تعني أن يحصل عليها بنفسه وليس بامتلاك زوجة ثرية تتحكم فيما تصرفه عليه، وقال إنه سيكون في هذه الحالة مرافق الأميرة، كما قال إنه لا يريد أحداً غيري.

أظن أنني أعرف متى جاءته الفكرة. قال ذات يوم: "لو كنت محظوظاً فسوف أتزوجها، وستموت خلال سنة واحدة وتترك لي كل ثروتها". ثم ظهرت في عينيه نظرة ذعر غريبة، كانت تلك أول مرة فكر فيها في الأمر. وقد تحدث كثيراً في هذا الموضوع ملمّحاً إلى فكرة موت لينيت، وقلت له بأنها فكرة مخيفة، ثم سكت ولم يتكلم عنها. ثم وجدته ذات يوم يقرأ الكثير عن الزرنيخ، وصارحته بالأمر في ذلك الوقت فضحك وقال: لا شيء مثل المغامرة! إنها

المرة الأولى في حياتي التي سأكون فيها على وشك الحصول على ثروة كبيرة.

وبعد مدة قصيرة رأيت أنه قرّر أمره وعزم، وكنت خائفة جداً، بل مرعوبة، لأنني أدركت أنه لن ينجح في ذلك أبداً، فهو ساذج وبسيط كالطفل ولا يملك الدهاء أو الخيال. ربما كان سيضع لها الزرنيخ في الطعام مفترضاً أن الطبيب سيقول إنها ماتت من التهاب المعدة... كان يظن دائماً بأن الأمور ستسير بشكل طبيعي وسهل... ولذلك كان عليّ أن أدخل في الموضوع وأعتني به.

قالتها ببساطة تامة، لكنها كانت صادقة تماماً. لم يشكّ بوارو أبداً في أن ما قالته هو الدافع الحقيقي؛ هي نفسها لم تشتهِ أموال لينيت ردجوي أو تلهث وراءها، ولكنها أحبت سيمون دويل وقد أحبته دون عقل ودون بصيرة ودون حساب.

مضت تقول: فكرت وفكرت في محاولة لوضع خطة، وقد ظهر لي أن أسس الفكرة يجب أن تكون إيجاد دليل مزدوج نغيب فيه نحن الاثنين عن مسرح الجريمة، فلو أن سيمون أو أنا أدلى بشهادة ضد الآخر بطريقة ما فإن دليلنا ذاك ينبغي أن يبرّئنا من كل شيء. كان من السهل تماماً أن أتظاهر بكراهية سيمون، وهو شيء محتمَل ومتوقع في ظل مثل تلك الظروف، ثم لو ماتت لينيت مقتولة فسوف يشتبهون بي، ولذلك كان من الأفضل أن يشكوا فيّ من البداية. وضعنا تفاصيل الخطة بالتدريج، كنت أريد أن يقبضوا عليّ وليس على سيمون إذا سارت الأمور عكس ما خططنا له، لكن سيمون كان قلقاً بشأني. الشيء الوحيد الذي سررت من أجله هو أنني لم أكن مضطرة لقتلها بنفسي، لم أكن لأستطيع ذلك! لا أستطيع أن أذهب بدم بارد وأقتلها وهي نائمة... هل تفهمني؟ إنني لم أغفر لها، وأظن أنني كنت أستطيع قتلها وجهاً لوجه، ولكن ليس وهي نائمة. رسمنا كل شيء بالتفصيل وبدقة. حتى ما قام به سيمون

عندما كتب حرف «ج» بالدم (وهو عمل سخيف ومبالغ فيه)، كان ذلك مثالاً على ما يمكن أن يفعله أو يفكر به! ومع ذلك فقد نجحت الخطة بشكل جيد.

أومأ بوارو وقال: نعم، لم تكن غلطتك أن لويز بورجيه لم تستطع النوم في تلك الليلة. وبعد ذلك يا آنسة، ماذا حدث؟

نظرت إليه نظرة تحدٍّ وقالت: نعم، أليس ذلك مفزعاً؟ لا يمكنني تصديق أنني فعلت هذا! لقد عرفت الآن ماذا كنت تقصد بقولك: «لا تفتحي قلبك للشر». أنت تعرف جيداً كيف حدث الأمر؛ لقد أوضحت لويز لسيمون صراحة بأنها تعرف الحقيقة فأخبرني بما عليّ أن أفعله. لم أكن مرعوبة وإنما خائفة فقط، خائفة كثيراً، وهو الخوف الذي تلقيه عملية القتل في النفس. كنت وسيمون في وضع آمن، آمن تماماً لولا هذه الفتاة الفرنسية البائسة المبتزّة، فأخذت لها كل ما كان بحوزتنا من نقود وأظهرت لها التذلل، وعندما كانت تعدّ النقود فعلتها! كان عملاً سهلاً تماماً، وهذا ما يجعل العمل هذا مخيفاً جداً... أعني كونه سهلاً جداً. ولكن حتى بعد ذلك لم نكن في أمان، فقد رأتني السيدة أوتربورن، جاءت تبحث عنك وعن الكولونيل ريس فرحة، ولم يكن لدي وقت للتفكير ولذلك تصرفت بسرعة البرق. كان عملاً مثيراً، كنت أعرف أنها مسألة حياة أو موت في هذه المرة، وقد بدا أن ذلك يجعل من الأفضل...

سكتت مرة أخرى لبعض الوقت، ثم قالت: هل تذكر عندما جئت إلى غرفتي بعدها؟ قلت إنك لست واثقاً من سبب مجيئك عندي. كنت بائسة جداً ومرعوبة جداً، وظننتُ أن سيمون سيموت.

قال بوارو: ومن ناحيتي كنت أرجو ذلك.

أومأت جاكلين وقالت: نعم، لو حدث ذلك لكان أفضل له.

- لم تكن هذه هي فكرتي.

نظرت جاكلين إلى وجهه المتجهم وقالت بهدوء: لا تهتم كثيراً من أجلي يا سيد بوارو، فقد كنت أعيش دوماً حياة قاسية، ولو نجوت وكسبت فسوف أعيش حياة سعيدة جداً وأستمتع بكثير من الأشياء، وربما لن أندم بعدها على شيء. أما وقد حدث ما حدث فعلى المرء أن يتقبل مصيره.

ثم أضافت تقول: أظن أن مهمة المضيفة هنا هي منعي من شنق نفسي أو ابتلاع كبسولات سامة كما يفعل الناس في الروايات! لا داعي للخوف فلن أفعل ذلك، سيكون الأمر أسهل بالنسبة لسيمون إن أنا كنت بجانبه.

نهض بوارو ونهضت جاكلين أيضاً، ثم قالت بابتسامة مفاجئة: هل تذكر عندما قلت لك بأنني يجب أن أتبع نجمي؟ قلت لي بأنه قد يكون نجماً زائفاً، ثم قلت لك: إنه نجم سيء، إنه نجم هوى.

خرج بوارو إلى ظهر السفينة وهو يسمع ضحكاتها ترنّ في أذنيه.

* * *

الفصل الحادي والثلاثون

كان الوقت فجراً عندما وصلوا إلى الشلال، وكانت الصخور تقترب من حافة المياه. قال بوارو: يا لها من بلدة موحشة!

وقف ريس بجانبه وقال: حسناً، لقد قمنا بعملنا؛ لقد رتبت إنزال ريشيتي من السفينة أولاً. كم أنا سعيد لأننا أمسكنا به، فقد كان مجرماً زئبقياً بعشرة أرواح، لقد أفلت منّا عشرات المرات.

ثم أكمل يقول: لا بد من تأمين سرير نقّال لنقل دويل... غريب كيف انهار واعترف.

قال بوارو: ليس غريباً، فهذا النوع الصبياني من المجرمين يكون مزهواً مختالاً في العادة، ولكن بمجرد أن تتبخّر ذواتهم المنتفخة المغرورة حتى ينتهي كل شيء وينهارون كالأطفال.

قال ريس: إنه يستحق الإعدام، إنه وغد بارد الدم. أنا آسف بالنسبة للفتاة ولكن ليس لدينا ما نفعله من أجلها.

هز بوارو رأسه وقال: يقول الناس إن الحب يبرر كل شيء، لكن هذا غير صحيح؛ النساء اللاتي يستحوذ الرجال على قلوبهن -مثلما هو حال جاكلين مع سيمون دويل- خطيرات جداً. هذا ما قلته عندما رأيتها أول مرة، إنها تهتم به كثيراً تلك الفتاة الصغيرة، هذا صحيح!

جاءت كورنيليا روبسون ووقفت بجانبه فقالت: آه، لقد أوشكنا على الوصول.

سكتت دقيقة أو دقيقتين ثم قالت: كنتُ معها.

- مع الآنسة دي بيلفورت؟

- نعم، لقد أحسست بأن من الفظاعة حبسها في غرفتها مع تلك المضيفة، إن ابنة عمي ماري غاضبة جداً.

كانت الآنسة فان شويلر تقترب بخطوات ثقيلة باتجاههم، كانت عيناها تقدحان شرراً وقالت: كورنيليا، لقد كان تصرفك مغيظاً... سأعيدك إلى الوطن فوراً.

سحبت كورنيليا نفساً عميقاً وقالت: أنا آسفة يا ماري، ولكنني لن أعود إلى الوطن؛ سوف أتزوج.

قالت السيدة العجوز: إذن فقد عاد إليك رشدك أخيراً؟

جاء فيرغسون من طرف السفينة وقال: كورنيليا، ما هذا الذي أسمعه؟ إنه غير صحيح!

قالت كورنيليا: بل صحيح، سوف أتزوج الدكتور بيسنر. لقد طلب يدي الليلة الماضية.

سألها فيرغسون غاضباً: ولماذا تتزوجينه؟ ألأنه غني فقط؟

ردّت عليه كورنيليا ساخطة: لا، أنا أحبه لأنه رجل طيب ويعرف الكثير، كما أنني كنت أهتم دوماً بالمرضى والعيادات وسأعيش معه حياة رائعة.

سألها السيد فيرغسون غيرَ مصدّق: هل تريدين القول إنك تفضلين الزواج بذلك العجوز المقرف على الزواج بي؟

- نعم، فأنت شخص لا يُعتمَد عليه ولن تكون الحياة معك مريحة. كما أنه ليس عجوزاً، إنه لم يبلغ الخمسين بعد.

- إن له كرشاً عظيماً.

- لا بأس، كما أن لديك كتفين متهدلتين. مظهر الإنسان لا يهم، إنه يقول إنني أستطيع مساعدته في عمله وسوف يعلّمني كل شيء عن الأمراض العصبية.

ثم ذهبت، فقال فيرغسون مخاطباً بوارو: هل تظنها تعني حقاً ما تقول؟

- بالتأكيد.

- تفضّل ذلك العجوزَ المغرور عليّ؟

- دون شك.

- هذه الفتاة مجنونة.

طرفت عينا بوارو وقال: بل هي فتاة ذات عقل متفرّد، وقد تكون هذه أول مرة تقابل فيها عقلاً كهذا.

* * *

اقتربت السفينة من المرسى الصغير، وضرب نطاق من الشرطة حول الركاب وقد طلب منهم الانتظار وأن لا ينزلوا من السفينة. تم إنزال ريشيتي بوجهه الداكن النكد وقد أمسك به اثنان من مهندسي السفينة، ثم بعد انتظار لفترة من الوقت جيء بنقالة وحُمل عليها سيمون دويل، ثم أنزل إلى المرسى.

بدا رجلاً مختلفاً منكمشاً متذللاً خائفاً، وقد اختفت عن وجهه كل ملامح اللامبالاة الصبيانية. ثم تبعته جاكلين دي بيلفورت،

وكانت إحدى المضيفات تسير إلى جانبها. كانت شاحبة، وفيما عدا ذلك بدت طبيعية تماماً. اقتربت من النقالة وقالت: مرحباً يا سيمون!

رفع بصره إليها بسرعة، وعادت إلى وجهه نظرات الولد اللّعوب لبعض الوقت ثم قال: لقد أفسدتُ الأمر كله... فقدت عقلي واعترفت بكل شيء. أنا آسف يا جاكي... لقد خذلتك.

ابتسمت له وقالت: لا بأس يا سيمون، لعبةٌ حمقى وقد خسرناها، هذا كل ما في الأمر.

ثم تنحّت جانباً فرفع الرجال النقالة، وعندها انحنت جاكلين فربطت خيط حذائها، ثم ذهبت يدها إلى أعلى جوربها وانتصبت واقفة وهي تمسك شيئاً في يدها. ثم سمع الجميع صوت فرقعة حادة: بوم!

ارتعش سيمون دويل وتشنج لمرة واحدة ثم رقد على نقالته ساكناً، وأومأت جاكلين دي بيلفورت، ثم وقفت دقيقة والمسدس في يدها، ابتسمت لبوارو ابتسامة باهتة سريعة، ثم عندما قفز ريس إلى الأمام حوّلت فوهة المسدس الصغير إلى قلبها وضغطت الزناد فهوت على الأرض كالكومة الصغيرة.

صاح ريس: من أين حصلت على هذا المسدس؟

أحس بوارو بيد على ذراعه، وقالت السيدة أليرتون بهدوء: هل كنت تعرف؟

أومأ بوارو بالإيجاب وقال: كان معها مسدسان من نفس النوع، وقد عرفت ذلك عندما سمعت أن أحدهما وُجد في حقيبة روزالي أوتربورن في اليوم الذي قمنا فيه بالتفتيش. كانت جاكلين

تجلس إلى نفس الطاولة التي تجلس روزالي إليها، وعندما علمت أننا سنقوم بتفتيش الجميع وضعته في حقيبة الفتاة، وبعد ذلك ذهبت إلى غرفة روزالي واسترجعت المسدس بعد أن شغلت انتباه الفتاتين بموضوع مقارنة أحمر الشفاه، وبما أنه قد تم تفتيشها هي وغرفتها في اليوم السابق فلم يفطن أحدٌ إلى ضرورة القيام بتفتيش آخر.

قالت السيدة أليرتون: هل أردتها أن تسلك هذا الطريق؟

- نعم، لكنها ما كانت لتقتل نفسها وحدها، وهذا ما جعل وفاة سيمون دويل أسهل مما كان يستحق.

ارتعدت السيدة أليرتون وقالت: إن الحب شيء مخيف أحياناً.

- هذا ما يجعل معظم قصص الحب العظيمة من المآسي.

حولت السيدة أليرتون نظراتها إلى تيم وروزالي اللذين كانا يقفان جنباً إلى جنب تحت أشعة الشمس، وفجأة قالت بانفعال: الحمد لله أن هناك سعادة في هذه الدنيا.

- كما تقولين يا سيدتي، الحمد لله على هذا.

وعلى الفور نزل الركاب إلى الشاطئ، ثم حُملت جثتا كلٍ من لويز بورجيه والسيدة أوتربورن خارج «الكرنك»، وأخيراً أُنزلت جثة لينيت دويل. وعلى الفور بدأت برقيات الأخبار في إذاعة الخبر معلنة للعالم أن لينت دويل المعروفة بلينيت ردجوي، لينيت دويل المشهورة الجميلة الثرية قد ماتت.

❊ ❊ ❊

قرأ السيد جورج وُد الخبر وهو في ناديه في لندن، وقرأه سترنديل روكفورد في نيويورك وجوانا ساوثْوُد في سويسرا، وتمت

مناقشته في فندق ثري كراونز في بلدة مولتِنْوُد، وقال السيد بيرنابي: حسناً، لا يبدو أن ذلك قد نفع هذه الفتاة المسكينة كثيراً.

ولكن بعد فترة من الزمن توقف الناس عن الحديث عنها وبدؤوا يناقشون مسائل أخرى، فكما قال السيد فيرغسون في الأقصر: المستقبل هو الذي يهم وليس الماضي.

* * *

-تمت-